تذكرة المتقين

في السير و السلوك إلى الله

من رسائل أعلام آيات الله

البهاري - الكربلائي - الهمداني - البيدآبادي



ترجمة :

الشيخ حسين كوراني

آية الله العارف الشيخ محمد البهاري الهمداني

تذكرة المتقين
في آداب السير والسلوك

ترجمة

الشيخ حسين كوراني


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى حملة هم جهاد النفس

المدركين أنه المدخل الوحيد إلى معرفة الشيطان وأوليائه،

وإلى تحديد الموقف منهم فكرياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

إلى شهداء المقاومة الإسلامية وإخوانهم المنتظرين

أهدي هذا الكتاب.

المترجم

مقدمة المترجم

سنجد أننا في هذا الكتاب بين يدي نخبة من الفقهاء والأصوليين والفلاسفة العرفاء، الذين يشكل فقه القلب والوجود، أو البعد الروحي في الإسلام القاسم المشترك بينهم والغاية المعرفية القصوى.

نكتشف لدى التعرف عليهم أنهم أخصائيون في حقولهم العلمية، وفيهم من جمع بين عدة منها، وأنهم جميعا ـ رغم التنوع ـ من فقهاء الباطن واللباب، ورواد جهاد النفس، والتقوى ومكارم الأخلاق، قمم في العلم والعمل.

يضطرنا ذلك إلى مغادرة كل تداعيات المغالطة الشائعة: الفصل بين ذرى التخصص العلمي وتزكية النفس! في حين أن فقه كلمتين من كتاب الله تعالى يكفي لإدراك جذرية تمازجهما **يزكيهم ويعلمهم**.

سنجد أن عَلَمَ علم الأصول الشامخ، وأستاذ العلماء المتأخرين عنه الشيخ الأنصاري من رواد السير والسلوك، وهذا هو أيضاً حال قرينه في ريادة علم الأصول الآخوند الخراساني رضوان الله عليهما.

كما سنجد أن القطب في الفلسفة الشيخ الغروي الأصفهاني الذي يفتخر مفسر العصر وفيلسوفه السيد الطباطبائي «صاحب الميزان»

بأنه تتلمذ عليه، والذي كان بدوره تلميذ عَلَم آخر في الأصول «آقا ضياء الدين العراقي» يحرص على توجيه عبادي سلوكي من آية الله الملكي التبريزي.

وما هو أبعد أثراً وأعمق دلالة أن هؤلاء العلماء الأجلاء وأمثالهم يولون البعد الروحي الأهمية القصوى فهو كعبة العلوم وقبلتها، نجد أن الشيخ الأنصاري «الأعظم» يقصد منزل تلميذه في الأصول السيد علي الشوشتري ليتتلمذ عليه في الأخلاق!

والشيخ الآخوند الهمداني وهو مؤسس مدرسة في فقه القلب والحياة، أراد أن يتصدى لتدريس الأصول كخليفة للشيخ الأنصاري بعد وفاته، فمنعه من ذلك أستاذهما السيد الشوشتري، لأن ثمة مراتب روحية أخرى لا بد له من استكمالها قبل أن ينصرف إلى التدريس، فالتزم الآخوند الهمداني بذلك.

وليس الملمحان المتقدمان ـ التوحد في فقه القلب رغم تعدد الإختصاص، واعتبار فقه القلب الهدف العلمي والعملي الأسمى ـ إلا بعض التجليات القِيَميَّة في أمثال هؤلاء العلماء الأبرار، التي تجعلهم بحق ـ بعد المعصومين وخصائصهم ـ تجسيداً للحقائق الذرى التي تنشدها البشرية وتطمح إلى تطبيقها والتي يمكن تلخيصها بالآتي:

١ ـ لباب العلم «المعرفة».

٢ ـ العمل به، ودقة التقيد بالأحكام الشرعية «التزام القوانين»

٣ ـ التواضع «مدماك الأمن الإجتماعي في جميع الدوائر من الصداقة بين فردين فالأسرة وإلى العولمة».

٤ ـ التفاني في حفظ حقوق الآخرين «الحرية والكرامة».

٥ ـ اليقين الدائم بعدم الإكتفاء العلمي «البحث عن الحقيقة» (موسى والخضر عليهما السلام)

وبديهي أن يضعنا هذا التجلي بل التجسيد القِيَمي، أمام عناوين شديدة الخصوصية والإثارة منها أن سيرة العلماء الأبرار ـ فضلاً عن المعصومين ـ موضوعة حداثة، ومنطلق لبناء الحاضر والمستقبل، وليست حيزاً من التاريخ متقدماً على أقرانه المعاصرة بالتزام القيم، فنحن اليوم بعد مرور القرون والأحقاب نجد أن العناوين المتقدمة هي الشغل الشاغل للمثقفين والكتاب والمفكرين، وعلى أساسها يصنَّف الناس وتمتاز الصفوف والمواقع، وهو ما يجعلنا ندرك بعمق أن مقومات التحضر والرقي وعناصر التكامل الإنساني يجب البحث عنها في سيرة هذه النماذج الفريدة من العلماء، لنتعلم من خلالهم كيف يمكن البحث عن المراتب الأعلى في سيرة المعصومين.

يقودنا ذلك بجلاء إلى ضرورة التفريق بين التحضر من جهة والتقدم التقني من جهة أخرى، إنهما موضوعان مختلفان جذرياً، فرب مبتكرٍ لأحدث منجزات المعلوماتية وسائر التقنيات، ممعنٌ في القبلية والتخلف الفكري والإعاقة الأخلاقية، ورب جاهل بكل ما حفل به العالم عبر أدواره المختلفة من تحديث في الآلة، قدوة في مكارم الأخلاق.

وما نحتاج الغرب فيه هو التقدم التقني الذي كنا يوما رواده الطليعيين.

ومن أبشع صور تسطيح الحقائق الربط بين الحداثة والتقدم التقني بالمطلق.

ماهو مبرر ومنطقي، الربط بين الحداثة في عالم الآلة والوسائل وبين التقدم التكنولوجي والإبتكارات الحديثة، أما الإطلاق فهو إغراق في الجهل، إمعان في أودية التيه[١].

وما أود الوقوف على عتبته باختصار من دروس سيرة هؤلاء العلماء بالله العظماء به عز وجل، حزمة ضوء تمس الحاجة إليها.

أولاً: الإنفتاح الثقافي:

ليست ألوان المعرفة البشرية إلا تموجات وأطيافاً للحقيقة الواحدة التي تلح على التكامل وتمقت التنافر فضلاً عن التباين، فكيف إذاً بالحذف والإلغاء.

قد نفْرط في الإنفتاح السياسي بحكم ميل النفس المدَسّاة إلى المصلحية، فلماذا يغادرنا في المجال الثقافي مثل هذا الميل، ويستبدل بجموح إلى العدوانية والإلغاء؟.

إن التحلي بروح المعرفة رهن الإنفتاح الفكري والثقافي الذي يتوقف عليه بدوره الصدق في أي انفتاح آخر، بدءاً من الصبر في دائرة النفس وصولاً إلى الحديث عن الوحدة الإسلامية أو حوار الحضارات.

(١) * للتوسع في ذلك يراجع: في المنهج ـ ١ المعصوم والنص للمترجم. الفصل الرابع: بين الحداثة والخلود.

آمل أن يحظى هذا الكتاب بنفحة انفتاح ثقافي لا على من تختلف معه حتى في الأسس، بل على من تحترم كل أسس فكره ولا تختلف معه إلا في المنحى والتفاصيل، لتمكن هذه النفحة من يحاربون هذا اللون من المعرفة من مواصلة القراءة، ليجدوا أن ما يبحثون عنه لا يوجد إلا في مجالس هؤلاء العلماء، وأن الناس أعداء ما جهلوا.

حقاً ما أقبح أن يشطب مدعي الثقافة والبحث العلمي عقول قمم وهو يفتخر بأنه ينحني إجلالاً لها، وأي انفصام معرفي يفوق ذلك؟.

ثانياً: العلم للعمل:

ليست المعرفة ـ على سموها ـ الهدف الأسمى، بل القدرة العملية المتمثلة عملياً في التزام المعرفة وتجسيدها هي الهدف المعرفي الأرقى.

إن مدرسة المعرفة للمعرفة تستبطن تشيئة الإنسان وإلغاء إنسانيته، ليصبح مخزن معلومات وذاكرة وقدرة على الربط والتحليل، بحيث لا يبقى بينه وبين الحاسب الآلي فرق، بل إن الحاسب أقدر منه على أداء هذه المهمة.

عن الإمام الصادق عليه السلام: لا يقبل الله عز وجل عملاً إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف دلته المعرفة على العمل، ومن لم يعرف فلا عمل له، إن الإيمان بعضه من بعض[١].

(١) * المجلسي «محمد باقر» بحار الأنوار ج١ / ٢٠٦ «وتجدر الإشارة هنا إلى أن جميع هوامش المترجم مأخوذة من برنامج المعجم الفقهي، الإصدار الثالث، فليلاحظ».

ثالثاً: التواضع:

حيث أن العلم يهتف بالعمل، فهو ينادي بالتواضع بأعلى الصوت، وكلما استوى العالم على ذروة، تراءت له ذرى يدرك أن بلوغ سفحها يقتضي خوض اللجج وبذل المهج، وعليه فإن الإحساس بالإكتفاء والغنى العلميين، ليس إلا وليد القارونية التي هي في الأصل ذات جذور علمية «**إنما أوتيته على علم عِندي**».

وقبل أن يأتي الغرور على السلوك فيذره نقيضاً للعلم تجسيداً للجهل، فإنه يأتي على العلم نفسه فيحيل ما تمّ الوصول إلى معرفته يباباً.

ويشكل الحجاب الأخطر الذي يمنع من أية خطوة في دروب الذرى العلمية الشامخة، وأعلاها على الإطلاق قدراً، علوم التوحيد، المعبر عنها بالحكمة المتعالية أو بالعرفان، وليس المهم اللفظ بل الجوهر.

هذا الكتاب:

كنت قد ترجمت أكثر الكتاب حوالي سنة ١٤٠٩ للهجرة، ٨٨م، لاعتماده مادة للتدريس في درس خاص، وقد حصلت على الطبعة الأولى منه ثم الثانية فالثالثة، وبقي مشروعاً ينتظر التوفيق.

وقد استوقفتني في مادته أمور، منها:

ـ أن العلاقة بين الفقه والأصول والعمق العلمي عموماً وبين ريادة المنحى الروحي المعبر عنها بالعرفان، ليست علاقة تنافر وتباين، كما هو الخطأ الشائع.

ـ أن كل التوجيهات في الكتاب مبنية بإحكام على وجوب التقيد بالرسالة العملية والأحكام الشرعية.

لهذين السببين فإن مدرسة الشيخ حسينقلي عبد الحسين الهمداني، والشيخُ البهاري أبرز أركانها، تستحق بجدارة عناية مميزة.

تتسم مادة الكتاب ـ إلى جانب ما تقدم ـ بمصداقية عالية ولهيب باطني يلح على الإحساس بالتوهج، لاسيما في الرسائل الثمانية من الشيخ البهاري إلى مراده الذي لعله لا يرضى بذكر اسمه كما صرح الشيخ التائب وقد اقتديت به في ذلك.

ولا يفوتني التنويه بامتياز بفرادة مضمون الرسالتين الملحقتين بالكتاب في آخره، للعارف البيدآبادي قدس الله تعالى نفسه الزكية، واللتين ستجد أن السطر الواحد منهما يختصر ـ أحياناً ـ المجلدات!

وقد ينفع الإلفات أيضاً إلى أن بعض الملحقات المجهولة تقابل نخبوية الرسالتين المتقدمتين إلى حد بعيد.

والطريقة التي اتبعتها في إعداد الكتاب هي كما يلي:

أولاً: الترجمة بما يحافظ على المعنى والوتيرة، ودقة حدود الفكرة.

ثانياً: المقارنة بين النسخ الثلاث المتوفرة، واعتماد النسخة الأولى مرجعاً عند الإختلاف لأنها طبعت في زمن جامع المادة ومنظمها، الذي يعود إليه الفضل في هذه الصدقة الجارية والكنز الثمين، وما ذلك إلا لأنه كان من حملة هم فقه القلب والحياة، وتدل محاولاته الدائبة لتدوين عدد من العلماء آراءهم في شرح بيت من

الشعر ـ كما يأتي ـ على توثب روحه وحسن اختياره، وسلامة ذوقه، جزاه الله تعالى خير الجزاء.

وقد رمزت للنسخة الأولى بـ«أ» وهي مصورة عن النسخة المطبوعة في تبريز عام ١٣٢٩ هجرية، وهذه الصورة إصدار انتشارات مصطفوي ـ قم وهي حسنة الخط عموماً تستدعي الجهد أحياناً.

ورمزت للنسخة الثانية بـ«ب» وهي مطبوعة في طهران، عام ١٣٦١ هجري شمسي، إصدار «انتشارات نور فاطمة».

كما رمزت إلى النسخة الثالثة بـ«ت» وهي مطبوعة في طهران أيضاً إصدار انتشارات نهاوندي الطبعة الثانية من إصدارها عام ١٣٧٦ هجري شمسي.

وقد حرصت على استخراج النصوص من مصادرها، إلا ما لم أعثر على مصدره، رغم بذل الجهد، وقد تولى بعض الأعزاء استخراج مصادر أكثر أبيات الشعر ـ باللغتين ـ التي تم الإستشهاد بها في الكتاب، وأمكن العثور على مصدرها، وتم في الشعر العربي اعتماد برنامج الموسوعة الشعرية، الإصدار الثاني، كما تم البحث في النسخة الرئيسة لهذه الموسوعة، على شبكة الأنترنيت، المجمع الثقافي بالإمارات العربية المتحدة، وستأتي الإشارة إلى عنوانها الألكتروني.

وأما في الشعر الفارسي فقد تم اعتماد برنامج «دُرج» على قرص ممغنط.

والتزمت بإيراد هوامش النسخة الثالثة دون رمز وأن أرمز

للهوامش التي أضيفها، بنجمة تلي الترقيم، كما التزمت بإيراد ما كان في الأصل باللغة العربية **بحرف أسود**

والفائدة التي أتوخاها أن يتواصل القاريء مع نص صاحبه مباشرة دون توسط المترجم، فلتركيبة النص الأخلاقي الصادر من مثله خصوصيتها التربوية الهامة، بالإضافة إلى اطلاع القاريء على تمكن صاحب النص من اللغة العربية إلى حد أنه يقدمها استرسالاً على لغته الأم، أو يلجأ إليها عندما تضيق لغته عن أداء المعنى كما يريد.

وينبغي التنبه إلى أني اعتمدت إضافة عبارات توضيحية بين قوسين « » كلماوجدت أن العبارة العربية التي اعتمدها صاحب النص تستدعي ذلك.

وقد تفردت النسخة الثالثة بتعليقة المقدس الشيخ حسن علي أصفهاني المشهور بـ «نخودكي» فأوردت ترجمتها في الهامش، وهي ميزة هامة لهذه الترجمة، واكتفيت في الدلالة عليها بتوقيع كل هامش بكلمة «الأصفهاني».

ولابد من الإشارة هنا إلى أن التوقيع في الأصل هو «ن» الحرف الأول من «نخودكي» فليلاحظ.

أشير في الختام أني لم أشأ الدخول في تصميم المادة فالذي جمعها غير الكاتب الذي أعطيت اسمه، ثم إن المادة فيه لعدد من العلماء، وإن كان للشيخ البهاري النصيب الأوفى، وقد أُدرج توجيهٌ واحد منه في مكان وأعطي عنواناً يشمل غيره، كما أدرجت توجيهات من غيره في مكان آخر، وأغلب الظن أن المرحوم الشيخ التائب كان

قد خطط لمنهجية مختلفة، إلا أن أسباباً مجهولة جعلت الكتاب بهذا الترتيب.

والله تعالى أسأل أن يتقبل هذا القليل، بحرمة المصطفى الحبيب وآله الأطهار صلى الله عليه وعليهم.

والحمد لله رب العالمين

حسين كوراني

kourani@hotmail.com

٢١ ذ. ق ١٤٢٢هجرية

٤/ ٢/ ٢٠٠٢ م

مقدمة الطبعة الفارسية[1]

يتضمن هذا الكتاب ـ الذي جمعه الأديب العالم الشيخ اسماعيل التبريزي المعروف بـ«تائب» ـ كلمات أربعة علماء أعلام كبار، وعرفاء توحيديين أبدال، أغلبها للزاهد العابد المتصل بالحق والمنقطع إليه آية الله الشيخ محمد البهاري الهمداني، وعدة منها لأستاذ العرفاء والحكماء آية الله الشيخ حسينقلي «عبد الحسين» الهمداني والمولى آية الله الشيخ محمد البيدآبادي، وآية الله السيد أحمد الكربلائي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وحيث أن إحاطة القاريء ولو إجمالاً بالملامح العامة لشخصيات هؤلاء العلماء، تسهم في رفع مستوى الإهتمام بالكتاب، كان لابد من التعريف بهم، بما يتناسب مع التقديم.

وفيما يلي نبذة عن كل منهم بحسب التقدم الزمني، ثم نبذة عن جامع هذا الكتاب، فنبذة عن العارف الجليل الشيخ حسن علي أصفهاني المعروف بـ«نخودكي» حيث تتميز هذه الطبعة بتعليقاته عليها، وفي نهاية المطاف كلمة حول الكتاب «تذكرة المتقين».

---

(١) * تمت ترجمة المقدمة بتصرف كبير، فليلاحظ.

١ ـ المولى الشيخ البيدآبادي «؟ ـ ١١٩٨هج»

هو ابن الفقيه المميز الشيخ محمد رفيع الكيلاني، نشأ في مازندران «شمال إيران» وترعرع فيها، ثم شد الرحال إلى أصفهان، واستقر في منطقة «بيد آباد» ومن هنا اشتهر بالبيدآبادي.

كان عصر المرحوم البيدآبادي أشد مراحل إيرا ن السياسية اضطرابا، اقترن أوائل عمره بسقوط الدولة الصفوية «١١٣٥هج» وتسلط الأفاغنة، وفي عهدهم وعهد الأفشارية شهدت إيران تجاذبات.

واقترن آخر عمره بحكم كريم خان زند «١١٦٣هج» وفي هذه المرحلة انصرف رحمه الله إلى تربية طلابه في المجالين العلمي والأخلاقي.

يمكن الجزم بتتلمذ البيد آبادي على ثلاثة من الأجلاء، هم:

١ ـ السيد قطب الدين محمد نيريزي الشيرازي «١١٠٠ ـ ١١٣٧هج» صاحب منظومة فصل الخطاب، وهو تلميذ العالم الجليل شاه محمد دارابي.

٢ ـ الميرزا تقي الألماسي «١١٥٩ م» وهو من أحفاد المجلسي الأول.

٣ ـ الآخوند ملا إسماعيل خواجوي «١١٧٣ م».

وكما أن أساتذته من المشاهير فكذلك هم تلامذته عليه الرحمة والرضوان، وقد أفاض في علوم الحكمة والسير والسلوك على عدد

كبير وأخذ بأيديهم في مدارج الكمال، ولا يتسع هذا المختصر لذكر أسمائهم.

وكنموذج يمكن ذكر الحكيم الملا علي النوري المدرس الكبير للحكمة المتعالية، وصدر الدين كاشف الدزفولي، العارف المشهور.

لم يكن المرحوم البيدآبادي يحب التأليف، لذلك جاءت آثاره مشتتة، وهي في الغالب رسائل كتبها إلى تلامذته في السير والسلوك.

ما عرف حتى الآن من آثار هذا العارف الجليل، هو الآتي:

١ ـ آداب السير والسلوك، رسالة باللغة العربية كتبها إلى الميرزا القمي.

٢ ـ التوحيد على نهج التجريد، في المبدأ والمعاد.

٣ ـ حسن دل «حسن القلب».

٤ ـ التفسير.

٥ ـ المكاتبات، وقد جُمع منها حتى الآن اثنتا عشرة رسالة، كتبها إلى طلابه، ويعتقد أن رسائله أكثر من ذلك.

جلالة قدره وزهده:

يصفه المؤرخ المعاصر له المعروف بـ«رستم الحكماء» بأنه صاحب الإكسير الأعظم، والكيمياء «المعظم» ويتحدث عن زهده مطولا، إلى أن يقول:

كان المرحوم البيدآبادي يذهب بنفسه النفيسة إلى الدكان والخباز والبقال والقصاب والعلاف والعصار وبائع الخضار ويشتري لوازمه وعياله، ويضع ما يشتريه في حضنه أو على كتفه ويحمله إلى البيت،

ولم يكن يقبل مساعدة أحد في ذلك وكانت ثيابه من الكرباس والصوف الزهيد، وكان يؤمن مصرفه من كد يده حيث كانت له عدة مكائن لنسيج الشعر وكان يعمل في الزراعة قليلاً، وكان يجيد كتابة الخط المكسور «شكسته».

وفي دائرة المعارف القيمة «رياض الجنة» يقول عنه معاصر آخر له هو العلامة النوري الخوئي ما يلي:

مولانا البيدآبادي كانت له اليد الطولى في جميع فنون الحكمة سيما الفن الإلهي، وكان في طريقة التصوف والإشراق فرداً لا نظير له في الآفاق، وقد بلغ الغاية في تهذيب الأخلاق والتزكية وتطهير الباطن، حتى اختص بالخروج من التيه الظلماني الناسوتي إلى العالم النوراني اللاهوتي، إلى أن يقول: ولجناب مولانا في الفن الإلهي «التوحيد» والتفسير تحقيقات عميقة وافرة. «انتهى»

وبعد عمر عامر بالتقوى والعلم والجهاد، وافاه الأجل عام «١١٩٧هـ» وقد ووري الثرى في مقبرة «تخت فولاد» بأصفهان، وضريحه الطاهر مزار أهل القلوب.

وفي هذا الكتاب رسالة توجيهية واحدة لهذا العارف الجليل، رضوان الله تعالى عليه.

٢ ـ العارف الكامل، آية الله العظمى الشيخ الهمداني:

هو حسينقلي أي عبد الحسين «باللغة التركية» بن علي الهمداني «١٢٣٩ ـ ١٣١١هـ» ولد في قرية «شَوَند» من توابع مدينة همدان، ويعرف بالملا والآخوند بمعنى الشيخ.

كان أبوه راعياً، وكانت له رغبة شديدة أن ينصرف ابنه لدراسة العلوم الدينية ويصبح في عداد العلماء، لذلك أرسله إلى طهران.

في طهران التحق الآخوند بحوزة درس الفقيه المشهور الشيخ عبد الحسين الطهراني المعروف بشيخ العراقين «عراق العرب وعراق العجم» وكانت هذه الحوزة في مدرسة «المروي» التي تقع وسط طهران.

خلال وجوده في طهران طبق أرجاء إيران صيت العالم العارف والفيلسوف الشيخ هادي السبزواري المعروف بـ«ملا هادي السبزواري» الذي كان يدير رحى الأبحاث الفلسفية في بلده سبزوار ويشتغل بتدريسها.

يمم الآخوند المتعطش للمعرفة، وجهه شطر سبزوار، لينهل من معين ذلك الحكيم الإلهي.

يتحدث الشهيد مطهري عن ذلك ببيان بديع فيقول:

أعظم حسنات الحكيم السبزواري، المرحوم الحكيم الرباني العارف الكامل الإلهي الفقيه المشهور الآخوند الملا حسينقلي الهمداني الدرجزيني قدس سره.

كان هذا الرجل الجليل والعظيم ابن راعٍ صافي الطينة، وقد جاء من همدان إلى طهران لمواصلة الدراسة، إلا أن صيت الحكيم السبزواري وجاذبته المعنوية جذباه إلى سبزوار، وقد بقي في حوزة ذلك الحكيم مدة لا يمكنني الآن تحديدها.

إذا كان جميع تلامذة حوزة الحكيم السبزواري يفتخرون

بالحضور في حوزته فإن حوزة الحكيم تفتخر بحضور رجل مثله «أي الهمداني». انتهى.

وبعد هذه المرحلة شد المولى الهمداني الرحال إلى النجف الأشرف، وفيها كان يحضر درس خاتم الفقهاء وجمال الزاهدين الشيخ مرتضى الأنصاري المتوفى عام «١٢٨٣هج» إلا أن التدبير الإلهي اختار له طريقاً آخر، يتحدث هو نفسه عن ذلك فيقول:

مضت مدة طويلة وأنا أحضر درس الشيخ، وذات مرة علمت أن الشيخ يذهب كل أربعاء دائماً إلى منزل السيد علي الشوشتري ويتتلمذ عليه.

وذهبت ذات يوم فرأيت الشيخ جالساً كما يجلس التلميذ والسيد في هيئة الأستاذ، وكان السيد يتحدث في أمور.

وخطر في ذهني أن أواظب على الحضور، وعندما تهيأت للخروج قال لي السيد: إذا أردت فيمكنك الحضور، وهكذا كان.

كان الآخوند قد انتظر مثل هذا الأستاذ لسنين، لذلك كان يحضر هذا الدرس بلهفة لفتت نظر الأستاذ فأولاه عناية خاصة، ولا غرو فقد كان الآخوند خليفة أستاذه السيد الشوشتري في القيام على منهجه الأخلاقي والتوحيدي.

وبعد وفاة الشيخ الأنصاري قرر الآخوند تدريس الفقه بدلاً من أستاذه المرحوم، إلا أن السيد الشوشتري بعث إليه بما حاصله: لم يحن وقت هذا الأمر بعد، فثمة مقامات أخرى عالية لا بد لك من الوصول إليها.

تلامذته، وآثاره:

بلغ عدد تلامذة مدرسة الآخوند التربوية أكثر من ثلاثمائة، ومن مشاهيرهم:

١ ـ السيد أحمد الكربلائي.

٢ ـ الشيخ محمد البهاري الهمداني «الذي ترجع إليه أكثر رسائل الكتاب الذي بين يديك».

٣ ـ ميرزا جواد آغا ملكي التبريزي.

٤ ـ السيد محمد سعيد الحبوبي المعروف شاعراً ومن رجالات ثورة العشرين.

٥ ـ الشيخ علي القمي.

٦ ـ الشيخ موسى شرارة.

وتتوزع آثار الآخوند العلمية على ثلاثة محاور هي تقريراته لدروس أستاذه الشيخ الأنصاري في الفقه والأصول، وتوجيهاته الأخلاقية التي كتبها بنفسه، وتقريرات دروسه في الفقه والأخلاق التي كتبها تلامذته، ولم يصل إلينا من ذلك إلا القليل[(١)]

---

(١) * حدثني سماحة العالم الجليل المقدس الشيخ موسى شرارة ـ وهو غير سميه الذي ورد اسمه في عداد تلامذة صاحب الترجمة ـ أنه صادف مروره ذات يوم بمحلة القيصرية في النجف بيع بعض الكتب بالمزاد العلني، فلفت نظره كتاب استقر سعره عليه على خمسة دراهم أو سبعة «والترديد مني» فاشتراه وهو لا يعرف حقيقته، وقد لامه بعض الطلاب على ذلك، ثم اتضح له أن الكتاب هو تقريرات الشيخ الهمداني لدروس أستاذه الشيخ الأنصاري في القضاء وقد تولى صهرالشيخ شرارة طباعة الكتاب في بيروت.

ولم يبق من توجيهات الشيخ الهمداني الأخلاقية إلا ما ورد في هذا الكتاب «تذكرة المتقين» وهو على قلته يكشف عن عظمة الآخوند الروحية.

كان الآخوند الهمداني صاحب روح كبيرة وهمة عالية وعزم راسخ في طي الطريق الإلهي، لذلك كان كلامه شديد التأثير في كل من يسمعه، كما كانت نظرته مؤثرة في كل من يراه، وقد نقلت في هذا المجال قصص معبرة ومربية.

وبعد عمر مبارك زاخر بالعلم والعمل وافاه الأجل في طريق كربلاء حيث كان متوجهاً لزيارة سيد الشهداء عليه السلام، وذلك في الثامن والعشرين من شعبان لسنة «١٣١١هج» وقد دفن بجوار مولاه في الحائر الحسيني، تغمده الله تعالى برحمته الواسعة.

٣ ـ الحكيم العارف آية الله الشيخ محمد البهاري الهمداني:

هو محمد بن ميرزا محمد من علماء الطراز الأول وعرفائه، وأحد النجوم الساطعة في سماء العلم والفضيلة والعرفان.

ولد المرحوم البهاري سنة ١٢٦٥هج في مدينة بهار بهمدان وبعد أن بلغ سن الرشد بدأ دراساته الدينية في بهار، ثم انتقل إلى بروجرد حيث تتلمذفيها على السيد محمد البروجردي والد المرجع المعروف السيد حسين البروجردي رحمهما الله تعالى، وفي الثانية والثلاثين من عمره حصل على درجة الإجتهاد وتوجه إلى النجف الأشرف.

وقد لازم فيها درس المرحوم الآخوند الشيخ حسينقلي الهمداني الذي قال في تلميذه: الشيخ محمد البهاري حكيم أصحابي.

كان دخول الشيخ البهاري إلى النجف عام ١٢٩٧وقد ظل ملازماً لهذا الدرس إلى آخر عمر أستاذه.

وحول قوة علاقته بأستاذه وتميزها ينقل السيد الطهراني عن أستاذه السيد الطباطبائي «صاحب الميزان» عن أستاذه السيد علي القاضي، أن المرحوم السيد أحمد الكربلائي ـ زميل الشيخ البهاري في مجلس درس الشيخ الهمداني ـ كان يقول:

كان الآخوند لنا مائة بالمائة، ولكن بمجرد أن تعرف عليه الشيخ البهاري وتعلق به وبدأ يداوم التردد إليه، اختطفه منا!

استمرت ملازمة الشيخ البهاري لأستاذه في السفر والحضر حوالي خمسة عشر عاما، وقد عينه الآخوند وصياً له.

وفي عام ١٣١١هج عندما توفي الأستاذ، واصل التلميذ طريقة شيخه في رعاية الطلاب وتزكيتهم، وقد أخذ منه عدد كبير من العرب والإيرانيين والهنود من العلماء وغيرهم برامج في السير والسلوك، وكان يرشدهم شفهياً أو بالمراسلة.

وهكذا قدر لمدرسة الشيخ الآخوند أن تستمر.

ولقد كانت جاذبية الشيخ البهاري بحيث قيل فيه: لو أن حيوانا مشى معه عشرة أقدام لفدَّاه بنفسه.

وتنحصر الآثار العلمية للشيخ البهاري رحمه الله بالرسائل التوجيهية التي يحتوي هذ الكتاب على عدد منها.

بقي الشيخ البهاري مقيماً في النجف إلى أن ابتلي بمرض نصحه

الطبيب إثره بتغيير المناخ، فتوجه إلى مشهد لزيارة الإمام الرضا عليه السلام، وعندما قرر الرجوع إلى النجف ساءت حالته الصحية فتوجه إلى مسقط رأسه «بَهار» وبقي فيها إلى أن وافاه الأجل في التاسع من شهر رمضان سنة ١٣٢٥هـ، وقبره الآن في بهار مزار معروف تحف به قبور أكثر من ثمانين شهيداً من شهداء الثورة الإسلامية المباركة.

ولمرقده الطاهر عند أهل القلوب حديث ذو شجون حيث تفيض عليهم بركاته، وكان العارف الشهير الشيخ جواد الأنصاري الهمداني يتردد إليه باستمرار، وكثيراً ما كان يطوي المسافة بين مكان إقامته والمرقد والبالغة تسعة عشر كيلومتراً سيراً على الأقدام.

ويتحدث السيد الطهراني عن ضيافة الشيخ البهاري المعنوية لزواره بعد وفاته، وأنه جرب ذلك مراراً كما جربه غيره.

ولعل أهم ما نقل حول المرقد المبارك ما قاله المرجع الكبير الشهير آية الله الشيخ محمد حسين النائيني: المدينة هناك، حيث يرقد الشيخ البهاري!

٤ ـ آية الله العظمى العارف الكبير السيد أحمد الكربلائي:

والده السيد ابراهيم الموسوي الطهراني، وقد ولد السيد أحمد في كربلاء ولذلك يعرف بالكربلائي ولا نعرف تاريخ ولادته بالتحديد.

كان عالماً جليلاً وفقيهاً كبيراً وحكيماً متبحراً وزاهداً عارفاً، تتلمذ في الفقه والأصول على السيد الشيرازي والميرزا حبيب الرشتي

والميرزا حسين خليلي الطهراني، أما في العرفان والأخلاق والتزكية فهو من تلامذة مدرسة الشيخ الآخوند الهمداني المميزين، وكان هو وزميله الشيخ البهاري من أبرز تلامذة هذه المدرسة الذين بلغوا الثلاثمائة كما تقدم.

وكانت له مرجعية هذه المدرسة بعد وفاة الشيخ البهاري حيث أصبح وحيد عصره في الأخلاق في النجف.

يتحدث عنه الشيخ آقا بزرك الطهراني الذي كان جاره لمدة، فيقول:

كان المترجَم أوحدي عصره في مراتب العلم والعمل والسلوك والزهد والورع والتقوى والمعرفة بالله والخوف والخشية منه.

كان يصلي في الخلوات ويتحذر من اقتداء الناس به في الصلوات وكان كثير البكاء حتى أنه لا يملك نفسه في صلاته لاسيما في النوافل الليلية، وقد فزت سنين بقرب داري من داره وشاهدت منه في تلك المدة أموراً يطول ذكرها، وكان خدوماً لأمه باراً بها وتوفي قبلها في آخر تشهد صلاة العصر يوم الجمعة ٢٧ شوال١٣٣٢هج «... ودفن في الصحن المرتضوي الشريف مقابل الإيوان الواقع خلف المرقد المنور، وبرزت من قلمه فوائد لا تحضرني أسماؤها منها مكاتيبه الشريفة لبعض أصدقائه المشتملة على مطالب أخلاقية وتعليم طريق السلوك جمعها الشيخ اسماعيل التبريزي العارف الأديب والمتخلص بـ«تائب» المخلص له، مع مكاتيب الشيخ محمد البهاري الهمداني وبعض مكاتيب شيخهما المولى حسين قلي الهمداني في

مجموعة سماها «تذكرة المتقين» طبعت في ١٣٢٩هج ذكرناها في الذريعة[1].

٥ ـ الشيخ اسماعيل التبريزي «١٢٢٦٨ ـ ١٣٤٧هج»

العالم الزاهد والأديب الكبير الشيخ اسماعيل التبريزي ابن الحاج حسين التبريزي، المتخلص في شعره بـ«تائب» كما مر.

تلقى العلم والأدب في عنفوان شبابه، ثم تتلمذ في النجف على أساتذة عصره، ومنهم الشيخ الآخوند الخراساني والشيخ محمد حسين الغروي الأصفهاني في الفقه والأصول، والشيخ محمد البهاري والسيد أحمد الكربلائي في التزكية والأخلاق.

استقر في آخر عمره الشريف في المشهد الرضوي، وقد وافاه الأجل في السابع عشر من ربيع الثاني سنة١٣٤٧ عن ثمانية وثمانين عاماً، ودفن في المشهد المبارك.

تميز رحمه الله تعالى بذوق أدبي رفيع، وكانت له اليد الطولى في الأدب والأخلاق وسائر العلوم فترك آثاراً أهمها:

١ ـ تذكرة المتقين وهو هذا الكتاب، وقد جمع فيه رسائل ومطالب أخلاقية لأساتذة العرفان البيدآبادي والآخوند الهمداني والبهاري والكربلائي.

٢ ـ المكاتبات العرفانية والفلسفية بين السيد أحمد الكربلائي والشيخ محمد حسين الغروي الأصفهاني «فارسي» وقد اعتمد في تدوين هذا الكتاب الطريقة التالية:

---

(١) * الشيخ آقا بزرك الطهراني، نقباء البشر١/ ٨٧ ـ ٨٨.

استوقفه معنى بيتين بالفارسية للشيخ العطار، في ديوانه الشهير منطق الطير وترجمتهما:

١ ـ إنه دائما المَلِك المطلق المستغرق في كمال عزه.

٢ ـ لم يخرج عن الإستغراق «في كمال عزه» فكيف يدركه العقل[١].

فوجه سؤالا عن معناهما إلى الشيخ الآخوند «صاحب الكفاية» وجاء جواب الشيخ مختصراً، في عدة أسطر لم ينقع غلة روحه الباحثة عن الحقيقة، فما كان منه إلا أن وجه سؤالاً مكتوباً عن معنى البيتين إلى علمين آخرين هما الفيلسوف العارف الزاهد آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني «أستاذ صاحب الميزان» والعارف الزاهد آية الله السيد أحمد الكربلائي أستاذ السيد القاضي الذي هو ـ القاضي ـ أيضاً أستاذ صاحب الميزان ـ وقد تقدم التعريف به ـ وعند تسلمه الجوابين وجد أن بينهما اختلافاً، فحمل جواب كل منهما إلى الآخر، مما نتج عنه أربعة عشر جواباً، شكلت بمجموعها مع جواب صاحب الكفاية الموجز الكتاب الذي عرف باسم «المكاتبات».

١ ـ البلاغ المبين فارسي.

٢ ـ عقائد إسلام فارسي.

٣ ـ مرآة المتقين فارسي.

٤ ـ خلاصته «مجلاة المتقين» فارسي.

---

(١) * العطار، منطق الطير، من قصيدة مجمع مرغان.

٥ ـ روح وريحان كشكول في ثلاث مجلدات.

٦ ـ ديوان الشعر أكثر من ثمانية آلاف بيت.

وله غير ذلك منظومات متعددة تبلغ حوالي سبع وثلاثين منظومة.

٦ ـ الزاهد العارف الشيخ حسن علي نخودكي أصفهاني:

هو الشيخ حسن بن الملا علي أكبر، ولد في أصفهان منتصف ذي القعدة عام ١٢٧٩هج، بدأ تلقي دروسه في أصفهان وتتلمذ على أساتذة عصره المعروفين، ثم توجه إلى النجف الأشرف وفيها تتلمذ على السيد محمد الفشاركي والسيد مرتضى الكشميري والملا اسماعيل قره باغي.

وبعد أن غادر النجف استقر في المشهد الرضوي واستفاد فيها من عدد من الأساتذة منهم السيد علي الحائري والسيد حسن القمي فبلغ مرتبة عالية.

ومنذ شبابه شمر عن ساعد الجد في جهاد النفس، وقد ظهر منه في هذا المجال ما يكشف عن علو الهمة وفرادة الجَلَد والإستقامة.

يدرك ذلك بيسر من يتأمل في سيرته في مجالي العبادة والكرامات، فقد كان يحمل نفسه في العبادة على ما لا يتحمله إلا القليل من الناس، وكانت كراماته في الكثرة والنوعية مما لا يتفق إلا للأوحدي.

وقد جمع ابنه الشيخ محمد علي المقدادي كراماته ضمن سيرته

في كتاب قيم سماه «نشاني أز بي نشانها» وأورد فيه أيضاً ما بقي من كتاباته في باب الأخلاق والتزكية، منها تعليقاته على هذا الكتاب «تذكرة المتقين».

كتب المرحوم الأصفهاني حول هذه التعليقات ما يلي:

كانت لهذا الحقير الفقير كثير التقصير مودة وإرادة للمرحوم الشيخ محمد البهاري قدس سره بهذا المعنى أني زرته «وصلت إلى خدمته» عدة أيام في النجف وقد شملني بعطفه كثيراً وبعد عدة أيام من رجوعي إلى أصفهان كتب إلى الحقير تعليقة جاء فيها: إذا كتبت إليك توصية فإن ذلك نقل التمر إلى هجر، وإذا طلبت منك توصية فإن ذلك تمكين الأبله من الفالوذج وقد توفي بعد ذلك بمدة قصيرة، وبعد فترة وصلتني في مشهد هذه النسخة من تذكرة المتقين، وعندما ذهبت إلى منطقة «كوه بايه» خارج مشهد وحملت معي هذه النسخة وكنت أطالعها ونظراً للعلاقة التي كانت في البين تجاسرت وكتبت في حاشية الكتاب أثناء المطالعة ما وصل إليه رأي الحقير القاصر، لعله يقع في يد أحد فينتفع به.

ثم كتب بالعربية:

كتبه العبد الأحقر الفاني حسن بن علي أكبر الأصفهاني في شهر شعبان سنة ١٣٣١ في الأرض الأقدس الرضوية.

ثم أورد بيتين بالفارسية ترجمتهما:

الهدف أن يبقى منا نقش، حيث أني لا أرى لهذا الوجود بقاء.

لعل الرحمة تحمل صاحب قلب يوماً ليدعو للدراويش.

ثم ختم بالعربية: أللهم ارحمني إذا انقطع «ت» حجتي وطاش لبي وكل عن جوابك لساني.

هذا الكتاب:

تقدم أن الشيخ اسماعيل التبريزي جمعه من كتابات أساتذته، ويتوزع الكتاب على العناوين التالية:

آداب السلوك للشيخ البهاري كتب هذه الرسالة لأحد تلامذته، وكان متوجهاً إلى الحج، فطلب من الشيخ البهاري برنامجاً في آداب الزيارة والسلوك، وقد أورد الشيخ فيها مطالب هامة في سبعة مواضيع:

الأول: آداب الحج تحدث فيه عن الآداب الباطنية والظاهرية ونبذة من أسرار الحج.

الثاني: آداب الزيارة.

الثالث: آداب التوبة.

الرابع: آداب المراقبة.

الخامس: آداب الرفقة.

السادس: آداب السلوك مع الزوجة والعيال.

السابع: آداب تربية الأولاد.

وهذا هو الترتيب الأصلي للكتاب إلا أن ما اعتمد في الطبعات التالية هو جعل آداب الحج والزيارة الموضوعين السادس والسابع نظراً

لاختصاص الحاجة إليهما بمن يريد الحج أو الزيارة، وعليه فتكون بداية الكتاب آداب التوبة [١].

وبعد الرسالة السابقة يتضمن الكتاب مطالب هي أيضاً للشيخ البهاري وهي قسمان الأول: حول صفات العلماء الحقيقين والثاني: توجيهاته إلى تلامذته ومريديه مع رسائل منه إلى مراده ويبلغ مجموع هذه المراسلات ست عشر رسالة، إلا أن الغالب في القسم الأول إما عدم معرفة المخاطب أصلاً، أو معرفته الإجمالية التي لا تكاد تجدي مثل «سفير بغداد» او «الشيخ أحمد التبريزي» أو «أحد علماء آذربايجان» ما عدا الرسالة «الثامنة» التي صرح جامع الكتاب بأنها وجهت إليه.

وحيث إن القسم الثاني في التوجيهات فقد أضاف إليه الشيخ التائب توجيهات لعلماء آخرين هي عبارة عن أربعة رسائل توجيهية من السيد أحمد الكربلائي، وإحدى إجاباته على سؤال جامع الكتاب حول بيتي الشيخ العطار وقد تقدم إيضاح ذلك، ثم رسالة توجيهية من الشيخ حسين قلي الهمداني إلى أحد علماء تبريز، وخمس مقطوعات أدبية عرفانية يخاطب فيها نفسه، ثم رسالتين من المرحوم البيدآبادي إلى طلابه.

ويتضح مما تقدم أن هذا الكتاب هو المرجع الأول للتعريف بمدرسة المقدس الشيخ حسين قلي الهمداني وأبرز تلامذته.

---

(١) * وهو ما اعتمد في هذه الطبعة لجودته.

وقد طبع الكتاب ست طبعات بالفارسية[١] لغته الأصلية الغالبة، وأبرز ما تمتاز به الطبعة السادسة هو تعليقات المقدس الشيخ حسن علي الأصفهاني كما تقدم.

علي صدرائي خوئي

٢٤ مرداد ١٣٧٥شمسية

(١) * حصلت منها على ثلاث كما تقدم، وبينها الطبعة الأولى.

آداب التوبة

إعلم يا أخي أن التوبة من المعاصي، أولُ طريق السالكين إلى الله، ورأسمال الفائزين، ومفتاح استقامة المريدين، وأصل النجاة، وبالتوبة تُجتنب المهالك، وقد وردت الآيات والأخبار الصحيحة بفضلها... ويكفي قول أصدق الصادقين جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ وقول النبي ﷺ: **التائب من الذنب كمن لا ذنب له**[1].

وحيث أننا كثيراً ما نذكر الإسم فقط، وأنّ على الشخص أن يتوب توبة صحيحة، فلا ضرر من الإشارة إجمالاً إلى قواعد التوبة[2].

ذكرت عدة معان للتوبة ومعناها الفقهي هو: ترك المعاصي في الحال، والعزم على تركها في المستقبل، وتدارك ما كان قد ارتكبه، ونشر بساط الوفاء.

(١) المحجة البيضاء ج٧/ ٩وقد روي هذا الحديث الشريف أيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) في أصل نسخة هذا الكتاب ورد بحث آداب التوبة بعد آداب الحج وآداب الزيارة، لكن رأينا من المناسب تقديم هذا البحث على سائر المباحث. قال المؤلف في بحث آداب الزيارة: إذا استطاع أن يتوب توبة صحيحة بجميع المقررات الممدوحة في محلها فليأت بها في خدمة الإمام عليه السلام.

وتطلق التوبة أيضاً على مطلق الندم.

وعلى أي حال، لا إشكال في وجوبها عقلاً وشرعاً بلا تأمل، إذ لو علمت انحصار السعادة الحقيقية الأبدية في لقاء الله تعالى في دار القرار، علمت أن المحجوب عنه شقي محترق بنار الفراق في دار البوار. وأغلظ الحجب هو حجاب اتباع الشهوات وارتكاب السيئات، لكونها إعراضاً عن الله تعالى بمتابعة عدوه الشيطان والهوى، بل بعبادتهما في الواقع بمفاد قوله: من أصغى إلى ناطق فقد عبده[١].

وعلمتَ أيضاً أن الإنصراف من طريق البعد للوصول إلى القرب واجب، ولا يتم الإنصراف إلاّ بالأمور الثلاثة المذكورة في معنى التوبة. وقد قرر في محله أن مقدمة الواجب واجب عقلاً وشرعاً، نظراً إلى الملازمة، ووجوبها أيضاً فوري.

والسبب، أنه كما إذا شرب شخص سمّاً، فإذا كان يريد صحة بدنه فيجب عليه فوراً أن يبذل الجهد ليتخلص من ذلك السم بالطريقة الممكنة، وإذا تساهل فسيهلك نفسه فوراً، وسموم المعاصي كذلك، فإذا تساهل «العاصي» في التوبة، فكثيراً ما تكون النتيجة موتَه فوراً، ويختم له بالشر، نعوذ بالله تعالى.

جميع الأنبياء كان جل خوفهم في دار الدنيا من سوء الخاتمة[٢]. **نعم، فالبدار البدار يا إخوان الحقيقة وخلان الطريقة إلى**

(١) * الشيخ المفيد، الإعتقادات/ ١٠٩، والحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة ج١/ ٥٢٦، والمجلسي، بحار الأنوار ج٢/ ٩٤وج٢٦/ ٣٩.

(٢) ليلتفت أن لا يخدعه الشيطان، فيقول له: ثمة أشخاص كالفضيل بن عياض أو بشر الحافي،=

التوبة الرقيقة الأنيقة، قبل أن تعمل سموم الذنوب في روح الإيمان ما لا ينفع بعده الإحتماء، وتنقطع عنه تدابير الأطباء، ويعجز عن التأثير نصح العلماء، وتكونوا من مصاديق قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس ٩ ـ ١٠].

ثم اعلم أيها الأخ العزيز أنك لا تخلو من المعصية في جوارحك، من الغيبة والأذية والبهتان وخيانة البصر وغيرها من صنوف المعاصي وأنواعها.

ولو فرض «خلوُك منها» فلا تخلو من الرذائل في نفسك والهمِّ بها.

وإن سَلِمْتَ، فلا أقلَّ من غفلة وقصور في معرفة الله وصفات جماله وجلاله وعجائب صنعه وأفعاله.

ولا ريب في أن كل تلك منقصة فيك، ويجب الرجوع عنها،

=كانوا لسنوات طوال من أهل المعاصي، وفي آخر الأمر تابوا وأصبحوا في سلك الأولياء، يجب التنبه إلى أن ذلك حصل لهم لأن السم لم يؤثر في مزاجهم فيهلكهم. هناك مثل معروف، لا يتحقق فصل الربيع بوجود زهرة واحدة «أي أن الفضيل أو بشر لا يقاس عليهما غيرهما، وما تحقق بالنسبة إلى كل منهما استثناء وليس قاعدة». وكذلك إذا قيل إن فلاناً وقع من أعلى المئذنة ولم يمت، فليس معنى ذلك أن سائر الناس يجب أن لا يحذروا من السقوط من أعلى المئذنة، بل يجب عليهم الإحتياط دائما، والعقلاء يعتبرون مثل ذلك من القضايا الإتفاقية، «التي يتفق وقوعها» بل على الإنسان أن يتذكر معنى الآية الشريفة: ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله، وأن يكون نصب عينيه دائماً الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام: في الكافي عن الباقر عليه السلام: ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً، خرج في تلك النكتة البيضاء نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب، زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطي البياض، لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً. الأصفهاني. وانظر: الكليني، الكافي٢/ ٢٧٣.

ولذا تجب التوبة عليك في كل آن من آنائك.

قال أشرف المخلوقات ﷺ: إنه لَيُغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة(١).

فبناءً على ما ذكرنا، لو تأملت حق التأمل في الجنايات الواردة عليك باختيارك وإرادتك، لطار اللون من وجهك، والنوم من عينك، والعقل من رأسك، لكنه هيهات.

بلى، تكلم بالفارسية رغم أن العربية أحلى.

والآن، وبعد أن علمت معنى التوبة ولزومها، وأن تركها يسمى إصراراً، إعلم أن الله جل وعلا يقبل الصحيح من التوبة بشرط أن تغسل بماء العين أدران المعاصي من القلب، بعد إضرام نار الندم فيه، وكلما كان تأثير الندم في القلب أكثر، فإن ذلك سبب «مزيد» الأمل بتكفير الذنوب، وعلامة الصدق، لأنه يجب إبدال حلاوة شهوة المعاصي بمرارة الندم ليكون ذلك علامة تبدل السيئات بالحسنات.

ألم تسمع قصة نبي من بني إسرائيل، وقد سأل الباري جل شأنه قبول توبة عبد من عباده، بعد أن أمضى ذلك العبد سنين في الجد والإجتهاد في العبادة، فجاء الجواب: **وعزتي لو شفع فيه أهل السماوات والأرض لن أقبل توبته، مادامت في قلبه حلاوة الذنب الذي**

(١) * أورده بصيغة قريبة المجلسي، البحار، ج٢٥/ ٢٠٤وفي الهامش ذكر كلام الطريحي عن البيضاوي والأصمعي حوله. وانظر النسائي، السنن الكبرى ج٦/ ١١٦وفيه مائة مرة وفي بعض مرويات البحار كذلك. والحديث مستفيض في المصادر. وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: كان رسول الله ﷺ يتوب إلى الله عزو جل في كل يوم سبعين مرة، فقلت: أكان يقول أستغفر الله وأتوب إليه قال لا ولكن كان يقول: أتوب إلى الله. ميزان الحكمة ج٣/ ٢٢٧٨.

تاب منه(١).

من هنا قالوا بوجوب إذابة اللحم الذي نبت من الحرام، لأنه لحم فاسد، وهو يفسد اللحم الصحيح، والله المستعان(٢).

كذلك يجب أن يتعلق قصد التائب بترك كل محرم وأداء كل واجب **في الحال، وعلى الدوام في الإستقبال إلى حين الموت،** وأن يتدارك كل ما فاته في الزمن السابق.

ويجب أن يجيل فكره من حين البلوغ، بل وقبل البلوغ، فيتذكر حالاته الماضية حالةً حالة، ليرى ماذا فعل؟ مَن جالس؟ بمال من فرَّط؟ أعمَّ من العمد والخطأ، وأعم من التكليف وعدم التكليف، يحسب ذلك جميعاً، فإذا كان ذوو العلاقة موجودين، ولو ورثتهم، يتسامح منهم، وإلاّ فليدفع بعنوان رد المظالم **عند القدرة والإستطاعة**.

ولينظر ماذا ترك من الطاعات فيقضيه، وإذا كانت قد ترتبت عليه

---

(١) كما هو الحال في الأمراض الظاهرية، فإذا ابتلي شخص بمرض وعالجه بعض الشيء بشكل غير جذري، بحيث ظلت بقايا المرض كامنة فيه، فإن هذا المرض سوف يظهر مجدداً لدى تعرضه لأبسط انتكاسة، فهو لم يصبح بعد سليماً معافى، ويجب أن يستأصل المرض من جسمه بالطرق العلاجية المناسبة، كذلك الأمر في الأمراض القلبية والباطنية، وما أشد مناسبة الدواء الذي سأل عنه عمار بن ياسر أميرَ المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة. في البحار عن الرضا عليه السلام «أن» عمار بن ياسر قال: بينا أنا أمشي بأرض الكوفة إذ رأيت أميرَ المؤنين علياً عليه السلام جالساً وعنده جماعة من الناس، وهو يصف لكل إنسان ما يصلح له. فقلت: يا أمير المؤمنين، أيوجد عندك دواء الذنوب؟ فقال عليه السلام: نعم، إجلس. فجثوت على ركبتي حتى تفرق عنه الناس، ثم أقبل عليّ وقال: خذ دواءً، أقول لك، قال: قلت: قل يا امير المؤنين. قال عليه السلام: عليك بورق الفقر، وعروق الصبر، وهليلج الكتمان، وبليلج الرضاء، وغاريقون الفكر، وسقمونيا الأحزان، واشربه بماء الأجفان، واغله في طنجير الفلق، ودع «دعه» تحت نيران الفراق، وصفِّه ثمَّ بمنخل الأرق، واشربه على الحرق، فذاك دواؤك وشفاؤك يا عليل. «...» الأصفهاني.

(٢) * إشارة إلى صعوبة التوبة الصحيحة.

الكفارة فليدفعها، وليوصل ما بقي في ذمته من الحقوق الأخرى من قبيل الخمس وحق الإمام والزكاة، إلى أصحابها، وحذار أن ينسى عملاً يحتاج إلى تدارك وتعويض، ويخرج من الدنيا دون أن يتداركه، فيبقى في العذاب الأبدي.

وإلى جميع ما ذكر يشير قول الإمام عليه السلام:

الإستغفار إسم واقع على ستة معان: أولها الندم على ما مضى، ثم العزم على ترك العود إليه أبداً، وأن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم، حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة، وأن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها، وان تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان، حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، وأن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول أستغفر الله[1].

نعم ما أجمل أن تكون الطاعة في التوبة من جنس المعصية، فإذا كان قد سافر مثلاً سفر معصية، استبدله بسفر طاعة، **ونحو ذلك مما يطول ذكره في الأمثلة.**

وإذا أدى «التائب» مقدمات التوبة وفق النهج المذكور حقاً، فمن الجيد أن يُحَصِّل بعد ذلك قليلاً من الحزن، ثم يتوب بعد ذلك بالطريقة التي رواها في هذا الباب، السيدُ ابن طاووس قدس سره العزيز، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهي كما يلي:

---

(١) * أنظر: الطبرسي، مكارم الأخلاق/ ٣١٤.

عن أنس بن مالك قال: خرج رسول الله ﷺ، يوم الأحد في شهر ذي القعدة، فقال: أيها الناس، من «كان» منكم يريد التوبة؟ قلنا: كلنا نريد التوبة يا رسول الله. فقال عليه السلام: إغتسلوا وتوضؤوا وصلوا أربع ركعات، واقرأوا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وقل هو الله أحد ثلاث مرات، والمعوذتين مرة، ثم استغفروا سبعين مرة، ثم اختموا **بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**، ثم قولوا: يا عزيز يا غفار، إغفر لي ذنوبي وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وفي بعض نسخ الإقبال تقول سبع مرات **يا عزيز يا غفار، إغفر لي ذنوبي وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**[1].

ثم قال عليه السلام: ما من عبد من أمتي فعل هذا إلاّ ونودي من السماء: يا عبد الله، إستأنف العمل فإنك مقبول التوبة، مغفور الذنب، وينادي ملك من تحت العرش: أيها العبد، بورك عليك وعلى أهلك وذريتك. وينادي مناد آخر: أيها العبد، تُرضى خصماؤك يوم القيامة، وينادي منادٍ آخر: أيها العبد، تموت على الإيمان، ولا أسلب منك الدين، ويفسح في قبرك وينور فيه، وينادي منادٍ آخر: أيها العبد، يرضى أبواك وإن كانا ساخطين، وغفر لأبويك ذلك «كذا ولعلها ولك» ولذريتك، وأنت في سعة من الرزق في الدنيا والآخرة، وينادي جبرئيل عليه السلام: أنا الذي آتيك مع ملك الموت عليه السلام أن يرفق

(١) * هذه الإضافة من الشيخ البهاري عليه الرحمة والرضوان.

بك «كذا» ولا يخدشك أثر الموت، إنما تخرج الروح من جسدك سلاً. قلنا يا رسول الله، لو أن عبداً يقول في غير الشهر؟ فقال عليه السلام: مثل ما وصفت، وإنما علمني جبرئيل هذه الكلمات أيام أسرى بي الله ربي[١].

وينبغي أن يتصدق قبل هذا العمل بشيء، حتى إذا كان قليلاً، لأن صدقة السر تطفئ الغضب الإلهي، ثم يغتسل ويذهب إلى الصحراء أو إلى مكان خالٍ، ويجلس على التراب، ويتذكر معاصيه واحدة واحدة، ويتلفظ بها، بالشكل التالي:

يا إلهي عصيتك المعصية الفلانية في المكان الفلاني والزمان الفلاني في محضرك المقدس، وكنتَ قادراً أن تفنيني في تلك الحال، فحلمتَ ولم تأخذني آنذاك، أنا الآن نادم، أخطأتُ، تجاوز عني. ونعم ما قيل:

إذا كنت لفترة سالكا طريقاً بين الناجي والهالك،

فقد أخطأت، لم أفهم ما ينبغي، وأنا نادم من فعلي[٢]

وهكذا، فعلت الفعل الفلاني في الوقت الفلاني، يبقى يعيد ذلك بهذا النحو إلى أن يتعب، ويجب أن يكون ذلك مع الحزن والبكاء.

ومن الجيد بعد ذلك أن يقرأ دعاء التوبة في الصحيفة السجادية،

(١) * الإقبال/ ٣٠٨ط.ق.

(٢) * مضمون بيت بالفارسية.

وأوله **يا من لا يصفه نعت الواصفين** بل يقرأ المناجاة الأولى من المناجاة الخمسة عشر، ويردد بحرقة قلب:

أتيت بابك بمائة صرخة وآه، دأب العظماء العفو ودأب الوضيعين الذنب(١)

وليقل: أنا لا أستطيع الوفاء بشروط التوبة، أقسم عليك بالمقربين إلى ساحة قدسك، أن تقبل توبتي، وتحملني على الثبات على هذا العزم، وليكن ظنه أن هذه التوبة مقبولة قطعاً، ودعاؤه مستجاب، لأن إله العالم جل ذكره يعامل العبد بمقدار حسن ظنه بخالقه، وتشهد بذلك جملة من الأخبار.

وإذا نقض توبته ـ لا سمح الله ـ وارتكب معصية أيضاً، فليتب مجدداً ولا يبعثه نقض التوبة على الكسل، فإنه أرحم من كل رحيم.

إعلم أن للإنسان بالنسبة للمعاصي ثلاث حالات:

١ ـ حالة قبل ارتكاب المعصية.

٢ ـ وحالة حين ارتكابها.

٣ ـ وحالة بعدها.

وأحكام هذه الحالات الثلاث مختلفة

أما قبل ارتكاب المعصية، فيجب أن يقرأ على نفسه أخبار الخوف، بل أن يصرف نفسه فيقول لها:

---

(١) * مضمون بيت.

لعلك إذا ارتكبتِ هذا العمل، إستحققتِ **إني لا أغفر لك أبداً،** لأن بين العبد والمولى حداً تكون المعصية دونه قابلة للعفو، وإذا تجاوز ذلك الحد ـ العياذ بالله ـ سيعتبره المولى عاقاً ولا مجال لاستحقاقه المغفرة، وتصبح الرحمة له خلاف مقتضى الحكمة. فيجب أن يخوِّف الإنسان نفسه لترتدع.

وكذلك الأمر حين المعصية يجب أن يخوف نفسه أكثر لأن **ملك الملوك جل شأنه العظيم، حاضر وناظر،** وعبده يهتك حرمته المقدسة في حضوره، مع أن جميع نقاط العالم المتراصفة، جنده، وإذا أشار فكل نقطة سواء في الأرض أو في السماء، أو أجزاء الإنسان نفسه، وجوارحه، أم غير ذلك، التي لا يتناهى تعدادها، تقضي عليه فوراً وتبيده، لذلك ينبغي أن يكون في تلك الحالة خائفاً جداً ومضطرباً، وفي أية مرحلة من مراحل المعصية تراجع فذلك جيد.

وإذا غلبته الشهوة **نستجير بالله** ولم يرجع، وعصى وندم بعد ارتكاب المعصية، فيصبح الوقت وقت قراءة أخبار الرجاء، حتى لا ييؤسه الشيطان الملعون من التوبة، وحتى لا يقول له: لا يمكنك إصلاح أمرك بعد، فقد نقضت التوبة **عن عمد والتفات** فأية توبة لك بعد، هذه ستكون أيضاً مثل سابقتها، ليتيقن أن هذه الوسوسة من ذلك الشقي، بل إن كل خيال نتيجته ان اترك العمل، هو خيال من الشيطان.

يجب أن يقول: مولاي كريم، هو أمر أن اليأس من الرحمة، من المعاصي الكبيرة، فكيف لا أقصد بابه، إنه **راحم من لا راحم له،** ولشدة جوده سمى نفسه الوهاب، وهو عند حسن ظن عبده المؤمن.

ألم تر أنه قبل قاتل الحمزة سيد الشهداء سلام الله عليه؟

ألم يطرق سمعك كيف بلسم جراح قلب النباش؟[١]

ألم تسمع أنه هو قال: يا موسى، أغفرُ لكل أحد إلاّ قاتل الحسين؟

لم يستثن أحداً إلاّ قاتل سيد الشهداء عليه السلام.

هذه الكلمات تدل صراحة على أن الإنسان إذا لم يكن متمرداً بحيث تصبح الرحمة له قبيحة، فإن الله سبحانه يرحمه، وفي الخبر النبوي صلى الله عليه وآله وسلم أنه إذا قتل شخص سبعين نبياً وتاب قبلت توبته.

فلا ينبغي اليأس إذاً من رحمة الله الواسعة، ولا يصح القعود عن التوبة لأنه إذا كان من مجال لإصلاح الإنسان أمره، فإن ذلك متوقف على الإقبال إلى الله، أما سمعت:

إليّ، إليّ، ومهما كنت فأيضاً إليّ.

حتى إذا كنت كافراً وزردشتياً وعابد صنم، فأيضاً إليّ.

فإن بابنا هذا ليس باب يأس.

فإذا نقضت توبتك مائة مرة فأيضاً إليّ[٢].

ثم اعلم أيها الأخ العزيز أن هذه التوبة التي ذكرت بهذا التفصيل، إذا أديتها «على ما هي عليه» دون نقص أو زيادة، فقد

(١) * أنظر: لقاء الله / ملكي تبريزي/ ص ٦٥ إلى ٧٢.

(٢) * مضمون بيتين بالفارسية، أبو سعيد الخير، ديوانه، رباعي.

وصلت إلى أول درجة التوبة، وهي بعدُ القشر، لم تصل إلى الجلد. فالتوبة ليست مجرد لفظ، إنها بحاجة إلى **حال،** وتلك الحال على درجات، تتصف بجميع أخلاق الحقائق، يجب أن يحس بها الإنسان[1].

وتلك مطالب «وحقائق» «**لا يمسها إلاّ المطهرون**» ، وإلا فإن حضرة آدم عليه السلام قال كلمة «**ربّنا ظلمنا أنفسنا،**

ـ و«أنا» الحقير أرددها ليل نهار ـ وكذلك حضرة أيوب قال كلمة ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ وأنا أقولها أيضاً، **لكن كم من فرق بين الأمرين** في المعاني التي يرمز إليها الكلام، وطريقة قوله وحقيقته، ولا دخل لذلك بسؤالك وجوابي.

لا تتسع الرسالة لتفصيل هذا المطلب. **اللهم اهدنا فيمن هديت.**

فحاصل الكلام من البدو إلى الختام بتقرير آخر: إن السالك سبيلَ التقوى يجب عليه مراعاة أمور:

(١) لكل ملك ملكوت، ولكل رقيقة حقيقة. الأصفهاني.

آداب المراقبة

الأول: ترك المعاصي وهذا هو الذي بني عليه قوام التقوى وأسِّس عليه أساس الآخرة والأولى، وما تقرب المتقربون بشيء أعلى وأفضل منه.

من هنا سؤال حضرة موسى عليه السلام لحضرة الخضر: ماذا فعلتَ حتى أُمرتُ أن أتعلم منك؟ بماذا بلغت هذه المرتبة؟

قال: **بترك المعصية.**

إذن يجب أن يُكْبر الإنسان ذلك ويراه عظيماً، ونتيجته أيضاً كبيرة وعظيمة.

حقاً، كم هو قبيح من العبد الذليل المستغرق **آناً فآناً** بالنعم الإلهية وهو في محضره سبحانه بمفاد قوله: «**مع كل شيء لا بمفارقة، وغير كل شيء لا بمزايلة**»[1]. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

مع هذا يكشف «العبد» برقع الحياء عن وجهه ويرتكب بجرأة

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١.

وجلافة ما نهى عنه حضرة ملك الملوك، ما أشنعه وما أجفاه حقاً إن مثل هذا الشخص يستحق أن يسجن **أبد الآبدين** في سجن **جبار السماوات والأرضين** إلاّ أن يتوب ويشمله رداء رحمته الواسعة.

الثاني: الإشتغال بالطاعات، أيّ طاعة كانت بعد الفرائض لكن بشرط الحضور فإن روح العبادة هو حضور القلب الذي بدونه لا يصلح القلب.

بل قيل إن العبادة بلا حضور «وتوجّه» تورث قسوة القلب.

إذا كان «الشخص» من أهل الذكر فجيد أن يكون ذكره أوائل أمره الإستغفار، وفي الأواسط الذكر اليونسي، يعني: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وفي الأواخر، الكلمة الطيبة **لا إله إلا الله** بشرط الإستمرار مضافاً إلى الحضور.

الثالث: المراقبة يعني أن لا يغفل عن حضور حضرة الحق جل شأنه[1] **وهذا هو السّنام الأعظم والرافع إلى مقام المقربين، ومن كان طالباً للمحبة والمعرفة فليمسك بهذا الحبل المتين. وإلى هذا يشير قوله** ﷺ: **أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**[2].

إذاً يجب أن يكون حاله في الباطن كذلك دائماً، كأنه واقف بين يدي مولاه، ويكون ملتفتاً لذلك.

وفي هذا الخبر مغزىً هام وهو:

(١) لا تغفل طرفة عين عن ذلك القمر، فلعله ينظر وأنت لست متيقظاً. «مضمون بيت». الأصفهاني.

(٢) ❊ النمازي «الشيخ علي» مستدرك سفينةالبحار، ج٧/ ٢٥٩، وقريب منه: الطبرسي، مكارم الأخلاق/ ٤٥٧.

كأن ملخص الفقرة إشارة إلى أنه لا داعي في مجال العبادة إلى أن يتصور الإنسان ربه، أو يعلم ما هو، حتى يحتاج إلى الواسطة من المخلوقات كما يقول بعض الجهال من الصوفية[١].

بل يكفي للتوجه إليه هذا المقدار، **وإن لم يعلم أنه ما هو وكيف هو، فتأمل فإنه دقيق نافع.**

الرابع: الحزن الدائم:

إما من خوف العذاب إذا كان من الصالحين، وإما من كثرة الشوق، إذا كان من المحبين، لأنه بمجرد انقطاع خط الحزن من القلب، ينقطع خيط الفيوضات المعنوية.

ومن هنا حكي عن لسان حال التقوى أنها قالت: إني لا أسكن إلا في قلب محزون.

والشاهد على المدّعى قولُه تعالى: **أنا عند المنكسرة قلوبهم**[٢].

إذاً إعلم يا عزيزي، أنه كلما ورد على قلب الإنسان من قبيل المحسنات، سواء كان الحزن أو الفكر أو العلم أو الحكمة أو غير

(١) ❊ يرد رحمه بذلك على مقولة ضرورة تصور المرشد والتوجه إليه كما يقول بعض الجهال من الصوفية.

(٢) ❊ الشهيد الثاني منية المريد ـ ص ١٢٣، وقد ورد في الهامش:
روي هذا الحديث القدسي في «تفسير كشف الأسرار» ج ١ / ١٣٥، ٧١٠، وج ٦ / ١٧١، وج ٩ / ٢٨٣، و«تذكرة الاولياء» / ١٨٦، و«تفسير الرازي» ج ٢ / ١٨٣، و«بداية الهداية» / ٤٢، وفي «بحار الانوار» ج ٧٣ / ١٥٧ ـ نقلاً عن نوادر الراوندي ـ وسئل ـ رسول الله ﷺ ـ أين الله ؟ فقال: عند المنكسرة قلوبهم وفي غرر الحكم ج ٤ / ٢٣٨، الحديث ٥٩٣٧: طوبى للمنكسرة قلوبهم من أجل الله. ٢ ـ تفسير الرازي ج ٢ / ١٨٣.

ذلك، فهو مثل الضيف الذي ينزل بالشخص، إذا اهتممت بواجب الضيافة وإكرام الضيف وأحسنت وفادته وأنزلته في مكان نظيف مريح، واعتنيت به حق العناية، فإنه سيرغب في المستقبل بالنزول في بيتك، أما إذا آذيته، فمن الصعب أن يعود.

إذا كان لك مع الله تعالى حالة «وتوجه»، فيجب آنذاك، أن تعرف قدر هذا الحال، وأن لا تضيعه، وإلا فبعد أن يزول هيهات أن يمكنك إرجاعه. وإجمالاً إذا أردت أن تسمع برائحة من الإنسانية، فيجب أن تجاهد، وإنه لأصعب من الجهاد مع الاعداء [(١)]، ويسمي العرفاء هذا الجهاد **الموت الاحمر**.

ومعنى المجاهدة هذه، أنك أولاً يجب أن تؤمن بأن أعدى عدوك نفسك التي يقع رأسمالك في تصرفها، وهي المتصرفة في أركان وجودك مع الشياطين الخارجين الذين هم أصدقاؤها. إذن يجب أن تكون ذكياً جداً.

عندما تصبح يجب أن تقوم بعدة اعمال:

الأول: **المشارطة**، كما أنك عندما تريد أن ترسل شريكك المالي في تجارة تشترط عليه شروطاً، هنا يجب أن تذكر تلك الشروط بعينها، بل أكثر، لأن خيانة ذلك الشريك المالي لم تثبت بعد، وخيانة هذه «النفس» التعيسة ثبتت، وانكشفت مراراً وتكراراً،

الثاني: **المراقبة**، ومعنى المراقبة القيام بمهمة حراسة النفس،

(١) قال الصادق عليه السلام: ليس بين العبد وبين الله حجاب أظلم وأوحش من النفس والهوى، وليس لقمعهما وقطعهما سلاح مثل السهر بالليل والظمأ بالنهار. الأصفهاني.

«الخفر»، مخافة ان تحمل الأعضاء والجوارح على المخالفة «المعصية»، فتضيِّع العمر العزيز الذي يعتبر كل آن منه أغلى من جميع الدنيا وما فيها.

الثالث: المحاسبة، أي عندما يخيم الليل، يجب أن يجلس «العبد» للحساب؛ هل حصل على منفعة أم أنه قد لحق به ضرر؟ وعلى الأقل إن كان لم يخسر رأسماله فقد ربح.

الرابع: إما المعاتبة، «عتاب النفس، وتأنيبها»، إذا كانت لم تحصل على منفعة، أو المعاقبة، إذا كانت قد جلبت ضرراً، ومعنى العقاب أن يوقع نفسه في الرياضيات الشرعية الشديدة، مثل الصوم في الحر، أو الحج ماشياً لمن لا يؤدي به ذلك إلى الهلاك، وأمثال ذلك مما يؤدي إلى طاعة النفس وترويض جموحها في فترة قصيرة،

والحاصل: أنه لو منعتك القساوة من التأثر بالمواعظ الشافية ورأيت الخسران من نفسك يوماً فيوماً، فاستعن عليها بدوام التهجد والقيام، وكثرة الصلاة والصيام، وقلة المخالطة والكلام، وصلة الأرحام، واللطف بالأيتام، وواظب على النياحة والبكاء، واقتد بأبيك آدم وأمك حواء، واستعن بأرحم الراحمين، وتوسل بأكرم الأكرمين، فإن مصيبتك أعظم، وبليتك أجسم، وقد أنقطعت عنك الحيل، وزاحت عنك العلل، فلا مذهب ولا مطلب، ولا مستغاث ولا ملجأ إلا إليه تعالى، فلعله يرحم فقرك ومسكنتك، ويغيثك ويجيب دعوتك، إذ هو يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، ولا يخيب رجاء من أمله إذا رجاه، ورحمته واسعة، وأياديه متتابعة، ولطفه عميم، وإحسانه قديم، وهو بمن رجاه كريم، أللهم آمين.

آداب الرفقة

حيث أنه كان من المفترض الإشارة إلى كيفية الصحبة في السفر وغيره، فاعلم **أيدك الله تعالى للعمل**، أنه يجب أن لا تكون لك أهداف دنيوية مع أي شخص تريد صحبته، لأنك ستيأس، بل يجب أن تكون مؤاخاتك له لله وفي الله.

وأخبار أهل البيت في مدح هذا النحو من المؤاخاة بلغت حد التواتر المعنوي.

وبعد تحقق هذا الهدف تنبغي مراعاة عدة أمور في الطرف المقابل «من تريد صحبته»، فليس كل شخص صالحاً للأخوَّة في الله، بل يجب أن تتوفر فيه عدة صفات على الأقل، ولذا قال رسول الله ﷺ: **«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»**[1].

الصفة الأولى: أنه يجب أن يكون عاقلاً، أي أنه يعلم حجم كل

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ / ١٩٢ وقد ورد فيه من «يخالل» وكانت هنا في الأصل «يتخالل».

أمر **على ما هو عليه**، ولو بالتعلم من الغير لأنه لا خير في صحبة الأحمق[١]، ومن البديهيات الأولية أن الأحمق يريد أن ينفعك فيضرك[٢] ضرراً دنيوياً أو غير دنيوي، وذلك بدافع عدم الإدراك وحب الخير بحسب اعتقاده.

الثانية: أن يكون حسن الخلق، فمطلق العقل لا يكفي لأنه كثيراً ما يكون الإنسان عاقلاً ولكن تغلب عليه إحدى القوتين الشهوية والغضبية، ولذا يتصرف بخلاف مدركاته العقلية، **من غير شعور**، وتترتب على ذلك مفاسد عظيمة.

الثالثة: أن يكون من أهل التقوى والصلاح، لأن الفاسق الذي يخالف ربه لن يأبى أن يخالفك، ثم إنه يدور وراء هواه، ويتلون كل ساعة بلون بحسب اختلاف الأغراض، والشاهد على أصل المدعى الآية الشريفة: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾. ولصحبته مفاسد أخرى، منها أن معاشرة أهل الفسق تسهل المعاصي ـ **نستجير بالله** ـ في نظر الإنسان، **والله العالم**.

الرابعة: أن لا يكون مبتدعاً «من أهل البدع»، لأنه بالإضافة إلى خوف سراية البدعة، يُخشى أن يشملك العذاب أو اللعنة التي تحل عليه.

---

(١) إن وضع الأحمق حلوى قرب فمي، فأنا من حلوى الأحمق في برم. الأصفهاني. «مضمون بيت» لمولوي، مثنوي معنوي.

(٢) مأخوذ من نصيحة الإمام أمير المؤمنين لولده الإمام الحسن عليهما السلام: «يا بني، إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك» نهج البلاغة ـ الحكم/ ٣٧.

في الرواية: **لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الله كواحد منهم**(١)**. وهذا خطر عظيم.**

الخامسة: أن لا يكون حريصاً على الدنيا، **فإن مجالسته سم قاتل قهراً**، وسيسري إليك بسبب أن الطبع يسرق، **ولعل إلى جميع ما ذُكر يشير قول مولانا الصادق** عليه السلام:

إحذر أن تؤاخي من أرادك لطمع أو خوف أو فشل أو أكل أو شرب، واطلب مؤاخاة الأتقياء ولو في ظلمات الأرض وإن أفنيت عمرك في طلبهم فإن الله لم يخلق بعد النبيين على وجه الأرض أفضل منهم وما أنعم الله على العبد مثل ما أنعم الله به من التوفيق لصحبتهم» قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾. وبشكل عام، إن الأمر في الصحبة أكثر من هذا، والهدف هنا الإختصار.

نقل عن المأمون، أن الرفيق على ثلاثة أقسام:

الأول: كالأكل الذي يحتاج الإنسان إليه.

الثاني: كالدواء الذي يحتاج الإنسان إليه.

الثالث: كالمرض الذي لا يحتاج الإنسان إليه أبداً، لكنه قد يبتلى به أحياناً.

(١) هكذا أورد رحمه الله الحديث بالفارسية. وفي البحار ج ٧٤/ ٢٠١ عند الناس بدلاً من عند الله.
* ولعل ثمة حديثاً آخر بهذا المضمون.

نعم، إذا وجدت رفيقاً متصفاً بالصفات الحميدة[١]، فيجب أن تعرف قدره ولا تخسره بسهولة، راع حقوقه، فإن له عليك أنواعاً من الحقوق:

الأول: الحق المالي، يجب أن تبذل له المال، ولهذا مراتب:

أحطُّها، أن تعتبره بمنزلة خادمك وعبدك[٢]، إذا احتاج إلى مالك بذلته له، قبل أن يطلبه منك، وإذا جعلته يحتاج إلى طلبه والسؤال فقد قصّرت.

الثانية: أن تنزله منزلة نفسك ويكون شريك مالك بالسَّويَّة.

المرتبة الثالثة: أن تؤثره بمالك حتى إذا كنت محتاجاً إليه.

والمرتبة الأعلى من هذه، أن تؤثره بالنفس، كما أن علياً عليه السلام آثر ليلة المبيت، لكن لا يجب التقصير في بذل المال، فإن الشرع يؤكد عليه كثيراً.

---

(١) هذا هو الكبريت الأحمر والناموس الأعظم، أي وجود الأتقياء. قال علي عليه السلام:

هموم رجال في أمور كثيرة وهمّيَ في الدنيا صديق موافق

* * *

شيئان لو بكت الدماءَ عليهما عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم يبلغ المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الأحباب

« * في المصدر نسبة البيتين إلى الأمير عليه السلام وبفارق يسير لأبي العيناء، ومحمود الوراق»
ولعل إلى هذا الحديث اشار المولى محمد البلخي قدس سره المعروف بالعارف الرومي:
إذا أردت جذبة من الكبرياء فتوجه إلى من يجالسون الدراويش والأولياء «مضمون بيت».
وفي مواعظ البحار روي عن الإمام الصادق عليه السلام: الإخوان ثلاثة، فواحد كالغذاء الذي يحتاج إليه في كل وقت، وهو العاقل، والثاني في معنى الداء وهو الأحمق، والثالث في معنى الدواء وهو اللبيب، وحول حق المؤمن على المؤمن يراجع حديث المعلى بن خنيس في باب المؤاخاة.
عن الصادق عليه السلام: قلت له ما حق المسلم على المسلم؟، الأصفهاني.

(٢) * المراد كونه جزءً من شؤون نفسك التي تعتبر أنك ملزمٌ بها.

روي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: لعشرون درهماً أُعطيها أخي في الله أحبّ إليّ من مائة درهم أتصدق بها على المساكين[١].

الثاني: أن له حقاً في بدنك.

أي أن تسعى في حوائجه كما تسعى في حوائجك بل أكثر، بدون أن يرجوك، تقوم بذلك بمنتهى البشاشة والإمتنان، وتقدمه في قضاء الحوائج والإكرامات والزيارات وغيرها على أقاربك وأولادك.

الثالث: أن له حقاً بالخصوص في لسانك وهو على أقسام:

الأول: أن تسكت عن معايبه سواءً في حضوره أو غيابه، بل تتجاهلها، وإذا أردت أن لا يكون متصفاً بذلك، فيجب أن تفهمه ذلك بطريق الرأفة والحنان، وبمنتهى اللياقة والتهذيب، لعل ذلك يزول منه.

* وكذلك ينبغي أن تحفظ نفسك من إفشاء أسراره حتى لأخصّ أصدقائك، يجب أن تحفظ سره في قلبك لأن إظهاره من لؤم الطبيعة وخبث الباطن، بل هو من الجهل والحماقة. قال علي عليه السلام:

قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه[٢].

(١) * ما وجدته كما يلي: وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: لإن أطعم «أخاً» لقمة، أحب إلي من أن أتصدق بدرهم، ولإن اعطيه درهماً، أحب إلي من أن أتصدق بعشرة، ولإن اعطيه عشرة، أحب إلي من أن أعتق رقبة. كتاب المؤمن ـ الحسين بن سعيد ص ٦٤

(٢) * الإمام علي، نهج البلاغة، عبده، ط: دار المعرفة بيروت ج٤/ ١٢.

إذاً حفظ الأسرار، سواءً كانت أسرار غيره أو أسراره، في غاية الأهمية[١].

وهذا باب له في الأخلاق بيانه الوافي وله حكم ومصالح كثيرة لا تتسع لها هذه الأوراق.

* كذلك يجب أن يصمت لسانك عن ذم زوجته وأولاده وأصدقائه. بل إن عدم ذم الصديق لصديقه سهل، «المهم» أن لا ينقل له الذم عن الآخرين لأنه سيتأذى أولاً ممن نقل له، وبعد ذلك يتأذى من المنقول عنه، بخلاف المدح المنقول. إذنً يجب السكوت عن كل ما يكرهه الطبع، إلا ما أمر الشرع المطهر بإظهاره، في مثل ذلك فليتأذ، لا ضرر في ذلك، لأنه في الواقع إحسان إليه.

وإجمالاً يجب أن لا يكون الشخص يبحث عن العيب أو ينقل العيب[٢] لأن هذه الصفة في حد نفسها من الصفات المهلكة، والشيء الذي يمنع الإنسان عن البحث عن عيوب غيره هو أن يتذكر عيوبه، ويرى كم هو من الصعب أن يبعد عن نفسه عيباً من العيوب، ثم يرى أن هذا الآخر مبتلى مثله أيضاً، إذن، ماذا ينبغي أن يفعل؟

---

(١) * الظاهرأن المراد أن على من يجاهد نفسه أن يحفظ أسراره وأسرار غيره من أصحابه. وقد يكون المراد بأسرار غيره أسرار الصديق المرتبطة بغيره والتي عرفها منه بطريقة مشروعة.

(٢) إن في كل عمل خلاقٍ وفنٍّ عيباً فلا تنظر إلى العيب لترى الخلاقية والفن. « * مضمون بيت لنظامي، مخزن الأسرار، وقد ورد في المصدر بمعنى: إن في كل شيء فنا وعيبا فلا تنظر إلى العيب إذا أردت أن ترى الفن».
روي أن عيسى عليه السلام مر يوماً ومعه الحواريون على مزبلة عليها كلب ميت متعفن يتأذى المارة من نتن رائحته، فأمسك الحواريون بأفواههم إحترازاً من تلك الرائحة. فقال عيسى عليه السلام: أنظروا إلى بياض أسنانه. الأصفهاني.

النفس قاهرة للإنسان، ويجب أن يعلم أيضاً أن المبرأ من كل عيب على فرض وجوده، فهو جوهرة محفوظة في خزانة السلطان ومصونة، لا يمكننا الحصول عليها.

غاية حسن الرفيق لنا أن تغلب محاسنه مساوءَه، ويجب أن يكون هدف الإنسان في الرفيق وغيره هو هذا، أن تكون له محسنات يتعلمها منه بدافع الشوق إلى ذلك إذا كان هو فاقداً لتلك الصفة، لا أن يكون بصدد البحث عن قبائحه كما هو من عادات المنافقين، وكذلك يجب أن يكون في اللسان والقلب معاً، ساكتاً عن سوء الظن به، إذا لم يمكن أن يجد محملاً يحمل عمله عليه فليحمله على السهو والنسيان.

وحمل أفعال الغير على الفساد، وكشفُ أسراره وعيوبه أمام الناس هو **الحركة الناشئة من الحقد والحسد الباطنيين لامتلاء باطنه منهما، فإذا اغتنما**[١] **فرصة، رَشَحَ الباطل من باطنه إلى ظاهره،** لأن الإناء ينضح بما فيه.

الثاني: يجب أن يسكت عن مجادلته لأن المجادلة في المحادثات تضرم نار الفتنة، بالإضافة إلى أن لها مفاسد أخرى. وتفصيل ذلك مدون في آداب المتعلمين «منية المريد» للشهيد الثاني رحمة الله عليه.

الثالث: من الحق المتعلق باللسان، هو أيضاً على عدة أقسام:

---

(١) * الضمير راجع إلى الحقد والحسد.

١ ـ أن يظهر محبته له **مهما أمكن،** لأن ذلك من أسباب ثبوت الأخوّة.

٢ ـ أن ينشر محامده إن في حضوره أو غيابه، وبالرغم من أن في المدح الحضوري منعاً، إلاّ أنه في بعض الموارد ولأجل الإلفة لعله ليس مضراً، وللرواية قرائن وهي لم تمنع من جميع موارد المدح الحضوري **بإطلاقها، والله العالم**. وأن يشكره على نعمه باللسان إذا استحق منه ذلك.

٣ ـ إذا كان يحتاج إلى التعليم فلا يتذمر من تعليمه، بالطريقة التي يراعي بها آداب المعلم، التي من جملتها أنه إذا كان صاحب علم خاص فلا يخَطِّئ أصحاب العلوم الأخرى، إذا كان فقيهاً فلا يقل: وما قيمة الحكمة إنها مشحونة بالشبهات الباطلة، أو إذا كان حكيماً فلا يقل: أين مسائل الدم والحيض والنفاس من مسائل معرفة الله، وهكذا، فإن جميع أنواع الذم هذه، لا منشأ لها إلاّ الجهل بالعلم الآخر، لأن لكل علم فائدة في موضوعه وإطاره، إلا أن يكون نُهي عن تعلمه شرعاً بالخصوص. والهدف هنا، بيان هذه الآداب الخاصة، وإلا فالآداب كثيرة في محلها، لأن الحاجة إلى العلم أشد من الحاجة إلى المال.

وأن ينصحه ويرشده إلى الأمور الدينية إذا رآه يتقاعس، وأن يحسّن له الحسنات ويقبّح له القبائح، ولكن **مهما أمكن،** وليكن ذلك خفية حتى لا ينتبه الناس إلى جهله فيخجل ويفتضح، لأن من العلامات الفارقة بين النصيحة والفضيحة، الإعلان والإسرار، فيجب أن يطلعه على عيوبه بالرفق والمداراة، لأن إراءة العيب كإراءة الأفعى المهلكة.

إذا رأيت شخصاً تريد أفعى أو عقرب أن تلدغه، وألفتّه إلى ذلك برفق ولطف، فسيكون ممتناً لك، أما إذا فاجأته فسيستبد به الذعر، ولن يكون ممتناً كثيراً.

وإذا رأيته يخفي عيبه عنك فلا تظهره له بعد ذلك، وإذا رأيت الطبع غالباً عليه ولا يستطيع الترك فالسكوت أولى.

وأما إذا رأيته يقصر في حقك فتحمّل واعفُ، وتجاهل، وإذا رأيت أن ذلك بلغ به إلى درجة قطع علاقتكما فعاتبه في الخفاء فهو أولى من العلانية؛ كَنِّ، فهي أفضل من التصريح. ولذا كان رسول الله ﷺ إذا رأى من أحد ما ينافي، **قال: ما بال أقوام** إلخ.

ومهما أمكن فالتحمل أولى، حيث أن في الحديث القدسي على ما أتذكر: أخفيت رضاي في جفاء المخلوقين، فمن كان طالباً لرضاي فليتحمل جفاء الخلق(١).

وإذا رأيت أن عيبه من قبيل الإصرار على المعاصي ـ **نعوذ بالله ـ قيل وجب انقطاعه** «وجبت قطيعته» لأن المفروض أن الحب والبغض **بينهما** ينبغي أن يكونا **لله**، قال بعض الأعاظم: أيضاً لا تقاطعه، لأن هذا هو طبع الإنسان، تارة يعوج وتارة يستقيم، ثم إنه في مثل هذا الحال يحتاج إليك أكثر لتحمل همه وتأخذ بيده وتخرجه بلطف من هوة المعصية ويكون لك ثواب من أحيا نفساً لأن خجل الحضور الحاصل من الصحبة أمر مهم. وبالإضافة إلى ذلك فإن الآية

(١) * في البحار عن الإمام الصادق عليه السلام: من لا يصبر على جفاء الخلق لا يصل إلى رضا الله تعالى لأن رضا الله مشوب بجفاء الخلق. البحار ج ١١ / ٤٢٢.

الشريفة ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ تشمل هذا المورد لأنه أصبح ذا قرابة معك، وأصبحت لحمته كلحمة النسب، **بدلالة قول الصادق** عليه السلام **في بعض الأخبار حيث يقول: «مودة يوم صلة، ومودة شهر قرابة، ومودة سنة رحم ماسة، من قطعها قطعه الله»** [(١)].

يعلم من مجموع ما ذكر أن مؤاخاة الفاسق ابتداءً ليست حسنة، لكن الإستمرار فيها حسن[(٢)]، من قبيل ترك النكاح والطلاق[(٣)].

يحكى أن شخصين كانا رفيقين، ابتلي أحدهما بمرض العشق، قال المبتلى للآخر: أخي، كنت حتى الآن رفيقي والآن ابتلي قلبي بهذه العلة، فإذا أردت أن لا تتحمل عقد الأخوّة فليس لدي ما أقوله، قال له صاحبه: لأنك ابتليت بالمعصية، فلن أتخلى عنك، ثم عقد العزم على أن لا يقر له قرار حتى يمن رب العالمين على رفيقه بالخلاص من هذه البلية، واشتغل بالذكر عدة أربعينات بمنتهى الجد حتى نجى الله رفيقه.

---

(١) * المحقق الداماد، الإثناعشر رسالة ج٨/ ١١٠.

(٢) بهذا المعنى أن الإنسان إذا ظن أن الصداقة ستكون سبباً في إقلاع هذا الشخص عن فسقه، فالصداقة معه جيدة، وأما في غير هذه الصورة فيجب الإحتراز للنهي الوارد في الأخبار، تماماً كما هو الحال في الأمراض الظاهرية، فما دام ثمة أمل بالعلاج، فإن التطبيب والإهتمام مطلوبان وإلا فلا. ثم إن للفظة الفاسق معنيين: الأول الفاسق الذي يقابل العادل وليس هو المراد هنا، بل المراد القسم المشهور والمعروف وهو أن يكون الشخص في سلك المتدينين، وفجأة يبتلى بعثرة، ويصدر منه خطأ فيكون بحسب الإصطلاح «فاسقاً». الأصفهاني.

(٣) * في إحدى النسخ القديمة ما ترجمته: «كما هو الحال في الطلاق». ويبدو أن هذا هو المراد، وعليه فترك النكاح والطلاق تعبيران عن معنى واحد، والمراد أن من يريد الزواج يمكنه أن يعرض لعدم توفر بعض الشروط، أما إذا اختار فينبغي أن يستمر ولا يلجأ إلى الطلاق، «هذا الهامش مما كتبته قبل سنوات، ويبدو أن المقصود إحدى نسخ المرموز إليها هنا بـ(أ) حيث كان لدي أكثر من نسخة، لم يحضرني الآن غير إحداها».

الرابع: أن لا يرى أية مشقة في الدعاء له والزيارة عنه «وسائر» **القربات،** لأن الدعاء لرفيقه هو في الواقع دعاء لنفسه إن في حياته أو مماته.

في الحديث النبوي ﷺ «أنك عندما تدعو لأي شخص يقول الله: «**ولك مثل ذلك**[١]» فلا ينبغي التقصير في ذلك.

الخامس: أن يكون وفياً، ومن جملة علامات الوفاء، أن يقوم الشخص بعد موت صديقه بحوائج أهله وعياله وأولاده، وبتكريم أصدقائه، **ولذا كان رسول الله ﷺ يكرم عجوزاً كانت تأتيه أيام خديجة،** كذلك من آثار الوفاء، أنه إذا ارتفع شأنه وعظم جاهه فلا يغير من تواضعه له، بل يبقى معه كما كان أولاً.

ومن كمال الوفاء أيضاً الجزع من فراقه، ولهذا كان المجتبى سلام الله عليه يبكي عند شهادته، فسئل عن سبب ذلك فقال: ما حاصله: **لهول المطّلع وفراق الأحبة**[٢].

السادس: أن تسهل أمره ولا تحمله على الكلفة[٣] **مهما أمكن،**

---

(١) * الشيخ الطوسي، الأمالي/ ١٥٠.

(٢) * الحسين بن سعيد الكوفي الأهوازي «القرنين الثاني والثالث» الزهد/ ٧٩، تحقيق غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلمية، قم ١٣٩٩هج.

(٣) قال علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «وراع الإخوان في الله».
من يحق له أن يدعي الوفاء لحبيبه، هو الذي يريد نفسه للحبيب، لا الحبيب لنفسه. «مضمون بيت».
ظل الشمس مجدٌّ في طلب الركب، يبحث عن مشقة نفسه وراحة الأصحاب. « * مضمون بيت لنظامي، مخزن الأسرار».
وليهتم كثيراً أن لا يدخل في «شر الإخوان»، قال علي عليه السلام: «شر الإخوان من تكلف له». الأصفهاني.

فإذا توقعت منه أكثر من المعتاد، أوقعته في ما لا ينبغي، وأوقعت نفسك أيضاً، **بل يكون القصد من محبته هو الوسيلة إلى التبرك بدعائه والإستيناس بلقائه، والإستعانة على دينه والتقرب إليه تعالى بتحمل أعبائه وقضاء حوائجه وأمثال ذلك من الأمور المستحسنة شرعاً**، ومن هنا قيل **إذا وقعت الكلفة بطلت الألفة**.

فمحصل مجموع هذه الكلمات إذن، أنه يجب السعي دائماً في إصلاح رفيقك، وتنسب النقص لنفسك، لا أن تحمّله للآخر، وتتوقع منه الحسن وتنسى نفسك.

الرجل هو الذي يغلب حياؤه على شهوته، يكون عطفه على الناس غالباً على حسده، وعفوه غالباً على حقده.

نعم، «أخشى أن تتأذى، وإلا فالكلام كثير».

إذا وفّقتُ أكتب لك كيفية السلوك مع الزوجة والعيال والأولاد والخدام والعبيد، **إن شاء الله، ولو على سبيل الإختصار**.

آداب تربية الأولاد[١]

إعلم يا من منَّ عليك الله **عز شأنه وجل جلاله** بنعمة الأولاد، أن هذه أمانة أُودِعْتَها من قِبَله، وقد جعلك وليَّ نعمته، ويجب أن لا تصدر منك خيانة له في هذه الأمانة، ولا يقع منك تفريط في هذا المجال، فيضيع بذلك حق، ويؤاخذك عند ذلك صاحب الأمانة.

لِمَ لَمْ تحفظها، ولم تصنها، ولم تراعِ شؤون التربية التي أمَرْتُك بها، حتى ترد علي هذه الأمانة وتأخذ مني الأجر الجزيل.

كيفية تربية الأطفال، أنك إذا رأيت الطفل خجولاً، فذلك دليل عقله، فجدَّ واجتهد في حفظه حتى لا يهمل «ويضيع» حيث أن الشوائب في نفس الطفل بعدُ، بسيطة، ولا رأي له من نفسه، ولا عزيمة، ولم يصبح صاحب اتجاه ومشرب.

---

(١) * قبل هذا العنوان تحدث رحمه الله موجزاً عن آداب السلوك مع الزوجة، ولم أورده هنا لأن ما تضمنه من آراء يجعله خاصاً بالفقهاء الإختصاصيين ببلورة نظرة الإسلام إلى المرأة.
ولا يخفى أن ما ورد هنا حول تربية الأولاد يثير تساؤلات عريضة، ربما خفف من حدتها أن موضوع الحديث ما بعد سن السابعة انسجاماً مع «اتركه سبعاً» وأن ما نصح به رحمه الله جدير بالدراسة والتأمل ـ رغم النقاش فيه ـ في ضوء افتقار كل النظريات التربوية إلى الناظم الذي يجعل تهذيب الكبير لنفسه متسقاً مع تربيته في طفولته، يسلط الضوء على احتمال جاد هو أن ما نعانيه في باب تهذيب النفس في الكبر، ليس إلا شجرات تلك البذرات التي تلقفتها النفس في الصغر.

أولاً: يجب أن ترغبه بالآداب الشرعية وتحثه عليها، وتلزمه بالسنة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم.

وثانياً: تذكر أمامه مدح الصالحين، وإذا صدر منه عمل جيد تمدحه كثيراً، وإذا صدر منه **أدنى قبيح،** تقبحه كثيراً، حتى لا يرتكب ذلك مرة ثانية، وتؤاخذه على الإشتهاء المفرط في المأكل والشرب والملبس، وتحسن له الإحتراز عن الحرص في الأكل ومطلق اللذائذ، وتحبب له إيثار الغير على نفسه في المأكل وتفهمه أن أولى الناس باللباس المزيّن والألوان النساء.

الحاصل أن الطفل في أول أمره قبيح الأفعال غالباً، كذاب، وسارق، وحسود، نمام ولجوج، صاحب ملكات رذيلة، أكول نؤوم ثرثار، ما شاء الله.

أولاً: يجب أن تنهاه عن مخالطة من يسمع منهم ضد ما تقوله له، وثانياً: تراقبه لينتقل من حال إلى حال، حيث أن ذلك لم يصبح ملكة له بعد، وأفضل شيء للأطفال تعليمهم محاسن أخبار أهل البيت عليهم السلام، والأشعار التي تكون سبباً لتأديبهم، ولا تجعله يتعاطى الأشعار الأهوائية المشتملة على مطالب العشق المجازي والتشبيهات، **فإنها مفسدة للأحداث جداً.**

يقول محرر الأوراق: لأني وصلت إلى إسم العشق المبارك، توقف القلم عن الحركة، وتحرك بكتابة هذه الكلمات:

قيل لأفلاطون الحكيم: عشِقَ ابنُك، قال: الآن تم في الإنسانية.

العشق ذنب، يضطرب في صفوف المحشر من لم يقترفه[١]

رجعنا إلى حيث كنا.

إذا رأيته خالف نهيك له عن شيء فلا توبخه كثيراً، خصوصاً إذا رأيته يخفي عنك. وعلّمه أن الهدف من الأكل والطعام **هو الصحة لا اللذة، فإن الأغذية كالأدوية، خلقت لتكون أدوية للصحة دافعة لألم الجوع ومانعة من المرض، والغرض تحقير أمر الطعام عنده.**

وجيد أن تعوده على الإكتفاء بلون واحد من الطعام، ومن المفيد أن يكون ذلك اللون اللحم، لأن اللحم أنفع للطفل.

وامنعه عن الأطعمة المتنوعة، وأفهمه تدريجياً الآداب الواردة حول الطعام، التي ذكرها الفقهاء رضوان الله عليهم في الكتب الفقهية، ليتأدب منذ الطفولة بالآداب الشرعية لتناول الطعام.

مثلاً: لا يسارع إلى الطعام، ولا يمد عينيه إليه، يأكل من أمامه، لا يأكل بنهم، ولا يجعل لقمته كبيرة، يمضغ جيداً، **إلى غير ذلك من الآداب الموظفة[٢] في محلها.**

يستحسن **مهما أمكن** تعويده على الخبز فقط، وإشباعه ليلاً، وتجويعه نهاراً حتى لا يكسل في النهار وهو في فترة الطفولة، بسبب الطعام، فيحتاج إلى النوم ويصبح **بليد الفهم**

بل يمنعه عن نوم بين الطلوعين **ليكون «ذلك» نافعاً في لونه ومزاجه وذكائه ورزقه.**

---

(١) * مضمون بيت بالفارسية.

(٢) * الموظفة: التي جعلت وظيفة، أي طُلب القيام بها

وعلى أي حال يمنعه من كثرة النوم، لأن النوم الكثير يجعله قبيح المنظر وبليداً.

جيد أن لا ينام في النهار، ولا يعوده على المكان الناعم وسائر الأمور اللينة، ليتصلب البدن ويخشن.

ولا يعوده حتى الإمكان على الحلويات والفواكه إلا مقداراً قليلاً.

قال بعض الأعاظم: إن مثل هذه الأطعمة تورث المرض في البدن، وتجعله ناعماً ولطيفاً يتأثر بأقل برودة وحرارة.

خلاصة ما ذكر أن يعوده على الرياضات الشاقة في جميع الأمور، وكذلك يعوده على إكرام الغير، الهرم والشاب، ويعلمه آداب المجالس، أن يجلس في المجلس مؤدباً ولا يبصق وشبه ذلك.

لا يتثاءب في وجه أحد ولا يضحك «بشكل غير مناسب»، ولا يجلس جلسة غير مناسبة، كأن يضع رِجلاً على رجل، لا يتكلم إلا إذا سُئل، ويتكلم بمقدار الحاجة، إلى غير ذلك.

ويعوده كذلك على الصدق في القول وعدم الإخلاف بالوعد، وعدم القسم لا صادقاً ولا كاذباً، ويعوده على السكوت بحيث يصبح الصمت ملكة له، حتى لا يتكلم في المجالس ولا غير المجالس إلا في مقام الجواب، والإصغاء إلى كلام الأكبر منه، ويمنعه عن خبيث الكلام واللغو والغناء، **بل يعوده على حسن الكلام وجميله**.

ويعلمه خدمة نفسه وخدمة معلمه إذا لم يكن للطفل شغل أهم، ولا يدعه يؤذي الأطفال الآخرين ويخيفهم، بل يحمله على الرفق بهم

ومداراتهم، وأن يبذل لهم، ولا يدعه يقبل شيئاً من أصدقائه حتى لا يصبح طماعاً، ولا يدعه يجالس ويخالط الأطفال سيئي الأدب المنحطين، فإن المجالسة مؤثرة، ويحذره من حب الدراهم والدنانير أكثر من تحذيره من السباع والحيّات والعقارب، **ضرورة أن حب الذهب والفضة من السمومات المهلكة**.

ويجب أن يترك له بعض الأوقات حرة ليمضيها باللعب غير المضر ليرتاح قليلاً من تعب التأديب، وكذلك يعوده على احترام الأب والأم والمعلم وإطاعتهم، وأن لا يتوقع تحليَ الأطفال بعقلية ابن الخمسين سنة من التجارب، ولا يؤذيَه ويضغط عليه كثيراً، ويعامله بالمدارة والحب.

وهذه الأمور التي ذكرت، غير ما ذكر في الفقه، أي أن يحسن اسمه، ويختنه ويعق عنه ويعلمه ولا يضيِّق عليه في النفقة **إلى غير ذلك من الآداب الشرعية**.

نعم، جميع ما قد ذكر رغم أنه كان بعنوان تربية الأولاد، إلا أن الشخص يجب أن يكون عاقلاً فيعلم أن أكثر هذه الأمور تجري أيضاً في حقه وحق عياله خصوصاً النساء، **والله العالم**.

آداب الزيارة

بلى، إذا قصد الزيارة للأولياء الحقيقيين سلام الله عليهم، فيجب أن يعلم أولاً أن النفوس المقدسة الطيبة الطاهرة، حين تفارق الأبدان الجسمانية تتصل بعالم القدس والمجردات، فإن غلبتها على هذا العالم وإحاطتها به تصبح أقوى، وتغدو تصرفاتها في هذه النشأة أكثر من السابق، كما أن معرفتها بالزائرين أتم وأكمل[1]، فهم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

إذاً نسيم ألطافهم **ورشحات** أنوار أولئك العظماء تصل إلى زوارهم وقاصديهم **خصوصاً للخلص من قاصديهم**.

وعليه فينبغي للزوار أن يتوجهوا إلى هؤلاء العظماء بقصد تجديد العهد بهم[2] وإعلاء كلمتهم **ورغماً لأنف أعدائهم** وقصد زيارة المؤمن الخالص الإيمان، وعلى أمل طلب الشفاعة لغفران الذنوب ورجاء

---

(١) يموت الشخص عندما يمتليء إناؤه، أما نحن فنحيا عندما يمتليء إناؤنا «مضمون بيت» الأصفهاني.

(٢) * المراد الإلفات إلى أن يتوجه الزائر إلى الزيارة، ويزور وهو موقن بحياة من يزوره ـ بقدرة الله تعالى ـ فتكون زيارته له كما لو أنه زار شخصاً حياً، لتجديد العهد به.

الوصول إلى الفيوضات العظيمة، مع مراعاة الآداب المدونة في كتب المزار.

ويجب أن يعلم أنهم مطلعون على حركاته وسكناته «بما آتاهم الله تعالى» بل هم مطلعون على خطرات قلبه ولذلك يجب أن يبذل قصارى جهده في التفرع والتذلل والإنكسار خصوصاً عند الدخول إلى مراقدهم الشريفة، وليكن بكامل التنبه واليقظة، فإن تشتت البال وتوزع الحواس بمنزلة إدارة الظهر للإمام[١] وحذار أن يتكلم مع أحد بكلام خارج «عن جو الزيارة»، فضلاً عن أن ـ **نستجير بالله** ـ يغتاب في الحرم المطهر أو يستمع إلى الغيبة أو يكذب أو يرتكب شيئاً من سائر المعاصي، بل يلزم أن لا يرفع صوته أيضاً ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[٢] تجري هنا أيضاً، خصوصاً في حرم الأمير **سلام الله عليه** الذي هو بمنزلة نفس رسول الله ﷺ ليقبِّلْ زوايا القبر المطهر الأربع، ويبثه شكواه بلغته، وليطلب حاجاته من ذلك العظيم، يقول: يا أكبر من كل شخص «بلحاظ أنك نفس المصطفى» إما أن يحملك الوفاء على أن تطلبني إليك أنا المتخلف، وإما أن تطلب من الله موتي فأنت الطاهر المطهر[٣].

(١) احفظوا قلوبكم يا من لم تحصلوا على طائل، في محضر أصحاب القلوب.
عند أهل الجسم، الأدب أدب الظاهر، وعند أهل القلب أدب الباطن. «مضمون بيتين» احذروهم هم جواسيس القلوب. الإصفهاني.

(٢) الحجرات / ٢.

(٣) ❊ مضمون بيت.

وعند تقبيل العتبة، من المناسب قراءة هذا البيت[١]:

«إن لم أكن شيئاً، ومهما كنت فإني لك، يكفيني أني كلب وضع رأسه على عتبتك» [٢].

ويستودعه إيمانه بعد أن يعرضه عليه على سبيل الأمانة ليرده إليه عند الحاجة حتى لا يستطيع الشيطان أن يسلبه إياه عند الموت.

وليستحضر المصائب الواردة عن أولئك العظماء خصوصاً في الحرم المطهر لحرم أبي عبد الله الحسين عليه السلام، مصيبة مصيبة، بالتفصيل، وليبك لأجلها.

إذا استطاع فليتب بين يدي الإمام عليه السلام توبه صحيحة تشتمل على جميع الشرائط المعلومة المقررة في محلها، وليجعل ذلك العظيم شاهداً وشفيعاً وليقرر عند المراجعة أن لا يلوث بالمعاصي مرة أخرى الفم الذي وصل إلى تلك الحضرة الشريفة، والأعضاء التي تمسحت بها واكتسبت النور ببركتهم، بل أن يجتنب أيضاً اللغو الذي لا فائدة منه.

يجب أن يكون بين حاله بعد الزيارة وقبلها تفاوت بيِّن **ومهما أمكن** فليراع الخدام والمجاورين وليكرمهم بالعطاء والبذل

(١) الأفضل أن يخطر في ذهنه عند الدخول هذا البيت للحقير:
إلى أعتابك جاء رأس إرادتنا، فإذا حظي بالقبول فيا لسعادتنا.
أو يجري على لسانه، وعند الخروج يقرأ بيت المرحوم الشيخ البهاري. الأصفهاني.

(٢) ❊ مأخوذ من قوله تعالى: وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد. وليس الخضوع لرسول الله إلا خضوعاً لله تعالى، وقد ثبت لمن أمر صلى الله عليه وآله بالرجوع إليه ما ثبت له في هذا المجال.

والإحسان(١) ولينظر إليهم بعين التقدير ومهما رأى من الجفاء فليتحمله بحلاوة(٢) ليتنبه ممن جاءه وفي طريق من.

لا يتضايق من بذل المال، وليكرم مشايخهم وأهل العلم منهم وليوقرهم أكثر من الجميع، ولا يضجر أو يندم على ما أقدم عليه للصعاب وشدائد السفر، خصوصاً في مجال الخوف من الأعداء فقد قالوا «عليهم السلام» : **ألا تحبون أن تخافوا فينا.**

ولا يستعجل الرجوع من المشاهد المشرفة، فليطل الإقامة **مهما أمكن** ووساوس الخيال ـ من قبيل: تأجيل عملي، عيالي وحدهم، المصروف لا يكفي، سيرجع رفيقي وغير ذلك ـ من الأفكار التي إذا تأملها يعلم أن الشيطان يغويه ليُحرم من الزيارة، فلا يفسح لها المجال، خصوصاً إذا كانت الجمعة إو إحدى الزيارات قريبة، لأنه قد مضى من عمره أربعون أو خمسون أو أكثر حتى وفق مرة للزيارة، وهيهات أن يوفق للرجوع مرة أخرى.

ما دام هناك، يتصور أن الرجوع والمجيء أمر سهل، إلا أن ذلك لا يتحقق وقد جُرب.

---

(١) أحب لحبها تلعات نجدٍ.
أحب لحبها السودان حتى، أحب لحبها سود الكلاب. الإصفهاني.
* الشطر الأول صدر بيت للأبيوردي «. . . ـ ٥٠٧» من شعراء العصر العباسي والعجز: وما شغفي بها لولا هواها، والبيت بعده لم أعرف قائله وقد أورده في الفتوحات المكية ج ١/ ١٩٧ ـ ١٩٨ مشيراً إلى أنه لغيره وأن له بهذا المعنى: أحب لحبك الحبشان طراً واعشق لاسمك البدر المنيرا.

(٢) إذا كان الرجل يسير في طريق التوكل فإن شوك أم غيلان في طريقه سيصبح ورداً. الأصفهاني. «مضمون بيت».

نعم، بقي الكلام في أنه ما دام في المشاهد، فهل يزور الإمام ويدخل الحرم كثيراً أم لا فيكتفي بالتشرف صباحاً وعند الغروب.

قال الأجلاء: كلما كانت الزيارة أكثر فذلك أفضل، لكن الحق أن في المسألة تفصيلاً. ما ذكر ليس صحيحاً **بإطلاقه**، وإجمال الأمر أن الإكثار من الزيارة بشرائطها المقررة التي ذكرت سابقاً مطلوب جداً، وما عدا ذلك له تفصيل آخر لا تتسع له الورقة **والله العالم بالصواب**.

آداب الحج[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فاعلم أيها الطالب للوصول إلى بيت الله الحرام أن لله جل شأنه العظيم بيوتاً مختلفة أحدها يسمى الكعبة الظاهرية، التي أنت قاصدها، وبيت المقدس، والبيت المعمور، والعرش، وهكذا إلى أن نصل إلى حيث البيت الحقيقي الأصلي الذي يسمى القلب، الذي هو أعظم من كل هذه البيوت.

ولاشك ولاريب في أن لكل بيت من البيوت لطالبيه رسوماً وآداباً.

أما ما هو معنى بيته؟ وهل هذه الإضافة «بيت الله» من باب التشريف أو غير ذلك، فليس الهدف بيان ذلك، إذ أن الهدف من هذه الرسالة منحصر بآداب الكعبة الظاهرية، غير تلك الآداب التي تذكر في المناسك.

---

(١) * نشرت هذا الفصل باسم آداب الحج عام ١٤١٤ هجرية «١٩٩٣م» مع تقديم وبعض الملحقات، في كراسة من إصدار هيئة دعم المقاومة الإسلامية، بهدف تعزيز الربط بين الحج والجهاد.

وقد تذكر ضمناً إشارات إلى آداب الكعبة الحقيقية على سبيل الإجمال.

أولاً: إعلم أن الهدف من تشريع هذا العمل الشريف الحج قد يكون أن الهدف المقصود الأصلي من خلق الإنسان هو **معرفة الله والوصول إلى درجة حبه والأنس به، ولا يمكن حصول هذين الأمرين إلا بتصفية القلب** وذلك لا يمكن حصوله أيضاً إلا **بكف النفس عن الشهوات والإنقطاع من الدنيا الدنية و«حملها» على المشاق من العبادات ظاهرية وباطنية.**

ومن هنا لم يجعل الشارع المقدس العبادات نسقاً واحداً، بل جعلها متنوعة، حيث تتكفل كل منها بإزالة رذيلة من الرذائل لتتم تصفية النفس تماماً، بالإشتغال بتلك العبادة.

فالصدقات والحقوق المالية، يقطع أداؤها الميل إلى حطام الدنيا.

والصوم يقطع الإنسان عن المشتهيات النفسانية.

والصلاة تنهى عن كل فحشاء ومنكر.

وهكذا سائر العبادات، ولأن الحج مجمع العناوين، وزيادة، لأنه يشتمل على جملة من مشاق الأعمال التي تتوفر في كل منها صلاحية تصفية النفس **مثل: إنفاق المال الكثير والقطع عن الأهل والأولاد والوطن، والحشر مع النفوس الشريرة، وطي المنازل البعيدة، مع الإبتلاء بالعطش في الحر الشديد في بعض الأوقات، والقيام بأعمال غير مأنوسة، لا تقبلها الطباع، من الرمي والطواف والسعي والإحرام وغير ذلك** من الفضائل الكثيرة من قبيل:

التذكير بأحوال الآخرة، من خلال رؤية أصناف الخلق والإجتماع الحاشد **في صُقع واحد** «**وبقعة واحدة**» **على نهج واحد، لا سيما في الإحرام والوقوفين.**

والوصول إلى محل الوحي ونزولِ الملائكة على الأنبياء من آدم إلى الخاتم **صلوات الله عليهم أجمعين،** والتشرف **بمحل أقدام** أولئك العظماء، مضافاً إلى التشرف بحرم الله وبيته، مع الحصول على الرقة التي تورث صفاء القلب برؤية هذه الأمكنة الشريفة، مع الأمكنة الشريفة الأخرى التي لا تتسع الرسالة لتفصيلها.

الحاصل، حيث أن للحج فضائل كثيرة، ويتضمن جملة من المشاق، كان من أهم الأعمال، ولذا قال رسول الله ﷺ: استبدلنا الرهبانية بالجهاد والحج. الحديث[1]، ولا يصل الإنسان إلى هذه الكرامة العظمى إلا بملاحظة الآداب والرسوم الحقيقية **وهي أمور:**

* **الأول:** أن كل عبادة من العبادات، يجب أن تكون بنية صادقة، وتؤدى بقصد إمتثال أمر الشارع، لتصبح عبادة، فمن أراد الحج يجب أولاً أن يتأمل بعض الشيء في نيته، فيضع هوى النفس جانباً، ويرى هل أن هدفه من هذا السفر هو امتثال الأمر الإلهي، والحصول على ثوابه تعالى، والفرار من عقابه، أم أن هدفه ـ **نستجير بالله** ـ تحصيل الإعتبار، أو خوف ذم الناس، أو تفسيقهم له، أو

(١) * أنظر: المجلسي، بحار الأنوار ج٤١/ ٧٢، والطبرسي، مجمع البيان ج٩/ ٤٠٤، فقد أوردا في حديث طويل عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ: ما رهبانية أمتي؟ قلت: ألله ورسوله أعلم، قال: الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة.

الخوف من الفقر، بناءً على أن كل من ترك الحج ابتلي بالفقر، أو أمور أخرى من قبيل التجارة، والنزهة والسياحة في البلاد وغير ذلك.

إذا تأمل في نفسه جيداً استطاع أن يدرك حقيقة نيته، ولو بالآثار، فإذا تبين له أن الهدف ليس الله تعالى، وجب أن يسعى في إصلاح قصده بأن يلتفت على الأقل إلى قبح عمله حيث قصد حريم ملك الملوك لمثل هذه الأمور العبثية، فيشعر على الأقل بالخجل بدلاً من الغرور والعجب.

* **الثاني**: أن يهيء نفسه لحضور مجلس الروحانيين بتوبة صادقة، بجميع مقدماتها[١] التي من جملتها رد الحقوق سواءً المالية مثل الغيبة، وأذية هتك الغير وجرح كرامته، وسائر الجنايات على الآخرين مما يجب الاستحلال من أصحابها، بالتفاصيل المذكورة في محلها.

ويحسن إيقاع التوبة بعد هذه المقدمات في يوم الأحد كما هو مذكور في «منهاج العارفين»[٢] وإذا كان أحد والديه على قيد الحياة، فليرضه عنه **مهما أمكن**، ليخرج من منزله طاهراً نقياً، بل يزيل تمام تعلقاته، ويقطع رأس انشغال قلبه وعدم حضوره، ليتوجه بتمام قلبه إلى الله وليتصرف على أساس أنه لن يرجع أبداً.

وبناءً على هذا، يجب أن يوصي وصية تامة كاملة، بمعرفة

---

(١) إغسل «نفسك» ثم امش إلى الخربة بوقار، حتى لا يتلوث منك هذا الدير الخرب. الأصفهاني. «مضمون بيت».

(٢) * تقدم ذكر هذه الصلاة في آداب التوبة.

أشخاص خيّرين، عارفين، ليوضحوا له كيفية الوصية، فلا يضيق الأمر على الوصي، بل يجعله وصيًّه في الثلث ويترك له حرية الحركة، حتى لا يقع مسلم بسببه بعد موته في الحرج.

ومع ذلك يترك أهله وعياله في كفالة الكفيل الحقيقي، **فإنه خير معين ونعم الوكيل**.

وباختصار، إن عليه أن يتصرف بحيث أنه إذا لم يرجع فلا يكون قد بقي أي جزئي من جزئيات أموره معلقاً، بل كذلك يجب أن يكون من لا يعرف تماماً متى يموت.

* **الثالث**: أن لا يهيء لنفسه في سفره أسباب انشغال القلب[١]، فيمنعه ذلك عن أن يكون في حركاته وسكناته في ذكر المحبوب «سبحانه» سواءً كانت أسباب الإنشغال هذه من قبيل العيال والأولاد أو الرفيق غير الملائم للطبع، أو بضاعة للتجارة أو غير ذلك، المهم أن لا يهيء هو بيده ما يضطره إلى صرف اهتمامه فيه، بل إذا استطاع فليسافر مع أشخاص يغلب عليهم تذكيره، أو يذكرونه دائماً كلما غفل، قصة السيد ابن طاوس مع رفاقه في السفر معروفة.

* **الرابع**: أن يبذل الجهد **مهما أمكنه**، لإحراز حليّة مصرفه[٢]، ويأخذ منه ما يزيد على حاجته، وأن لا يضيق ذرعاً في الإنفاق[٣]،

---

(١) فرغ قلبك من الأغيار إذا قصدت محلتنا، لا تنظر إلى الغير إذا كنت تهوانا. الأصفهاني. «مضمون بيت».

(٢) احفظ هذه النكته أن غزال التبَّت، ما لم يأكل السنبل لا يصبح دمه مسكاً. الأصفهاني. «مضمون بيت».

(٣) إذا أنفقت كل ما تملك في سبيل العشق، فأنا كافر إذا رأيتَ أدنى ضرر. الأصفهاني. «مضمون بيت».

لأن الإنفاق في الحج إنفاق في سبيل الله، فلماذا ينقبض قلب الإنسان من الزيادة في المصرف، فليحمل أحسن الزاد، وليكثر الإنفاق فإن درهماً منه في أحاديث أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين بسبعين درهماً.

أزهد الزهاد أعني السيد السجاد سلام الله عليه كان عندما يريد الحج يحمل معه مثل اللوز والسكر والحلويات **والسويق**.

بل من جملة أسباب سعادة الإنسان، إذا تلف له شيء في هذا السفر أو سرق منه، أو زادت مصاريفه، فليشعر بكمال الإمتنان، بل ينبغي أن تغمره الفرحة لأن جميع ذلك يتم ثبته وتسجيله على المضيف في الديوان الأعلى وسيعوضه عليه بأضعاف مضاعفة.

ألا ترى أنك إذا دعاك شخص إلى ضيافته في بيته، وواجهت في أثناء الطريق ضرراً ما، فإن صاحب البيت إذا استطاع يعوض ذلك عليك بقدر ما يمكنه، لأنه هو الذي طلبك، يفعل ذلك، مع أنه «بالنسبة إلى الله تعالى» لئيم وعاجز، **فكيف ظنك بأقدر القادرين وأكرم الأكرمين** حاشا وكلا أن يكون كرمه أقل من عربي يسكن البادية. **نعوذ بالله من سوء الظن بالخالق**.

وصدق هذا القول واضح لمن تنقل بين أعراب البادية، واطلع على أحوالهم.

* **الخامس**: أن يكون حسن الخُلق(١)، ويتواضع للرفيق من

(١) قال لي إن رقيبي سيِّء الخلقِ فَدارِه قلتُ دعني، وجهُكَ الجنّةُ حُفَّت بالمكاره. الأصفهاني.

السائق وغيره، ويحذر اللغو والفحش والحدة، والكلام غير المناسب، وليس حسن الخلق أن لا يؤذي أحداً فقط، بل من جملة الأخلاق الحسنة أن يتحمل أذى الآخرين، بل بالإضافة إلى تحمل الأذى، يخفض جناحه، **وإلى ذلك يشير قوله في الحديث القدسي** «وحاصله»:

«أخفيت رضاي في جفاء المخلوق، فمن كان يريد رضاي فليتحمل من الآخرين جفاءهم[١].

* **السادس**: أن يقصد الحج، فقط دون غيره، بل يجب أن يقصد ضمن ذلك عدة عبادات ـ إحداها الحج ـ من قبيل: زيارة القبور المطهرة للشهداء والأولياء، والسعي في حوائج المؤمنين، وتعليم الأحكام الدينية، وتعلمها ترويج المذهب الحق، وتعظيم شعائر الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك.

* **السابع**: أن لا يهيء لنفسه أسباب التكبر، بل ينبغي أن يذهب إلى الحرم الإلهي منكسر القلب مغبراً كما أشير إلى ذلك في المناسك في باب الإحرام.

* **الثامن**: أن لا يخرج من بيته إلا بعد أن يودع[٢] نفسه وكل

---

(١) * أنظر: النوري، مستدرك الوسائل ج١١/٢٨٩، عن رسول الله ﷺ: مثل المؤمن كمثل الارض، منافعهم منها إذا هم عليها، ومن لا يصبر على جفاء الخلق، لا يصل إلى رضى الله تعالى، لان رضى الله تعالى مشوب بجفاء الخلق.

(٢) * جاء في العروة الوثقى ج ٢ / ٢٢٦ حول ذلك ما خلاصته أن يصلي العازم على السفر ركعتين أو أربعاً في بيته ثم يقول: اللهم إني أستودعك نفسي وأهلي ومالي وذريتي ودنياي وآخرتي وأمانتي وخاتمة عملي. فيعطيه الله تعالى ما سأل.

ما معه من رفقائه، وما حمله، وأهل بيته، وكل ما له تعلق به، أمانة عند خالقه جل ثناؤه، ويخرج عند ذلك من بيته، بكمال الاطمئنان، **فإنه جلت عظمته نعم الحفيظ ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير**.

وهناك آداب أخرى ذكرت في المناسك، بلى، يهتم اهتماماً تاماً بالصدقة، بمعنى أن يشتري صحته «سلامته» من خالقه بهذه الصدقة.

* **التاسع**: أن لا يكون اعتماده على محفظة نقوده وقوته وشبابه[١]، بل يكون اعتماده في كل حال، بالنسبة إلى كل شيئ على صاحب البيت.

والمقدمات أكثر من ذلك، إلا أن الإطالة في الرسالة ليست الهدف.

«إذا كان في البيت أحد، فحرف واحد يكفي»[٢].

يجب التأمل والتنبه إلى أن هذا السفر سفر جسماني **إلى الله**، وأنه سيسافر سفراً روحانياً إلى الله «بالموت».

إنه لم يأت إلى الدنيا من أجل الطعام والشراب[٣]، بل خلق للمعرفة، وتكميل النفس.

في ذلك السفر «الجسماني» يحتاج إلى الزاد والراحلة، والرفيق

---

(١) الاعتماد على التقوى والعلم في الطريقة كفر، لا بد للسالك من التوكل ولو كان يتقن مائة فن. الأصفهاني. «مضمون بيت».

(٢) * ترجمة مثل فارسي بمعنى: إن اللبيب من الإشارة يفهم

(٣) أيها الآدمي، ابذل جهدك في العلم والعمل والمعرفة، وإلا فأنت حمار في صورة إنسان. الأصفهاني. «مضمون بيت».

وأمير الحاج، والدليل والخدم، وغير ذلك. وعدم توفر أي من ذلك يحدث خللاً في سفره، وقد لا يصل إلى المقصد، بل قد يقع في التهلكة.

وفي هذا السفر «الروحاني» يحتاج إلى ذلك بعينه وإلا فإنه لن يستطيع أن يخطو خطوة واحدة، وإذا توهم أنه يمكنه السفر بدون هذه المقدمات، فإنه قد ضل الطريق **قطعاً** وليس متوجهاً إلى الكعبة الحقيقية.

أما الراحلة في هذا السفر «الروحاني» إلى الله تعالى، فهي البدن، فيجب أن لا يقصر في خدمته بنحو الاعتدال، فلا يشبعه إلى حيث يتمرد ويطغى ولا يمكنه ترويضه، ولا يجوِّعه بحيث يستولي عليه الضعف، فيقصر في العبادة، **خير الأمور أوسطها** والإفراط والتفريط مذمومان.

وأما زاده فهو أعماله الخارجية، التي يعبر عنها بالتقوى، من فعل الواجبات وترك المحرمات والمكروهات والإتيان بالمستحبات[١]. وأصل معنى التقوى «الحمية» وأدنى درجاتها الحمية عن المحرمات، وآخرها الحمية عن **ما سوى الله جل جلاله، وبينهما متوسطات**.

فحاصل الكلام أن كلاً من ترك المحرمات والإتيان بالواجبات بمنزلة الزاد الذي يحتاج كل شخص إلى قسم منه في منزل من المنازل الأخروية بدرجات الحاجة المتفاوتة، واذا لم تكن قد حملته معك ابتليت، **نستجير بالله من هذه البلوى العظيمة**.

---

(١) لا تراد في هذا الطريق إلا التقوى، فدع في زاويةٍ الخبزَ والحلوى. الأصفهاني. «مضمون بيت».

وأما الرفقاء في هذا السفر «الروحاني» فهم المؤمنون الذين يستطيع الشخص بهمَّة كل منهم واتحاد قلوبهم أن يقطع هذه المنازل «مراحل الطريق» بالطيران[١]، **وإليه يشير قوله عز من قائل**: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾.

ولعل هذا السفر لا يتيسر بدون الجماعة، وربما كان هذا هو السبب في منع الرهبانية في هذه الأمة. كان أستاذنا[٢] عليه الرحمة يقول:

«اتحاد القلوب يمكّن من كثير فعل لا سبيل إليه مع تفرق القلوب».

وكان يهتم اهتماماً تاماً بهذا الامر، وهو كذلك.

كل المفاسد تنشأ من اختلاف القلوب، وشرح ذلك يطول، لعلّي أوفق للإشارة إلى ما يجب ان يكون عليه الرفيق، إن في الحضر، أو السفر، وكيف يجب أن يكون سلوكك معه.

* **وأما أميرالحاج** في هذا السفر إلى الآخرة فهم الأئمة الطاهرون سلام الله عليهم أجمعين[٣] الذين يجب أن تكون ظلالهم فوق رأسك، وتتمسك بحبل ولايتهم المتين، ملتجئاً كل الالتجاء إليهم باعتبارهم آل العصمة والطهارة، لتستطيع أن تخطو بعض

(١) حال الذئاب والكلاب الفرقة، إنما تتحد أرواح أسود الله. الاصفهاني. «مضمون بيت لمولوي، مثنوي معنوي».

(٢) * يبدو أن المراد به المرحوم آية الله الشيخ حسينقلي «عبد الحسين» الهمداني رضوان الله تعالى عليه.

(٣) * وأما رسول الله ﷺ فهو أجل شأناً، وأمير الحاج موفد من قبله.

الخطوات، وإلا اختطفك شياطين الجن والإنس في القدم الأول، كما هو الأمر في السلب الذي يقوم به العرب البدو، وغاراتهم على الحجاج الذين يسيرون بدون أمير كما هو واضح خصوصاً كلما اقترب الحجاج من الحرم.

نعم إذا أوصل الشخص نفسه «دون توسل» إلى الحرم فإنه بمأمن من كل خوف: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾.

ولكن هيهات أن يستطيع الوصول، إن ذلك لن يكون، **والله العالم**.

وأما دليل هذا الطريق إلى الآخرة، فرغم أن الأئمة الطاهرين **سلام الله عليهم أدلاء على الله** تعالى، إلا أننا نحن نتيجة سوء التربية وانحطاط المرتبة لا نستطيع تلقّي الفيوضات من أولئك العظماء بلا واسطة، لذا فنحن محتاجون في الدلالات الجزئية والتفصيلية إلى العلماء بالآخرة وأهل التقوى لنتمكن بيُمن هدايتهم وتعليمهم ان ندرك الفيوضات التي لا سبيل إليها بدون وساطتهم إلا بمنتهى العسرة والتعذر، إننا محتاجون إلى العلماء ولا يمكننا أن نحصل على شيء بدونهم[1].

(١) بهذا المعنى أنه كما هو الأمر في فقه الظاهر، لا يستطيع الشخص ان يعمل بالأخبار بمجرد أن يفهم العبارة العربية، بل لا بدله من شرائط الاجتهاد ولوازمه، كذلك في فقه الباطن بطريق أولى، لأن الأحكام في فقه الظاهر عامة، وفي فقه الباطن خاصة، فلا بد للشخص من تعلم فقه الباطن عمن تلقاها من استاذ أهل لذلك حتى ينتهي إلى الائمة عليهم السلام، أيضاً كما انه في الأمراض الجسمية لا يستطيع الشخص ان يتصدى للعلاج ـ بمجرد حصوله على كتاب ينقل معالجات سقراط وجالينوس ـ بل لا بد له من تعلم ذلك على أستاذ يتعلم منه دقائق المعالجة، كذلك الأمر في معالجة أمراض الباطن، لا يمكن التصدي للعلاج بمجرد معرفة الأخبار، بل هو اصعب من=

نعم، وعندما يصل الحاج إلى الميقات، ينزع ثيابه في الظاهر ويلبس ثوبي الإحرام، وأما في الباطن فينبغي أن يكون قصده أنه خلع عن نفسه ثياب المعصية والكفر والرياء والنفاق، ولبس ثوب الطاعة والعبودية، ويتنبه كذلك إلى أنه كما يلاقي ربه في الدنيا «في حال الإحرام» بغير زيه وعادته، مغبراً، حاسر الرأس، حافي القدمين، فكذلك سيلاقي ملائكة ربه بعد الموت، فينبغي أن يكون عند ارتداء ثوبي الإحرام، بمنتهى الذل والانكسار، وقبل ارتداء ثوبي الإحرام، أثناء التنظيف، وهو عارٍ يجب أن يكون قصده تنظيف الروح من درن المعاصي ويعقد ثوبي الاحرام بقصد التوبة الصحيحة، أي أن يحَرِّم على نفسه بعزم وإرادة صادقة، كل الأمور التي حرمها رب العالمين، بحيث يقرر أنه من الآن فصاعداً، وبعد رجوعه من مكة المعظمة لن يطوف حول المعاصي.

وعندما يقول لبيك، ينبغي أن يتنبه إلى أن قوله هذا، إجابة للنداء الذي وُجه إليه، فينوي أولاً: قبلت كل طاعة لله تعالى. وثانياً:

=علاج أمراض الظاهر وأكثر تعقيداً بمراتب. وليس المراد من فهم الاخبار في هذا المجال فهم ظواهرها، بل بلحاظ الحديث الشريف: «حديثنا» صعب مستصعب لا يدركه الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد امتحن الله قلبه للإيمان». وفي بعض الأخبار «أو مدينة محصورة» فالمراد من ذلك نوع الفهم والادراك، فإن المدرك «حقاً» هو النفس القدسية، فكما أن المطالب التي تدركها حواس الباطن لا تدركها حواس الظاهر، بل ما يدركه البصر لا يمكن ان يدركه السمع وبالعكس، كذلك من المحال أن يدرك المطالب القدسية، من ليس صاحب نفس قدسية، والحديث الشريف في أصول الكافي المروي عن الصادق عليه السلام يشير إلى هذه الحقيقة: «حرام على قلوبكم ان تعرف «...» حلاوة الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا». كذلك ورد في الحديث: «ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله ان يهديه». ولنعم ما قال: تعالج جهل الباطن بعلم الظاهر، إذا احرقت الكافور فهل يصبح سقمونيا. «مضمون بيت» والسقمونيا دواء نادر، ولندرته يحرق الكافور بطريقة معينة فيصبح شبيهه شكلاً، إلا أنه ليس له آثاره على الإطلاق. الأصفهاني.

يعيش التردد بين قبول هذا العمل منه وعدم قبوله «**فيكون بين الخوف والرجاء**».

ليستحضر هنا قضية سيد الساجدين سلام الله عليه، حيث لم يتمكن في الإحرام أن يقول: لبيك، وأغمي عليه، وعندما سئل عن ذلك قال: أخاف أن يقول ربي: لا لبيك(١).

وليستحضر بذلك يوم المحشر، حيث يخرج جميع الناس على هذا الشكل من قبورهم، شعث الشعور غبر الوجوه، حفاة، في زحام لا نظير له، بعضهم في زمرة المقبولين، والبعض الآخر في زمرة المردودين، بعضٌ منعّم، وبعضٌ معذب، وبعض متحير في الأمر، بعد أن كانوا جميعاً في الورطة الأولى في شك من أمرهم وترديد.

وعندما يدخل الحرم يجب أن يكون حاله حال الرجاء والأمن من السخط والغضب الإلهيين، كحال المذنب الذي وصل إلى حصن حصين، والتجأ إلى ملجأ أمين. بمفاد الآية الشريفة ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ فإن مكان زيادة الرجاء والأمل هو هذا المكان.

ذلك لأن شرف البيت العظيم، وصاحبه يقتضيان توسعة الرحمة على الراجي الكريم.

فأنت هناك ضيف خاص لأكرم الأكرمين، كان يبحث عن مبرر

---

(١) * المشهور رواية هذا المعنى عن الإمام الصادق عليه السلام، أنظر: الشيخ الصدوق، الخصال/ ١٦٧، والأمالي «له» ٢٣٤، إلا أنه مروي أيضاً عن الإمام السجاد عليهما السلام: أنظر: شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج١١/ ٣٤٧، والأحسائي، عوالي اللئالي ج٤/ ٣٥.

ليدعوك ولو مرة واحدة في العمر إلى بيته، رغم أنك كنت ضيفه دائماً، والآن تيسر ذلك، حاشا كرمه وكلا، أن يتبرم بطلبك مهما طلبت منه، حيث أنه يستطيع التكرم به،

ما هكذا الظن به جلت عظمته.

مثل هذا الظن ينبغي أن لا يظن ببعض أسخياء العرب **فضلاً عن الجواد المطلق.**

أما إذا كنت أنت لا تستطيع الحصول على ما تريد، أو تحصل عليه ولا تستطيع المحافظة عليه، أو أنك من الأصل لا تعرف ماذا يجب أن تطلب، أو تفعل شيئاً بحيث تكون أنت السبب في عدم وجود المقتضي لعطائك، فليس الذنب في ذلك ذنب أحد «غيرك».

الإستجداء لا ينسجم مع الكسل وموت الهمة بلى، إن الخلل هنا.

أكثر الناس الذين يتشرفون بمكة أعظم همهم أن يؤدوا ظاهر هذه الأعمال، ويلقوها عن ظهورهم **على سبيل الإستعجال** وعند ذلك ينصرفون براحة بال إلى المشتريات، ولا يبذلون جهداً ليتركز الإنتباه على التفكير بمقدار ذرة على معنى هذه الأعمال، مع أن كل حواس الضيف يجب أن تكون متوجهة إلى المضيف، حتى أن الصوم المستحب مذموم بدون إذن المضيف «من الناس» لأنك عندما تكون ضيف شخص وتصوم في بيته دون إذنه فقد تجرأت عليه في بيته.

والتجرأ على كرامة سلطان السلاطين، هو الإشتغال بما نهى عنه.

أي حاج من الحجاج الاعتياديين، دخل إلى الحرم الإلهي ولم تصدر منه مائة معصية على الأقل من الكذب، والغيبة، وأذى الغير، والنميمة، وتعطيل حق الغير، والفحش للسائق، والمعرِّف وغيره، مما لا تتسع الورقة لبيانه[١]، **والله أعلم**.

وعندما يبدأ الطواف، يجب أن تستولي على جميع ذرات وجوده الهيبة، والعظمة، والخوف، والخشية، والرجاء، وطلب العفو والرحمة، واذا لم ترتجف الاعضاء الخارجية، فلا أقل من أن يرتجف القلب، مثل الملائكة الذين يطوفون دائماً حول العرش، كما في الأخبار[٢]، إذا أردت أن تتشبه بهم.

ويجب أن ينتبه إلى أن الطواف ليس منحصراً بالطواف الجسماني، بل هناك طواف آخر هو أصل الطواف الحقيقي، وهو طواف القلب حول ذكر رب البيت، وإنما هو أصل لأن الأعمال الجسدية جعلت أمثلة للأعمال القلبية، لينتقل الانسان من تلك «الأعمال الجسدية» إلى هذه «القلبية» كما هو مضمون الرواية.

وأيضاً يجب أن يعلم أنه كما لا يمكن الوصول إلى هذا البيت بدون قطع العلاقة بالأشغال الدنيوية، والمرأة، والولد وغير ذلك،

(١) بعض ما ذكر يبدو أنه من لوازم البشرية، ولكن يجب تذكر الحديث الشريف: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من عبد يصبح صائماً فيُشتم فيقول: سلام عليكم إني صائم، إلا قال الله تعالى: استجار عبدي من عبدي بالصيام، فأدخلوه جنتي. مستدرك الوسائل ج٧/ ٣٧٠. إذاً رعاية ذلك في الحج بطريق أولى. الاصفهاني « * أورد الشيخ هذا الحديث بالمضمون».

(٢) * أنظر: الشيخ الصدوق، علل الشرائع ٤٠٦/٢ عن الإمام الرضا عليه السلام. والحديث في المصادر مستفيض.

فكذلك الامر في الوصول إلى الكعبة الحقيقية. إن أساس الحجب المانعة من الوصول اليها العُلقة: علاقة القلب بالدنيا.

عند تقبيل الحجر، والالتصاق بالمستجار[١]، وعند استلام الحطيم[٢] والتشبث بأذيال ستار الكعبة يجب أن يكون حاله حال المذنب الفار من خوف الأذى أو خوف أن يُكْوَى، أو يقتل، فالتجأ إلى عظيم ليعفو عن ذنبه، ولذا فهو تارة يقبّل يديه ورجليه، وتارة يلوذ به لواذ العاجز الحقير، تارة يبكي، تارة يقسم عليه بأعز الأشخاص عنده، تارة يتضرع، لعله ينقذه من هذه المهلكة، خاصة إذا كان من التجأ اليه من يعرف أنه لن يجد ملجأً غيره، إنه حين ذلك لا يفكر بالخروج من عنده إلا بعد أن يحصل على الأمر بالعفو عنه.

لا ورب الكعبة، إن الانسان بالنسبة للأمور الدنيوية، كما تقدم، أما بالنسبة إلى عذاب الآخرة، فلأنه آجل ودَيْن، وليس نقداً، فإنه لا يفكر بمثل هذه الأمور[٣] من التذلل والالتجاء والتضرع.

---

(١) * المستجار المكان المقابل لظهر باب الكعبة، من الجهة الأخرى، وهو المكان الذي كان في السابق باب الكعبة قبل تجديد البناء على ما قيل، أو هو المكان الذي استجارت عنده بالبيت فاطمة بنت اسد أم أمير المؤمنين عليه السلام عند ولادته في الكعبة.

(٢) * الحطيم بين باب الكعبة والحجر الاسود، أو ما بين الركن وزمزم والمقام، وسمي بذلك لأن الناس يظهرون الانكسار والتواضع هناك ويلوذون بالدعاء بخضوع وخشوع، وفي الجاهلية كان مكاناً للقسم. وحطم بمعنى كسر، وقيل: سمي بذلك لازدحام الناس عنده يحطم بعضهم بعضاً، أو لأنه يحطم الذنوب. وفي بعض الروايات أنه أشرف البقاع، وبعده في الفضل قرب مقام ابراهيم ثم حجر اسماعيل عليهما السلام.

(٣) ملأ البيت حنطة ولم يرسل إلى القبر حبة شعير، أليس غم موتك مثل غم استحقاق «فاتورة» الشتاء؟ مضمون بيت.
في هذا المقام أيضاً، لا يهتم الإنسان للعذاب الروحاني المخلد او شبه المخلد كالاهتمام الذي يبديه للعذاب الجسماني رغم قصر مدته. الأصفهاني.

الحجاج الذين يكون حجهم كاذباً، يركضون قليلاً حول الكعبة ثم يذهبون للتفرج على الحجارة والأسواق والجدران.

* وعندما يأتي إلى السعي يجب أن يكون سعيه، أن يجعل هذا السعي بمنزلة التردد في بيت السلطان برجاء عطائه ومنّه.

وأما في عرفات، فليتذكر المحشر، من خلال ازدحام الخلق، وارتفاع أصواتهم بأنواع التضرع والنحيب، والالتماس باختلاف الألسنة، وتوسل كل فئة منهم بأئمتهم طلباً للشفاعة.

فليبذل جهده في كمال التضرع والإلحاح هنا «في عرفات» حتى لا يبتلى هناك «في المحشر»، ولْيقْوَ ظنُّه كثيراً بحصول مراده، لأن يوم الموقف الشريف، عظيم، والنفوس مجتمعة، والقلوب منقطعة إلى الله، وأيدي الأولياء وغيرهم ممتدة إلى الله **جل شأنه**، والرقاب مشرئبة نحوه، العيون باكية من خوفه، والمفاصل مرتجفة من هيبته، واليوم يوم إحسان، والأبدال والأوتاد[١] في المحضر حاضرون، وقد قرر السلطان العفو والإنعام، وهو أيضاً يوم تقليد الوسام لرئيس وزراء الدولة العتيدة **عجل الله فرجه، وسهَّل مخرجه**.

في مثل هذا اليوم لا يستبعد حصول الفيض بأعلى مدارجه لجميع الناس والخلائق.

هل تظن أن خالقك سيضيع سعيك مع أنك انقطعت عن الأهل والأولاد؟! ألا يرحم غربتك؟!

(١) الأبدال رجال الله، الأشخاص الشرفاء والصالحون والخيرون. الأوتاد: الأجلاء والأدلاء وكبار الطريقة، وهم القدوة في التقوى والعبادة وثبات القدم. الأصفهاني.

ما هكذا الظن به ولا المعروف من فضله.

ومن هنا ورد في الحديث:

إن من أعظم الذنوب أن يحضر أحد عرفات ويظن أنه لا يغفر له[١]. **أللهم ارزقنا.**

وعندما يفيض من عرفات، ويتوجه إلى الحرم[٢]، فلينتبه إلى أن هذا الإذن الثاني بدخول الحرم سبب للتفاؤل بقبول حجه، وقربه من ربه، وأمنه من العذاب الإلهي.

وعندما يصل إلى منى فليرم الجمار[٣] ملتفتاً إلى أن روح هذا العمل في الباطن إبعاد الشيطان، **فإن كان كالخليل فكالخليل وإلا فلا**[٤].

---

(١) في المحجة البيضاء ج ٢/ ١٤٨: وأعظم الناس جرماً من أهل عرفات الذي ينصرف من عرفات وهو يظن أنه لم يغفر له وفي عوالي اللئالي ج٤/ ٣٣: وروي عنهم عليهم السلام أن أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفة وظن أن الله لم يغفر له

(٢) من الجدير بالذكر أن أعمال الحجاج بعد الوقوف بعرفات، بالترتيب التالي: ١ ـ الوقوف في المشعر الحرام ـ ٢ ـ الدخول إلى منى «رمي الجمرة والذبح والحلق والتقصير» ـ ٣ ـ الرجوع إلى مكة والإتيان بخمسة أعمال «الطواف/ صلاة الطواف، السعي بين الصفا والمروة، طواف النساء، وصلاته».

(٣) رمي الجمار هو رمي الحصى إلى الأعمدة التي هي في منى وكل منها يسمى الجمرة، وهي ثلاثة أعمدة صخرية معروفة، ويجب أن يرميها الحجاج بالحصى في اليوم العاشر والحادي عشر والثاني عشر.

(٤) يمكن أن يكون معنى هذه العبارة كما يلي: فإذا كان كإبراهيم الخليل عليه السلام، قد طرد الشيطان عنه، فقد عمل الحاج كإبراهيم الخليل وإلا فلا. ويمكن أن يكون المراد منها: أن الحاج إذا عمل لذلك فهوجيد وإلا فلا، وأصل العبارة مأخوذ من جملة للشيخ البهائي قدس سره ذكرها في بحث توابع المنادى من كتابه الصمدية. يبدو أنها لاشتهارها أصبحت كالمثل السائر. الأصفهاني.
* فإن كان موحداً كالخليل عليه السلام، فسيعامله الله تعالى كما يعامل من استحق مرتبة الخِلّة، وإلا فلا.

وعندما يودع الحرم يجب أن يكون في منتهى التضرع، مشوَّش الحال، بحيث أن كل من رآه أدرك أنه مثل من يترك شخصاً عزيزاً، ويرحل عنه(١)، مثل ترك إبراهيم إسماعيل عليهما السلام وهاجر.

ويكون قراره أنه سيرجع في أول أزمنة التمكن من الرجوع إلى هذا المكان الشريف.

ويجب أن يكون متوجهاً إلى المضيف سبحانه في كل حال، حذراً من أن يودعه بما ينافي الأدب فيصبح المضيف لا يرضى برجوع هذا الضيف إلى بيته أبد الآبدين.

ورغم أن هذا المضيف جل جلاله سريع الرضا، إلا أن على الضيف مراعاة الأدب إلى أقصى الحدود.

إذا استطاع، فليحرص بمقدار وسعه على الذهاب إلى البقاع التي تعبّد فيها رسول الله ﷺ مثل جبال مكة المظلمة، يذهب إليها بقصد التشرف بمحل أقدامه المباركة، لا بقصد التفرج، بل يصلي فيها ركعتين(٢) بقصد القربة المطلقة، بل يبقى فيها ـ إذا تمكن ـ مدة أطول من المتعارف.

وإذا كان حجه هو الأول، فلا يترك الدخول إلى الكعبة بالآداب المأثورة في الشرع المطهر، كما ذكر في محله.

(١) * لبعضهم:

وداعاً أيها الحرم وداعاً، والجوى ضرم
تركت بمكة روحي وعدت يلفني الندم

(٢) أقبّل أرضاً سار فيها جِمالها فكيف بدار دار فيها جَمالها
الأصفهاني

في صفات العلماء الحقيقين

نذكر هنا جملة من صفات علماء الآخرة الذين هم مقابل علماء السوء وأهل الدنيا، حتى لا يعتبر كل شخص نفسه مربياً ومن أهل علم الآخرة، وهذه الصفات عدة أمور:

الأول: أنه يجب أن يكون زاهداً في الدنيا. ومعنى الزهد رفع العلاقة القلبية الذي يلازمه رفع العلاقة الظاهرية، لأن أقل مراتب العلم، العلم بحقارة الدنيا وكدورتها وفنائها، والعلم بجلالة الآخرة وصفائها وبقائها.

وأيضاً يجب أن يكون قد فهم أن الدنيا والآخرة ضرتان[1] لا يمكن جمعهما،

فإذا كان لم يفهم الأمر الأول «حقارة الدنيا» فيا للحمق!

وإذا كان لم يفهم الأمر الثاني «جلالة الآخرة» ولا يعتقد بذلك فيا للكفر!

(١) ضرتان مثنى ضرة، الزوجة الأخرى للزوج، وهذه الجملة مأخوذة من كلام أمير المؤمنين سلام الله عليه في نهج البلاغة حيث يقول: ان الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان، فمن أحب الدنيا وتولاها، أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماشٍ بينهما كلما قرب من واحد بعد من الآخر، وهما بعد ضرتان نهج البلاغة/ الحكمة رقم١٠٠

وإذا كان لم يفهم عدم اجتماعهما فيا للزندقة!

وإذا كان قد فهم الجميع لكنه لا يستطيع أن يكبح جماح نفسه «ويخرج من عهدتها» **فهو أسير الشهوة، ومثل هذه النفوس غير قابلة لأن تعد في درجة العلماء.**

يقول الشاعر العربي:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

نعم، وعلامة وجود هذه الملكة الشريفة «أي الزهد في الدنيا» في القلب:

أولاً: إجتناب العلوم الدنيوية إلا بمقدار توقف العلوم الأخروية عليها،

وثانياً: الفرار من الأمراء والحكام **لاسيما السلاطين،** فيجب أن لا يخالطهم بهدف الطمع في المال أو الجاه.

أما إذا كان ـ **بينه وبين ربه ـ ودون اشتباه** «وخطأ في التشخيص» قد أقام هذه الخُلطة والعلاقة معهم وخالطهم من أجل إقامة نظام النوع «الإنساني» وإعلاء كلمة الشرع المبين وقمع المبدعين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما كان بعض اصحاب أئمة الهدى سلام الله عليهم، فإن ذلك أفضل الأعمال.

ولكن ذلك خاص بالشخص الذي يطمئن إلى أن أساليبهم لن تؤثر فيه.

والأخبار تشهد بذلك **بأعلى صوتها** وهو سيرة العلماء الأجلاء.

الثاني:[١] أن يكون فعله موافقاً لقوله، حيث قد روي عن صادق آل محمد سلام الله عليه في تفسير الآية الشريفة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾: **يعني بالعلماء من صدّق فعلُه قولَه ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم[٢].**

الثالث: أن يفر من الفتوى كما يفر من الأسد والأفعى.

في الرواية أن الشخص كان يدخل مسجد النبي ﷺ، ويجد جمعاً من الصحابة جالسين، فيسألهم عن بعض الأحكام، فكان الجميع كل منهم ينتظر الآخر ليجيب، **خوفاً «من» الوقوع في الخلاف** وهذا مثار للتأمل الشديد.

وكذلك ينبغي أن يجتنب المجادلة والمناظرة في المجالس والمحافل لأن ذلك مصدر الفتنة والخبائث له، والشواهد على ذلك من الروايات كثيرة.

الرابع: أنه يجب أن يكون منكسراً وحزيناً صامتاً، مطأطيء الرأس، وآثار الخوف والخشية والخضوع والخشوع ظاهرة فيه، كل من رآه يتذكر الألوهية، ويدل سيماؤه على علمه، الشاهد على ما ذكر الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) ❊ وردت هذه الكلمة في جميع النسخ الثلاث: والظاهر أن منشأ الإشتباه أن التفريع السابق لها تضمن كلمة وثانيا، وبما أن التشقيقات لما نحن فيه ستة فقد تم استبدال الثالث بالثاني وكذلك في ما بعده إلى السادس فليلاحظ.

(٢) مجمع البيان ج ٨/ ٤٠٧.

إن العلم ذو فضائل كثيرة[١] إلى آخر الحديث وهو طويل، **فعليك بالتأمل فيه لينفعك إن شاء الله تعالى،** وكذلك غيره من الأخبار الكثيرة في هذا المجال.

الخامس: أن يكون اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق السلوك الأخروي أكثر من أي عمل واهتمام.

ذلك أن العلوم قسمان:

قسم مدون، تم بحثه في الكتب.

وقسم لا يدون، وكل من كتب فيه شيئاً فإنه لم يتمكن من بيان أصل المطلب.

إذا كان للكاتب ـ في هذا المجال ـ حقيقة معرفة ما، فقد أشار إشارة ما من بعيد، لأن هذه الحقائق **ـ على ما هي عليه ـ** ليس لها بيان لفظي.

ومن الواضح جداً أن الفيوضات الغيبية من القسم الثاني، ومنها تنكشف المعارف الحقيقية، ومنها يتم الحصول على أصل الإنسانية، ومن هذا النحو من العلم يحصل الإنسان على الكمال، **أللهم ارزقنا.**

السادس: أن يكون حصل على قوة في فهم الأخبار كي يكون اعتماده في المسائل العلمية على ذلك الشيء الذي فهمه بينه وبين الله

(١) * الحديث مروي عن الإمام الصادق، عن أمير المؤمنين عليهما السلام، وأوله: يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة، أنظر: الشهيد الثاني، منية المريد ص١٤٨، وابن فهد، عدة الداعي ص٦٤، والمجلسي، البحار ج١/ ١٧٥.

من الآيات والأخبار، لا أن يكون اعتماده على ما سمعه من الغير تقليداً أو رآه في كتب الآخرين، لأن كلام الغير ليس حجة، وكذلك فعل الغير ليس حجة، **ضرورة أنه لا عبرة بكلام غير من عصمه الله تعالى عن الزلل، ولعل إلى جملة ما ذكر أشار النبي ﷺ بعد تلاوته قوله تعالى ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾، بعدما سئل عن هذا الشرح** «شرح الصدر» **بقوله: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله**[١].

فإن قلت: أنت الذي تكتب هذا، أيضاً، لا تعمل به.

قلتُ: نعم، حق وصدق.

عرفت أنا طريقة التقوى، لكن ما العمل، حظي عاثر، [٢] **أعاذنا الله من شر النفس وجماحها ووفقنا لما فيه خيرها وصلاحها**.

ذلك أن الحق مر، والاستمرار به أمرّ، وطريق تحصيله صعب، والوصول إليه أصعب، والطبع ميال إلى الأسهل والملائم له والجسد مدلل النشأة مترف.

لا يمكن للمدلل أن يقطع الطريق للوصول إلى المحبوب، فإن العشق من شيم الرجال الذين يتحملون البلاء[٣].

الحاصل، هكذا تتضح أوصاف علماء السوء بقرينة المقابلة،

(١) * الطبرسي، مكارم الأخلاق/ ٤٤٧، والمجلسي، البحار٧٠/ ١٢٢.
(٢) * مضمون بيت.
(٣) * مضمون بيت.

وكذلك اتضح إجمالاً أمر اولئك الذين يسمي أحدهم نفسه مرشداً ومربياً.

ونزيد توضيحاً في حال الطائفة الأخيرة عند الحاجة في ما يأتي إن شاء الله تعالى.

في أصناف المغرورين

فنقول: إعلم أن فِرَق المغترين كلها غير محصورة، وجهات الغرور وأسبابه أيضاً كثيرة، ومعنى الغرور اشتباه النفس في تصورها أمراً في صورة الخير والواقع أنه شر. والداعي إلى ذلك هو الهوى. فالأشخاص الذين هم من هذا القبيل متفاوتون.

* فبعض المغرورين كفار لا يبيعون النقد الدنيوي بالنسيئة الأخروية لقلة اعتمادهم على الله ورسوله ولو أنهم كانوا مؤمنين بالله لما كانوا كذلك، بدليل أنهم يعتبرون أن كلام صاحب كل اختصاص ينبغي الاهتمام به عقلاً لمن هو جاهل بذلك الاختصاص، ومع ذلك لا يلتزمون بكلام الأنبياء.

ثم ان لهؤلاء بعض التعبيرات الكاذبة الوهمية إذ أنهم يرون ابتلاء المؤمنين تارة بالفقر، وبغيره من الأمور الدنيوية تارة أخرى، ويرون حسن حال أنفسهم الدنيوي فلهذا يصابون بالغرور ويقولون: لو كان لـ«هذا» المؤمن قدر وحظ عند الله لما كان على ما هو عليه، ولو كان الله لا يحبنا لما منّ علينا بكل هذه النعم والإحسان. ويقولون: فيجب أن يكون الأمر في الآخرة كذلك.

ومن قال ذلك فقد **كذب والله العظيم**، لأن النعمة الدنيوية ليست دليلاً على التقرب، وقد عُلم ذلك **حساً** من الفراعنة المتقدمين، بل النعمة الدنيوية مهلكة **ومبعدة عن الله جل جلاله**.

ومن هنا فقد حذر أطباء النفوس أولياءهم من الإلتذاذات الدنيوية كما يحذر الوالد الحنون طفله العزيز حال المرض من الأطعمة اللذيذة ليستعيد عافيته، **حباً للولد**.

فإذا كان لشخص عبدان يترك أحدهما على سجيته ويهمله، ويحمل الآخر على أنواع الرياضات والأمور الشاقة ليشفى من أمراضه «النفسية» ويخلصه من عيوبه، فإن ذلك دليل محبة المولى **للأخير فقط دون العكس**.

وقد كان السلف يحزنون من إقبال الدنيا ويقولون: ذنب عُجلت عقوبته ويفرحون بإدبارها ويقولون: مرحباً بشعار الصالحين، والمغرور على العكس يظن الاول كرامة والثاني إهانة وإليه يشير قوله عز من قائل: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦].

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢ ـ القلم: ٤٤].

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

* وبعض المغرورين الفسقة يرون لأنفسهم حقاً: تارة بسبب الحلم الإلهي وعفوه «سبحانه» وفضله وأخرى بسبب ما ورد في مدح الرجاء، وبعضهم بسبب نسبهم كالذرية العلوية «سلام الله عليه» بمجرد

أن أحدهم سيد يدخله الغرور بسيادته، ولا يعلم هذا المسكين أنه إذا كان اعتماده على الرجاء فإن الرجاء دون عمل غلط محض، إذ لو كان الرجاء وحده كافياً لما أتعب المعصومون عليهم السلام أبدانهم وأرهقوها إلى هذا الحد، ولما حرموا على أنفسهم الراحة، ولما انصرفوا إلى التضرع والنحيب والإبتهال ليل نهار.

هؤلاء هم أشبال الأسد يشبهونه، قل لي بأي شيء تشبه رسول الله[1].

ولا يخفى أن أقوال الأنبياء وأئمة الهدى عليهم السلام تقبل التأويل، ولكن أفعالهم لا تقبل التأويل **فافهم واغتنم**.

نعم، وإذا كان سبب غروره صرف النسب فإن الله تعالى يقول: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

ويقول أيضاً: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٧].

من يرى أنه ينجو بنجاء أبيه كمن يرى أنه يشبع إذا شبع ابنه او أبوه أو يرى أنه يصبح عالماً بسبب دراسة أبيه، هيهات هيهات، بل التقوى واجب عيني على كل مكلف بخصوصه ولا يجزي والد عن ولده، بل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، ولا شفاعة إلا بتحقق شرائطها ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

* وبعض المغرورين هم العلماء الأعلام وغرور هؤلاء **تارة من حيث العلم** وأخرى من حيث العمل، **أما المغترون من الجهة الأولى ففِرَقٌ**:

(١) * مضمون بيت لمولوي، مثنوي معنوي، ورد في القرص «درج» صدره عجزاً والعكس.

* فرقة يكتفون بعدة كلمات من كلام الجدال الذي يستعمل في المجالس والمحافل، ولا نصيب لهم من العقائد الصحيحة أو العلوم المرتبطة بالفقه أو العمل، هؤلاء مثل خيط معلق في الهواء يميل به الريح حيث مال وأمر هؤلاء واضح.

* وفرقة أخرى اكتفوا ببعض العلوم الأدبية بحجة أنها من مقدمات العلوم الشرعية فأفنوا عمرهم في ذلك والحال أنهم لم يفوزوا بذرة من نصيب ما خلقوا لأجله من المعارف وغيره.

* وفرقة أضاعوا عمرهم في الفقه فقط، أو مع مقدماته التي هي أصول الفقه، ولم يلتفتوا بعد إلى أن الفقه مقدمة العمل، والعمل مقدمة تهذيب الأخلاق، والأخلاق مقدمة التوحيد، وهذا المسكين يتخبط في المقدمة الأولى، إلى آخر عمره، وما تزال ثمة عدة مقدمات ليصل إلى النتيجة، ان شاء الله تعالى «يصل اليها» في عالم البرزخ وإلا لا مجال آخر لذلك.

* وطائفة لم يكتفوا بذلك، فتعمقوا في جميع العلوم، إلا أنهم أهملوا القوة العملية، وأعرضوا عن تزكية نفوسهم من الرذائل الخلقية وبعضهم يلتزم بواضحات الأخلاق والسمعيات منها إلا أنه في المكنونات القلبية والأمور **الغامضة الخفية** لم يبذل دقة تذكر، مثل هذا الشخص يتكبر ويسمي ذلك إعزاز الدين ويرائي ويسمي ذلك إرشاد الجاهلين وهكذا.

وكل هذا تعزيز لنفسه، والله تعالى مطلع على سريرته ولا سيما بعضهم إنه يخوض في أموال اليتامى والفقراء والمساكين ويصرفها في

شهواته وفي من يختلف إليه من الأنصار والمريدين ظناً منه أنه يستحق بذلك جزيل الأجر والمثوبة بإعانة الفقراء وتخليص الأغنياء عن اشتغال الذمة بالحقوق الواجبة وترويج العلم بإعانة الطلبة والله العالم بالضمائر.

* نعم، فرقة أخرى هم الوعاظ المتكلمون في شريف الملكات والمرغبون للناس في فضائل الصفات والمحذِّرون من الذمائم والآفات والحال أن المتكلم منهم مملوء من الرذائل، خالٍ من الفضائل، ظن أن محض القول ومعرفة الإصطلاحات وفهم معنى الألفاظ والعبادات يدخله في السالكين إلى الله أو أن الكلام بإصلاح الخلق وهدايتهم إلى الحق يجعله مستحقاً لجزاء رب العالمين، ألا يعلم حسرة يوم القيامة وما يحل به من التأسف والندامة، ألم يقرأ الآية الشريفة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف ٢ ـ ٣].

ألم يطرق سمعه الخطاب الإلهي:

عظ نفسك بحكمتي فإن انتفعت فعظ الناس وإلا فاستحْيِ مني[١].

وكذلك ما حاصله:

قل لفلان حيث أنك لا تعمل بما كتبت في الكتاب الذي ألفته **فقد ملأت الخافقين كفراً ونفاقاً**، أو قال نفاقاً فقط.

---

(١) * حديث قدسي، أوحى الله إلى عيسى عليه السلام الخ، الريشهري، ميزان الحكمة ج٤/ ٣٦٠١ نقلاً عن المتقي الهندي، كنز العمال/ ٤٣١٥٦.

ليس لهؤلاء شيء إلا الجهل والغرور، لا سيما البعض الذين يجيدون صناعة تركيب الكلمات وهم أساتذة في التشبيهات والإستعارات وتزيين الألفاظ لتكثير رغبة الناس وتحصيل المريدين من العوام كالأنعام ومن أجل ذلك يضربون الآيات والروايات بعضاً ببعض ويدخلون في قوانين الشرع والعقل ما ليس فيها ولا يتورعون عن الكذب.

ونقل الحكايات العجيبة والغريبة **حرصاً** «**من كل منهم**» **على حصول وقع كلماته ومقالته في الصدور**، أو ينقلون الشبهات التي لا يجوز نقلها ولا يمكن رفعها من الأذهان بسهولة ويزيدون غرور العوام من حيث رجاؤهم وجرأتهم على المعاصي.

كلا ورب الكعبة، ليس مثل هؤلاء الأشخاص في خط الهداية ولم يوقظوا أحداً من الجهالة لأن ضررهم أبقى وأدوم وفسادهم **أكثر وأعظم بل هم أشر الناس وهم أخزى من الخناس**.

* وفرقة أخرى هذبوا أخلاقهم وصفَّوا نفوسهم من لوثة الكدورات، واستخلصوها من الشواغل والعلائق الدنيوية وتركز طمعهم بدل الخلق على الحق، وحملتهم الرحمة والشفقة على العباد على هدايتهم وإرشادهم، إلا أنهم بعد ذلك كله، وجد الشيطان سبيلاً إليهم ودعاهم سراً، وتدريجاً نمت هذه الدعوة فيهم حتى قويت، **فصار** «**أحدهم**» **متصنعاً** «**للناس**» **في الألفاظ والعبارات والحركات**، وتلقاه عوام الناس بالقبول بحيث أنهم حكموه في الأموال والأنفس واعتبروا أنفسهم جملة الخدم والعبيد له.

عندها تغلب عليه لذة الشهوة فيستأنف التلذذات التي كان قد تركها ظناً منه أنه لا سبيل بعد ذلك للشيطان إليه.

هيهات، هيهات لو أنه كان سالكاً مسلك النجاة لما أمن من كيد الشيطان **في حال من الحالات بل كان مواظباً على التضرع والابتهال ومستعيناً في دفعه بالكريم المتعال وخائفاً على نفسه من «انحراف» عقيدته ومن خطر سوء الخاتمة نعوذ بالله منه.**

قالوا: إن أحد العظماء كان قد بقي نفس من عمره، فظهر له الشيطان وقال له: نجوت من كيدي، فأجاب: لم يثبت ذلك بعد.

نعم، الهدف، بيان أحوال مدعي بعض المقامات وبيان خطئهم ومن جملتهم طائفة «القلندرية»[(١)] الذين ظنوا أنهم تاركون للدنيا ولذاتها، والحال أنه **لو أقبل عليهم شيء من الدنيا بغتة لماتوا من الفرح، أنى لهم وترك الدنيا؟**

سلّمنا، لكن هذا المقدار لا يكفي في التقرب إلى الله جل شأنه العظيم، بل يجب تحصيل عقيدة أهل الإيمان وأن لا يترك شعار الاسلام، وأن لا يكون «الشخص» جاهلاً بالحلال والحرام وأن لا يستجدي المسلمين ويؤذيهم ويكون كلاً عليهم.

* ومن جملة هؤلاء الطائفة الذين يسمون أنفسهم عرفاء اكتفوا من العرفان بالثياب **وخفض الصوت** وإطراق الراس والتأوه وشبه البكاء لا سيما عند سماع كلام في العشق والمحبة والتوحيد والفقر **مع عدم**

(١) * قلندر بفتح القاف واللام: الدرويش: الأعزب المتحرر من القيود المعرض عن الدنيا وأصل الكلمة غير معلوم. «فرهنك عميد»

معرفة معناها، بل يتجاوز بعضهم ذلك إلى **الشهيق والنهيق** واختراع بعض الأذكار **والتغني بالأشعار** وسائر الحركات الشنيعة، ظناً أن هذه الأطوار توصل الشخص إلى مقام ما.

ليس الأمر كذلك بل هي أسباب **السخط** والغضب الإلهيين§

* وبعضهم تجاوز هذا المقام، فطوى بساط الشرع والسنة النبوية ﷺ ووضعه جانباً، وهو يقع غالباً في الشبهات والمحرمات وترك المستحبات بل الواجبات بدعوى **أن الله تبارك وتعالى غني عن الطاعات** وأن لا عبرة بعمل الجوارح بل المناط القلب وهو واصل إلى المطلوب **ووَالِهٌ** لدى مشاهدة المحبوب!

فعند ذلك يخوض في الشهوات الدنيوية زعماً أنها لا تصد عن المعارف الحقيقية مع قوة النفوس وثبات الأقدام.

وأن المحتاج إلى رياضة البدن هم ضعفاء النفوس من العوام، وبحسب تعبيرهم: المبتدئ من السُلاّك. لم يفكر هؤلاء أنه لو كان الأمر كذلك فلماذا كان الأنبياء والمرسلون والأئمة الطاهرون وسائر الأولياء المتقين ـ مع أنهم الذين خلقت السماوات لأجلهم، ومع أنهم طيبون طاهرون من لوثة السيئات والمعاصي ـ مع ذلك كانوا يبكون للإشتغال لسنين متوالية بأمر مباح كالأكل والشرب والنكاح، حتى لا يكون ذلك الإشتغال مانعاً من الوصول إلى درجات عالية في جوار رب العالمين ولا يسقطهم عن مرتبة المقربين.

إن هذه الطائفة أضعف الناس عقلاً وأقواهم **جهلاً وحمقاً**.

* وبعض هؤلاء توهم أموراً خطيرة ظناً منه أنه بلغ غاية المعرفة

واليقين واجتاز درجات مراتب المقربين **وهو الآن في مشاهدة المعبود ومجاورة «المقام» المحمود والملازمة في عين الشهود ملفقاً من الطامات** والكلمات المزخرفات متوهماً بأنه أصبح مطلعاً على الملك والملكوت، يخطر في ساحة القدس والجبروت.

عندها يكون من لوازم هذا الوهم النظر إلى الصلحاء والفقهاء والمحدِّثين وسائر العلماء نظرات احتقار وإهانة **مدعياً لنفسه من خوارق العادات ما لم يدعه لنفسه أحد من الأنبياء والأولياء،** حيث أن المظنون هو أن الخوارق مختصة بأنبياء السلف، لا أن كل نوع تصرف ميسور للجميع، ولا يستفاد من الأخبار أكثر من ذلك.

ورغم هذا فإن هذا الشخص لم يتجاوز قشراً من القشور، فلا منشأ لهذه الإدعاءات إلا الجهل. والدليل عليه ارتكاب بعض قبائح الأعمال وشنائع الأفعال الذي يظهر منهم لترويض النفس وإزالة الملكات الرذيلة، لا يعلم «أحدهم» أن هذه في حد ذاتها **من ذمائم الصفات وهل تدفع الرذيلة بالرذيلة والذميمة بالذميمة.**

وهل هناك قحط في الرياضات الشرعية لترويض النفس كإحياء الليل وجوع النهار والمشي في الأسفار العبادية وغير ذلك، وكأنه لا بد مما يخالف الشرع.

* نعم، وهناك فرقة روضوا أنفسهم حقيقة بالرياضات الشرعية واجتازوا أيضاً بعض المراحل والمقامات، وظهرت فيهم حقيقة ذلك وعلامته واقعاً، إلا أنهم لخطورة الأمر وقعوا في الخطأ، فوقفوا في ذلك المقام **ظناً منهم الوصول إلى الله جل جلاله، والسر في ذلك**

الإشتباه أن لله تعالى سبعين حجاباً من نور، ولا يصل السالك إلى واحد منها إلا وهو يظن أنه لا مجال للتعدي عنه.

ولعل إلى ذلك الإشارة في قضية رؤية ابراهيم عليه السلام الكوكب والقمر والشمس وأفول كل واحد منها.

ذلك العظيم أجل من أن يقع في شبهة الجسمانية في حق الباري جلت عظمته. من جملة الحجب، القلب، عندما يستنير، بعد أن كان محجوباً عن نفس الشخص مدة مديدة، ألم تقرأ في الدعاء **قلبي محجوب وعقلي «مغلوب، ونفسي» معيوب**. بعد التنَوُّر يخطئ، **حيث أنه بعدما رأى أنه أشرق وصار جميلاً فائقاً فحينئذٍ يدهش وربما يسبق إلى لسانه كلمة أنا الحق، أو ليس في جبتي سوى الله، أو إني كعبة ألا طوفوا حولي، ونحو هذه الخرافات.**

وإذا لم تتضح له بعد ذلك مسألة الحجابية فسيبقى في الضلالة أبد الآباد، وإلى هذا يشير قول الشاعر:

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح فكأنما قدح ولا خمر(١)

ومن هنا وقع بعض النصارى في اشتباهات حول المسيح عليه السلام **فغلطوا فيه وقالوا ما قالوا.**

وكيف كان، فإن هذا يحتاج إلى مزيد بيان لأنه من مزالّ أقدام السالكين، وغالب مفاسد الرد والإيراد والتكفيرات وغيره ينشأ من هذا

(١) * البيتان للسهروردي «الشهيد» أنظر: الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، الإمارات العربية WWW.cultural.org.ae وقد وردا فيها كما يلي: رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر، فكأنها خمر ولاقدح وكأنها قدح ولاخمر.

المِرجل، إلا أن البيان أكثر مما ذكر، ليس من هذا الشغل للمصنف، من وجوه، لكن أستاذ الحقير، رضوان الله عليه، كان يقول لأصحابه دائماً، لا يشتبهنّ الأمر على أحد، إن الممكن لن يصبح أبداً واجباً، ذلك محال، **والله الهادي**.

ومن جميع ما ذكر، أصبح واضحاً معنى: **والمخلصون في خطر عظيم**(١).

إذاً فاعلم يا أخي أنك: **لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني، إلا بالتضرع التام، وبصدق الإنابة إلى الله، والإخبات له، ومعرفة عيوب نفسك من حيث ما لا يوافق العلم والعقل، ولا يقره ويحله الدين والشريعة وسنن القدوة، أئمة الهدى سلام الله عليهم أجمعين.**

محمد البهاري الهمداني

---

(١) * لدى التأمل في طريقة تناول الشيخ البهاري رحمه الله تعالى لهذا الموضوع الحساس من قوله حيث أنه بعد ما رأى أنه أشرق وإلى قوله والمخلصون في خطر عظيم يتضح معلم بارز من معالم مدرسة الآخوند «الشيخ حسينقلي» الهمداني رضوان الله تعالى عليه، هو معلم الدقة العلمية التي لا تنسجم مع جبر نقص الدليل بالميل والهوى، الأمر الذي لا ينسجم مع التقوى بوجه من الوجوه.
كما يتضح بالتأمل المذكور، مدى الحذر العلمي الذي طبع كلمات الشيخ، فهو يلامس نفي التكفير عمن ثارت ضدهم زوبعة التكفير، بل ضربهم زلزاله، دون أن يصرح بذلك، وكأنه أرادها دعوة إلى التروي، وتقوى الله تعالى، تحتمل أن يكون أراد بها أولئك الذين يقول أحدهم أنا الحق وشبهه، كما تحتمل ـ إن لم تكن نصاً في ذلك ـ أنها موجهة إلى من يستسهلون التكفير، فترى الشيخ يصرح بأن عبارات أنا الحق، إني كعبة، ليس في جبتي، إلخ خرافات، وهي كذلك، إلا أن هذا شيء والتكفير شيء آخر.
والملفت أن ما نقله عن أستاذه يندرج أيضاً في نفس السياق المذكور، فقوله لا يشتبهنّ الأمر على أحد، إن الممكن لن يصبح أبداً واجباً موجه إلى من يطلق مثل تلك الخرافات كما هو موجه إلى من يطلق التكفير جزافاً دون التمييز بين الخطأ وغيره.
إنها دعوة إلى التروي والتدقيق في موضوع هو مزالّ اقدام السّلاك والمرجل الذي تنشأ منه غالب مفاسد الرد والإيراد والتكفيرات وهو بعد من أوضح مصاديق الخطر العظيم الذي يتهدد المخلصين.

توجيهات، إلى الشيخ أحمد التبريزي(١)

ما هو لازم لجناب الشيخ أحمد هو أن يتأمل تأملاً سليماً ليرى هل هو عبد أم حر؟

إذا رأى أنه حر فهو مخيرٌ في أن يفعل أي شيء أراد.

وإذا رأى أنه عبد وله مولى، وليس مسموحاً له أن يفعل ما يحلو له، حتى إذا كان حركة يد، فإنه سيسأل عن سبب ذلك ومبرره، ويجب أن يقدم جواباً صحيحاً.

«إذا كان كذلك»، فيجب أن يكون سعيه في مجال تحصيل رضا مولاه، حتى إذا لم يكن الآخرون راضين عن هذا الفعل أبداً، ولا مجال لتحصيل رضا المولى الحقيقي جل شأنه إلا بتحصيل التقوى.

لن يتحقق الهدف الأصلي من الخلقة إلا بالمعرفة والمحبة بين العبد والمولى، وتحصيل التقوى يحتاج إلى عدة أمور لا مناص منها.

(١) * جاء في نسخة أ: التوجيه الذي كتبه المرحوم المبرور الحاج جناب الشيخ محمد البهاري مؤلف هذه الوجيزة رضوان الله عليه، إلى «سيادة» الشيخ أحمد التبريزي، ولم يرد ذلك في النسختين الأخريين. والعنوان أعلاه في ضوء ماورد في أ. والعنوان الرئيس في النسخ التوجيهات ولانحصارها بمورد واحد أوردتها كما في العنوان توجيهات.

أحدها: اجتناب المعاصي، يجب أن يتعلم المعاصي تفصيلاً فيترك كلاً منها في مجالها.

من جملة المعاصي ترك الواجبات، إذاً، يجب أن يتعلم واجباته أيضاً بمقدار الوسع والابتلاء، ويعمل بها.

وهذا واضح، فمع العصيان لن تحصل أسباب المحبة والمعرفة، إذا لم يكن ذلك سبب العداوة.

فإذا قال الشيخ أحمد: أنا لا أستطيع ترك المعصية بالمرة «كلياً»، ولا بد أن أقع «في بعضها».

فالجواب: لكنك تستطيع بعد المعصية أن تتوب، من تاب من الذنب كمن لم يذنب. إذاً لا ينبغي اليأس من باب هذا البيت، حتى إذا كان الشخص قد قطع رأس مولاه، فهو قادر أن يرضي خصماءه من معدن جوده جلت قدرته.

الثاني: أن يهتم بترك المكروهات **مهما أمكن**. وينصرف إلى المستحبات(١). لا يحقرن شيئاً مكروها ما أمكنه ذلك. لا يقولن: **كل مكروه جائز،** فكثيراً ما يكون ترك مكروه أو الإتيان بمستحب صغير، مقرباً من المولى أكثر من أي شيء، ويتضح هذا من التأمل في العرفيات.

---

(١) في الحديث: يا داود، إقطع شهوتك لي، فإنما أبحت الشهوات لضَعَفَة خلقي، ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنها تنقص حلاوة مناجاتي، وإنما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول، أدنى ما يصل إليهم أن أحجب عقولهم عني، فإني لم أرضَ الدنيا لحبيبي ونزّهته عنها «النص مصحح على ما في إحياء علوم الدين ج ٤ /٣٢٦ والظاهر أن كلمة ما بال تصحيف ما يبالي». قال علي عليه السلام: وإياك فضلات الأمور فإنها حرام على نفس التقي ارتكابها. الأصفهاني

الثالث: ترك المباحات في غير مقدار اللزوم والضرورة، فرغم أن الشارع المقدس أباح أموراً كثيرة للأغنياء، ولكن لأنه في الباطن لا يميل إلى أن ينشغل عبده بغيره، من الأمور الدنيوية «وغيرها» فلذا ينبغي أن يترك العبد هذه المزخرفات، كلاً أو بعضاً، مراعاةً لميل المولى حتى إذا لم يكن ارتكاب ذلك حراماً **اقتداءً بالنبيين عليهم السلام وتأسياً بالأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين**.

الرابع: أن يترك ما سوى الله، أي لا يفسح مجالاً في قلبه لغيره كما قال الشاعر «الخواجة»:

ليس في لوح قلبي سوى اَلِفِ قامة الصاحب، ماذا أفعل، لم يعلمني أستاذي حرفاً آخر.

فإذا قال جناب الشيخ أحمد: كيف يمكن للإنسان مع هذا الإبتلاء بالمعاش والزوجة والأولاد والصاحب والرفيق، أن يترك ما سوى الله، ولا يكون في قلبه شيء غير ذكره، إن هذا الفرض بحسب المتعارف بعيد ولا يمكن تحققه.

نقول: المقدار الذي يجب أن تتركه أنت، هو أن كل شخص يحول بينك وبين ذكر الله فلا تعاشره إلا بمقدار الضرورة والواجب وليس أكثر(١).

(١) كل من جالسته ولم تحصل على تمركز القلب، ولم تتحرر من حديث مائك وطينتك، فحذار أن لا تهرب من مجالسته، وإلا فإن روح الأعزاء لن تحل في ناديك. الأصفهاني «مضمون بيتين لمولوي، ديوان شمس، وفيه كريمان أي الكرام بدل عزيزان أي الأعزاء»

وأما أي شخص يذكرك بالله، فترك مجالسته ليس صحيحاً[١].

قال النبي عيسى على نبينا وآله وعليه السلام:

عاشروا من تذكركم رؤيتهم بالله[٢].

الحاصل: إذا كان طالب الله صادقاً، فيجب أن يقطع أنسه تدريجياً، وشيئاً فشيئاً من كل شيء، ويكون دائماً ذاكراً له «سبحانه»، إلا الأشخاص الذين تمس الحاجة إليهم لتحقيق هذا الهدف، وينبغي أن يكون ذلك بمقدار الحاجة لهذا العمل، وعندها لا تكون معاشرتهم منافية لذكر الله تعالى.

ومحبة هؤلاء الأشخاص من فروع المحبة الإلهية «جل شأنه» ولا تنافي المحبة الإلهية.

* إذا قال الشيخ أحمد:

هذا حق، ولكن على ما أنا عليه، لا يمكنني الإلتزام به لأن شياطين الإنس والجن محيطة بنا وهي توسوس باستمرار، وتشكل مانعاً، ولا نستطيع أن نعتزل اعتزالاً تاماً، يختل عندها أمر المعاش، فلا يمكننا أن نقوم حتى بأمر أنفسنا، ليمكننا أن لا نفكر بأحد «لا نخالط أحداً»، نحن أين، وهذا الكلام أين؟

(١) بجب اجتناب الأغيار، لا الصديق، لباس الصوف للشتاء، لا للربيع. الأصفهاني «مضمون بيت لمولوي، مثنوي معنوي».

(٢) مضمون الحديث عن النبي ﷺ الذي ينقل فيه حديثاً بين عيسى بن مريم عليه السلام مع الحواريين: قال الحواريون: يا روح الله فمن نجالس إذاً؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في عملكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله. الأصفهاني. «تحف العقول/ الكلمات القصار/ رقم ٦٠».

* فنجيب: لو كانت هذه الأمور المطلوبة أموراً آنية، «أي يجب على الإنسان أن يحققها دفعة واحدة وفي آن واحد»، فالأمر كما تقول، بل هي أكبر من ذلك، تبدو لأول وهلة كالجبل، وليست صغيرة، إلا أن الإشكال في أننا لم نكلف تكليفاً شاقاً، فهذه الأمور تدريجية، وعندما تكون كذلك «تدريجية» فبالإمكان تحققها.

بالتدريج روّض الناس الباز والشاهين، وسائر طيور الصيد.

إذاً، ملخص الكلام: أنك في أية مرتبة كنت، نصف الرمق هذا الذي فيك، «استثمره»، المقدار من العمل الذي يمكنك الإتيان به بسهولة، إذا لم تتساهل به وأتيت به، سيضاف إلى قوتك مثله بل أكثر، لأنه «تعالى» قال: **من تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً**[1]، أما إذا تساهلت فإن ذلك المقدار من قوتك أيضاً في معرض الزوال.

---

(١) * فقرة من حديث قدسي، وقد روي بصيغ مختلفة، منها: ـ ما أورده البيهقي ٣٨٤ ـ ٤٥٨ في شعب الإيمان عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه «وآله» وسلم «. . .» يقول الله عز وجل: من عمل حسنة فجزاؤه عشر أمثالها أو ازيد ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلها أو أغفر له، ومن تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطايا لم يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة. «شعب الإيمان للبيهقي ج٢/١٧» وما أورده الغزالي «٤٥٩ ـ ٥٠٥» في إحياء علوم الدين:
قال صلى الله عليه «وآله» وسلم: يقول الله تبارك وتعالى: إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملإه، وإذا تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا مشي إلي هرولت إليه. ثم قال: حديث إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي الحديث متفق عليه، إلى أن قال: يعني بالهرولة: سرعة الإجابة. إحياء علوم الدين ج١ / ٢٩٥وفي بحار الانوار:
في الحديث القدسي: من تقرب الي شبراً تقربت اليه ذراعاً، ومن تقرب الي ذراعاً تقربت اليه باعاً. البحار، ج ٨٧/ ١٩٠.
وقد أورد في ج٣/ ٣١٣ الفقرة الواردة هنا، وفسر التقرب بالدنوّ المعنوي واللطف.

مثلاً: إذا نمت إلى الصبح وكنت ناوياً الاستيقاظ وقت السحر، فلم تستيقظ، الآن، أول الصبح، بمجرد أن التفتَّ، قم، فإن اليقظة بين الطلوعين هي أيضاً فيض مستقل، وتوفيق من الله جل جلاله، فلا تفوِّته على نفسك بالتساهل، لا تصغ للشيطان يقول لك: لديك متسع كبير لصلاة الصبح، نم قليلاً، فهدفه واضح.

وهكذا، جلست في مجلس، تكلمت كثيراً لغواً وعبثاً، إسودّ قلبك، إلا أنك تستطيع أن تنهض قبل نصف ساعة أخرى، وتترك هذا المجلس بالإخراج المناسب، فلا تفوت نصف الساعة هذه، إنهض واخرج، ولا تقل ما الفائدة؟ أنا منذ الصباح مشغول بالتخريب، فما زال باستطاعتك أن تستثمر هذا «الوقت» الجزئي للحصول على كثير من النتائج إن شاء الله تعالى.

إذاً، يجب على الشيخ أحمد أن يعمل بالترتيب التالي:

أولاً: مهما كان عمله، فيجب أن لا يضيع أوقاته فيترك بعض وقته مهملاً، يجب أن يحدد لكل شيء وقتاً، يقسم أوقاته، يخصص وقتاً للعبادة فلا يشتغل فيه بأي عمل آخر، ويخصص وقتاً للكسب وتحصيل المعاش، ووقتاً للإهتمام بشؤون «أهله» زوجته وعياله، ووقتاً للأكل والنوم، ولا يغير ترتيب ذلك، حتى لا تضيع جميع أوقاته.

مهما أمكن، ليكن وقت نومه أول الليل، لا يسهر بلا داعٍ، لا يسهر بلا داعٍ، فيفوته آخر الليل، وليغلبه النوم متذكراً، ولينم على طهارة، وليقرأ الأدعية المأثورة، خصوصاً تسبيح حضرة الصديقة

الطاهرة سلام الله عليها، ولا يجنب على شبع أبداً، وليستيقظ قبل الصبح «الفجر»، وإذا كان لا يستيقظ تلقائياً، فليهيء أسباب الإستيقاظ.

بعد الإستيقاظ ينظر في أطراف السماء، ويقرأ بتأمل، الآيات المباركة التي أوله ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ـ الى ـ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران ١٩٠ ـ ١٩٤] ثم يتطهر ويتوضأ ويستعمل المسواك ويتعطر ويجلس على سجادته ويقرأ: **إلهي غارت نجوم سمائك**[(١)] ثم يبدأ بصلاة الليل[(٢)] بالترتيب الذي ذكره الفقهاء «رضوان الله عليهم» مثل الشيخ بهاء الدين عليه الرحمة في مفتاح الفلاح والآخرون في المصابيح[(٣)] وغيرها بمقدار ما يتسع له وقته.

الحاصل: يخصص إلى أول طلوع الشمس للعبادة فلا يأتي بأي شغل آخر ولا يؤجل شيئاً من الأعمال الأخرى إلى ذلك الوقت[(٤)]، وليشتغل في هذا الوقت كله بالأذكار والأوراد المشروعة إذا كان بعدُ لم يصبح من أهل الفكر، وأما إذا كان قد اتفق مروره بساحة الفكر، فليفكر في ما هو بصدده خلال هذه الأوقات.

(١) الشيخ البهائي، مفتاح الفلاح، في أدعية صلاة الليل.

(٢) إذا قام لصلاة الليل فليسجد وليقل: ألحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني، وإليه البعث والنشور، الحمد لله الذي ردّ إلي روحي لأحمده وأشكره، سبوح قدوس، ربنا رب الملائكة والروح، سبقت مغفرتك غضبك، ولا إله غيره «كذا» عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. الأصفهاني

(٣) * مصباح المتهجد للشيخ الطوسي، ومصباح الكفعمي.

(٤) فكر القلب ونصب العين وورِد لساني: الصاحب ثم الصاحب ثم الصاحب ثم لا شيء، الأصفهاني مضمون بيت.

إذا رأى أن فكره يجري بيسر فليتابع التفكير بدلاً من الأوراد والتعقيب، وإذا رأى فكره راكداً فليترك التفكير ولينصرف إلى الذكر ملاحظاً العمل الأكثر تأثيراً فيه، فيقدمه على جميع الأوراد، سواءً قراءة القرآن أو المناجاة أو الدعاء أو الذكر أو الصلاة أو السجدة.

نعم، بعد ذلك يصدر توجيهاته حول ترتيب أمور البيت، ويتعاطى مع أهل البيت بمقدار الضرورة، ثم يذهب إلى السوق، ولا يتكلم مع أي شخص يراه بغير السلام، ولينشغل بذكره حتى يدخل السوق، فإذا دخله فهناك ذكر خاص بدخول السوق، فليقرأه، [(١)]ثم ينصرف إلى عمله ولينشغل به متذكراً، فللذكر في السوق ثواب كثير، والشخص الذاكر في السوق كالمصباح في بيت مظلم، لا يُدخلْ نفسه بلا مبرر في أمور الناس الدنيوية، لا يجمع الناس حوله، وحتى الموعظة فلا يقم بها. نعم إذا رأى منكراً من أحد فليغيره بطريقة حسنة، وأما إذا رأى أنه سوف لن يؤثر، وأن الكلام يجعل الأمر أسوأ، فلا ينبغي أن يفعل شيئاً، لا يتدخل، وليراعِ الأوقات الخاصة بالصلوات.

وليكن، **مهما أمكن** غالباً على طهارة[(٢)]، بعد صلاة الصبح، الإستغفار مائة مرة، ومائة مرة قراءة كلمة التوحيد **لا إله إلا الله** وإحدى عشر مرة سورة التوحيد، ومائة مرة **أللهم صلّ على محمد وآل محمد وعجل فرجهم**، وليقرأ الإستغفارات الخاصة بعد صلاة

---

(١) * عن رسول الله ﷺ: من قال حين يدخل السوق: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، أعطي بعدد ما خلق الله إلى يوم القيامة. «سفينة البحار ج١/ ٦٧٤».

(٢) قال علي عليه السلام في حديث الأربعمائة: ولا ينام إلا وهو على طهر، فإن لم يجد الماء فليتيمم بالصعيد، فإن روح المؤمن ترفع إلى الله تبارك وتعالى «الخصال، حديث الأربعمائة» الأصفهاني.

العصر مع سورة القدر عشراً[١]، ولا يترك الصوم **مهما أمكن** خصوصاً ثلاثة أيام من كل شهر وهي أول خميس وآخر خميس والأربعاء وسط كل شهر[٢] إذا كان وضعه الصحي يساعده، وإلا فمراعاة المزاج

---

(١) * في مصباح المتهجد ومصباح الكفعمي: استغفارات بعد صلاة العصر: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الرحمن الرحيم ذو الجلال والاكرام وأسأله أن يتوب عليّ توبة عبد ذليل خاضع فقير بائس مسكين مستكين مستجير، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً. وقد ورد أن من واظب على هذا الدعاء خُرِّقت صحيفته «أي مزقت» كائنة ما كانت. وفي مصباح المتهجد استحباب سبعين مرة أستغفر الله بعد صلاة العصر وكذلك استحباب قراءة القدر عشراً.

(٢) خصوصاً الأيام البيض، للحديث الشريف الذي أورده السيد ابن طاوس قدس سره في الدروع، قال علي بن أبي طالب عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني جبرئيل وقال: قل لعلي عليه السلام: صم من كل شهر ثلاثة أيام، يكتب لك بأول يوم تصوم صيام عشرة ألف سنة، وبالثاني، ثلاثين ألف سنة، وبالثالث مائة ألف سنة، قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله: لي ذلك خاصة أم للناس عامة؟ فقال صلى الله عليه وآله: يعطيك الله ذلك ولمن عمل مثل عملك، قلت: فما هي يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: الأيام البيض من كل شهر.

وتتضح من هذا الحديث الشريف نقاط:

الأولى: أن عظمة هذا العمل بحيث أن المخاطب به هو شخص إمام الأئمة.

الثانية: أن هذا الثواب يعطى لمن كان قصده الإقتداء بذلك العظيم، فكل من أراد القيام بهذا العمل لا ينبغي أن يكون مراده مطلق الصوم، وذلك بقرينة «ولمن عمل مثل عملك» وإلا فإنه لا يحصل على ذلك الثواب.

الثالثة: أن شيعة ذلك العظيم ومحبيه يستطيعون بواسطة التبعية والإقتداء به عليه السلام، أن ينالوا درجة ليسوا اهلاً لها أولاً وبالذات، ويمكن أيضاً حل إشكال الحديث الشريف علماء أمتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل بهذا الحديث.

اسمع رائحة الروح من شفة القدح التي تهب الروح، إسمع أيها الخواجة إذا كنت تتمتع بحاسة الشم «مضمون بيت».

وإذا تأملت في أحوال المرتاضين السابقين، فستجد أن صوم الأيام البيض من جملة رياضاتهم الحتمية، ولم يكونوا يتركونها، وإذا اكتمل صوم الأيام البيض في اليوم الثالث بعمل أم داود، فنور على نور، حتى لو كان ذلك «عمل أم داود» بقراءة الحمد مائة مرة وآية الكرسي عشراً، والتوحيد مائة، لأن الروايتين: التوحيد ألفاً، ومائة، وردتا في كتاب الإقبال، ويعلم من هاتين الروايتين الشريفتين أن شدة أهمية هذا العمل «عمل أم داود» استدعت التسهيل إلى حيث يمكن الإتيان به غالباً، وقد نقل بعض المرتاضين أن السابقين كانوا يواظبون على هذا العمل «صوم الأيام البيض وختمه بعمل أم داود بإحدى الروايتين» في جميع شهور السنة. والأفضل أن يقرأ=

أولى، لأن البدن واسطة نقل الانسان، فإذا اختل سقط، لذلك لا يصح التلاعب بهواه كثيراً حتى لا يتمرد ويطغى، فإنه بعد ذلك لا يطيع، **خيرالأمور أوسطها**، تجري في كل شيء، الإفراط والتفريط كلاهما ليسا صحيحين في أي شيء، من هنا قالوا: **عليكم بالحسنة بين السيئتين** «أي التوازن الذي هو بين الإفراط والتفريط»، وفي كل وقت أمكنه، فجيد أن يسجد سجدة طويلة بحيث يتعب الجسد، وليجعل «ذكرها» أيضاً الذكر المبارك «**سبحان ربي الأعلى وبحمده**».

ومهما أمكن، فيجب أن يكون كل ما يقرأه بقلب حاضر، فلا تكون حواسه في مكان آخر، وليداوم أيضاً ليصبح ذلك ملكته وعادته حتى لا يُترك.

ولا مجال فعلاً لأكثر من هذا، كتبت هذه الكلمات على سبيل الاختصار، وإذا لزم الأمر لمطالب أخرى، فلعلها تكتب في ما بعد إن شاء الله تعالى.

حرره محمد البهاري الهمداني

يلتمس الدعاء في كل أوان[(١)].

=الصائم عند الإفطار الدعاء الذي أورده ابن طاوس قدس سره في الدروع بعد نقل هذا الخبر «وقال علي عليه السلام: من قرأه كان إمام المتقين»، وقد ورد هذا الدعاء في مصباح الكفعمي والبلد الأمين نقلاً عن الدروع. الأصفهاني.

* ـ في الدروع الواقية: قال شيخنا المفيد: وإنما سميت البيض باسم لياليها لأن القمر يطلع مع مغيب الشمس ولا يغيب حتى تطلع الشمس. ج١/٦٦.

* ـ وهو مروي عن الإمام الصادق عليه السلام. البحار ٩٨/٤٠٥ نقلاً عن الإقبال.

(١) * ورد هذا في نسخة (أ). وأوان تستعمل في الفارسية وتضاف إليها ياء التنكير، فتناسب مقابلة الهمداني.

المراسلات

المنشآت والمكاتبات التي كتبها مولانا رحمه الله إلى مريديه، وقدمها إلى مراده دام عزه العالي، ومجموعها ستة عشر مراسلة، نصف لنا، ونصف له، ولم نذكر الإسم المبارك لحضرة المراد ومرجع الأحرار والعباد، أرواحنا فداه، فلعله لا يرضى[١].

(١) ❊ بتصرف يسير. لم يرد هذا النص في النسخة (ب) ولا في النسخة (ت) وهو مترجم من النسخة (أ) وفي الهامش ورد كتعليقة على قوله فلعله لا يرضى ما ترجمته:
كل شخص يذكر اسم معشوقه، ومعشوقنا ليس له إسم. العارفون بالطريق يدركون هذا المعنى، فليس في الحرم الخاص إذن عام، ما لم يحترق العود لا يتضوع شذاه، الناضج يعلم أن كلامنا هذا ليس خاماً.
❊ أقول: وقد التزمت أيضاً بعدم ذكر الإسم، فلعله لا يرضى.

ـ ١ ـ

تعليقة كتبها إلى الحاج السيد آقا سلمه الله تعالى عند عزمه على التوجه إلى بومباي.

بسم الله الرحمن الرحيم

يا قمري الكنعاني، أصبح عرش مصر لك، وقد حان الوقت لتغادر السجن[١]

لكن بعدة شروط:

الأول: أن تخرج من رأسك الطمع بكل شيء، لا سيما راحة نفسك، لا يكون لك هدف من حركتك إلا إصلاح العباد وحب الخير للمسلمين وتحمل جفاء المخلوق، وإلا فإذا كان المقصود المال والجاه والعزة، فلن تصل إلى المقصود، ولن تصل إلى المقصد.

إذا كان الموت دائماً مجسماً في نظرك، لم تغفل عنه آناً، وقلت بحقيقة القلب:

كل من كان منزله قبضتي تراب، فقل لي ماذا ينفعه أن يتربع على الأفلاك[٢]

فيمكن أن تحصِّل هذه الملكة.

(١) * مضمون بيت، لحافظ الشيرازي.
(٢) * مضمون بيت، لحافظ أيضاً.

الثاني: أن يعتمد في عمله التأمل والمشورة[١]، لا العجلة وبدْوَ النظر «وبادي الرأي» **فإن العجول** المستبد برأيه **يقع في الهلكة كثيراً من حيث لا يشعر،** الهلكة التي لو اجتمع جميع العقلاء لما استطاعوا أن يخلصوه **وهو واضح**.

الثالث: أن يخضع القوة الغضبية، للقوة العاقلة حتى لا يصدر منه الغضب في غير محله، **ضرورة أن غبار الغضب يستر وجه العقل ويعميه ويحجبه عن الحق بمراحل شتى،** ولذا يجب في تلك الحال أن لا يتعرض لأحد ولو بالموعظة وقول الحق حتى تسكن سَورة الغضب.

الرابع: أن يكون كتوم الأسرار، يكتم سره، والمراد بالسر الأمر الذي لا يعرفه فريق من الناس، وإذا قيل لهم كان ذلك لغواً أو سبباً في فساد عقيدتهم ولو بالمآل، وهذا متفاوت بحسب الأشخاص والبلاد.

الخامس: أن لا يعتبر نفسه في أي آن شفيقةً وناصحة، بل يعتبرها متهمة وخائنة، لاسيما إذا رآها تصركثيراً على أمر ما، فليعلم عندها أن في البين غرضاً ما، تريد التغرير به «لأجل ذلك الغرض».

---

(١) في الحديث أن آدم عليه السلام قال في وعظه لأولاده: كل عمل تريدون أن تعملوه قفوا له ساعة، فإني لو وقفت ساعة لما أصابني ما أصابني.

لا تعجلن لأمرٍ أنت فاعله ... فقلما يدرك المطلوب ذو عجل
فذو التأني مصيب في مقاصده ... وذو التعجل لا يخلو من الزلل

وثمة مثل مشهور أن مجنوناً رمى حجراً في البئر، فعجز عدد من العقلاء عن استخراجه. الأصفهاني.

السادس: أعماله، يجب أن تكون منظمة ومرتبة، فيحدد لكل منها وقتاً حتى لا يخسر مجال الخلوة بنفسه، وليكن ذلك بحيث لا يتخلف، ويؤدي كل شيء في وقته وكل عمل يحل وقته ولا يؤديه، فإن المفسدة التي تترتب على ذلك كبيرة.

السابع: أن لا يكون في أي أمر متكلاً على حوله وقوته، **بل يكون في جميع الأحوال متكلاً على صانعه وخالقه جل شأنه** ولا مجال لأكثر من هذا.

حرره محمد البهاري

أعلى الله مقامه في ٤ ج٢/ ١٣٢٢[(١)]

(١) ﷺ إضافة من النسخة (أ).

ـ ٢ ـ

شيخنا جعلك الله جل جلاله ممن تناله الرحمة من فَرقه إلى قدمه.

وصلني كتابك، وكشف عن صحة مزاجك خطابُك، وقد اشتكيتَ من سوء حالك وتفرق إخوانك وقله أعوانك. لا تخف ولا تحزن، إن الله تبارك وتعالى نعم الرب، وإن محمداً ﷺ نعم الرسول، وإن علياً والأحد عشر من أولاده نعم الأئمة.

فإذا تعلقت يد أي ضعيف بأذيال جلالتهم، فسيجرونه رغماً عنه **«وغصباً عليه» إلى حظيرة القدس.**

بناءً عليه، فإنه لا صغير يضع نفسه في مرتبته، إلا ويرفعونه من الحضيض إلى الأوج، **لا سيما** الصغير **الذي استعان بالتوكل لدنياه، وبالتقوى لأخراه، ولازم الوقار والعفة، واتخذ القناعة حرفة، وزيَّن فقره بصبره، وغناه بشكره، وأوجز في كلامه وطعامه ومنامه، لا في سلامه وابتسامه وإنعامه، ونسي حظ نفسه، وحفظ سيئة أمسه، وشاور إخوانه، وداری أعوانه، وكان في حوائجهم من الساعين، ولهم بأجمعهم من الداعين، ووظف أوقاته[1]، ولا يضيع بالملاهي والتأخير صلاته، خصوصاً صلاة الليل، وأمر نفسه بالمعروف بعدما نهاها عن المنكر.**

(١) * المراد تقسيم الأوقات كما مر، بأن يجعل لنفسه في كل جزء منه «وظيفة» وعملاً محدداً.

وأن لا يرى نفسه شيئاً، حتى إذا رأى في نفسه صفات حسنة، لأن هذه هي من شخص آخر[١]، أنت لم تحصلها، **وهو جلّ شأنه ولي التوفيق. نعم، وأرجو أن يجعل لك اليسر بعد العسر، والعز بعد الذل، والغنى بعد الفاقة، فلعد «ك» تكون من المفلحين إن شاء الله تعالى.**

لا أعرف ما هو سبب اضطرابك، هل كنت تطهرت فلم يأذنوا لك بالدخول إلى «مجالس» الأنس، أم أنك دخلت من باب الصدق فطردوك.

ما ذا التواني وما ذا التحير؟ أليس بابه للداخلين مفتوحاً، وخيره للطالبين مبذولاً؟ ألم يقل **من تقدم إلي شبراً أتقدم إليه ذراعا**[٢].

أو ليس كلامه:

لو علم المدبرون كيف اشتياقي إليهم لماتوا شوقاً[٣]

---

(١) * فإن هذه النعم وغيرها من الله تعالى، ونحن أقل شأناً من تحصيل شيء منها دون اللجوء إلى حوله وقوته.

(٢) * تقدم إيضاح ورود هذه الفقرة بعدة صيغ.

(٣) لا تيأس إن طردك المحبوب، فهو إن طردك اليوم سيستدعيك غداً،
إذا أقفل في وجهك جميع الأبواب والممرات، فسيفتح لك باباً آخر لا يعرفه أحد،
إذا أقفل الباب في وجهك، فلا تذهب، واصبر، فإن هذا الصبر سيجعلك من مجلسه في الصدر، «. . .» طاف قلبي حول العالم ولم يجد له نظيراً، من ذا يشبهه، من ذا يشبهه، من؟ «. . .» الاصفهاني. «مضمون أبيات».
* لم أعثر على الحديث القدسي بهذا النص، بل وجدته كما يلي: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم، لماتوا شوقاً اليّ، وتقطعت أوصالهم من محبتي، يا داود، هذه إرادتي في المدبرين عليّ «عني» فكيف إرادتي في المقبلين علي. يا داود، أحوج ما يكون العبد إليّ إذا استغنى عني، وأرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني، وأجلّ ما يكون عبدي لديّ إذا رجع إليّ. «الغزالي/ إحياء علوم الدين/ ٤ /٣٢٦ و٣٦١» «ابن قيم الجوزية/ روضة المحبين / ٤٣٨».

ألم تسمع أن الراحل إليه قريب المسافة.

ألم يقل بلسان الحال:

إليّ، إليّ، مهما كنت فأيضاً إلي، إن كنت كافراً ومجوسياً وعابد صنم فايضاً إلي، إن بابنا هذا ليس باب يأس، إن كنت نقضت توبتك مائة مرة فأيضاً إليّ[١]

﴿هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾.

فلماذا اليأس إذاً؟ لماذا التواني؟ ما معنى التحير؟

الأعرج والقوي المُجِدّ ومن هو كالنائم وغيرهم، كلهم يسيرون إليه ويبحثون عنه[٢]

هل كلفك تكليفاً شاقاً؟ أَطَلَبَ منك عبادة بما **لا يُتَحَمّل**؟ هل عاقبك **على رؤوس الأشهاد**؟ وهل قلَّل من إنعامه وإحسانه، أو تضايق من ذلك؟ تتدلل؟

الدلال يحتاج إلى وجه، كما في الورد، وأنت ليس لك ذلك، فلا تدر دائرتك القبيحة «وجهك القبيح»، عيب أن تكون العين عمياء ومفتوحة، قبيح أن يكون الوجه قبيحاً ويتدلل[٣]،

فتبصبص «فتذلل» **إليه جل جلاله تبصبص** «تذلل» **الكلب الجائع، فلعله ينظر إليك نظرة الرحمة والرضوان إن شاء الله.**

---

(١) * مضمون بيت، أبو سعيد أبو الخير، تقدم الإستشهاد به.

(٢) * مضمون بيت لمولوي.

(٣) * مضمون بيتين، الأول لسنائي الغزنوي.

لا أدري بعد هذا ماذا أكتب.

إن كنت عطشاناً يكفيك قليل من الماء.

إذا كان في البيت أحد فكلمة واحدة تكفي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد البهاري

ـ ٣ ـ

كتب هذا النص إلى سفير بغداد.

بسم الله الرحمن الرحيم

يا محمود الخصال وحسن الفعال.

أرى أنك بين الحين والآخر ضمن مراسلة الآخرين تذكر هذا العبد الحقير، إن لم تكن عندك ورقة فاقترض من جارك.

إما أن لا تشترك في سباق راكبي الحمير، أو إملأ بيتك طعاماً وشراباً[١]

رغم أنني منذ مدة طويلة لا اطلاع لي على أحوالك الشريفة إلا أني «الحقير» أسمع من حين لآخر أنك ملت إلى العرفان، وأنك تجالس زمرة العرفاء والدراويش.

أولاً: يجب أن تكون علمت:

ليس كل صوفي صافياً خالياً من الغش، فكثيراً ما تكون الخرقة مستوجبة النار[٢]

ثانياً: لطالب المعرفة **شروط لابد من مراعاتها**:

* **أولاً**: أن يكون صحيح المزاج، فإذا كان مريضاً يجب أن

(١) * مضمون بيت.

(٢) * مضمون بيت لحافظ الشيرازي.

ينصرف إلى العلاج، فإذا غلبت السوداء فسيظن بعض الحركات السوداوية ضرم العشق، فيصيبه الغرور، وإذا غلبت الصفراء والحرارة، فسيبتلى بما لا يتصور من جفاف الدماغ وخفقان القلب وسوء الخلق، وإذا زاد البلغم فسيبتلى بالقصور في فهم «المطالب» الدقيقة.

فلا بد من اعتدال المزاج وأن يكون متأدباً بآداب الشرع ومتألماً للمعاصي وتاركاً لها، وأن يكون عفيفاً صدوقاً معرضاً عن الفسق والفجور والغدر والخيانة والمكر والحيلة.

لأن تمام الأخلاق مقدمة المعارف بعد تعلم الفقه[1] يجب أن لا يبقى ركن من أركان الشريعة إلا ويعمل به، لا أن يلجأ إلى التأويل في ظواهرها، يجب أن يأتي بوظائفها كل في محله، **تارك الصلاة،** بل **تارك النوافل** حديثه عن العرفان غلط في غلط.

نعم، **وأن يكون فارغ البال من أمر المعاش، إما بالتمول أو بالقناعة والتوكل.**

ومن كان اهتمامه منصباً على الفرن، فيجب أن يفكر ويهتم بالخبز ـ فهو المهم وإلا فالشمام في متناوله، كالماء ـ[2] **لا ينبغي أن يدخل من باب المعارف فضلاً من أن يجعلها آلة لتحصيل معاشه،** شخص من هذا القبيل لن يحصل على نور أبداً، **الحرفة غير المعرفة،**

(١) * في نسختي (ب) و(ت) بعد علم الفقه وما أوردته مصحح على ما في النسخة (أ) ويبدو أن المراد أن اكتمال الأخلاق بعد تعلم الفقه والعمل به، مقدمة حصول العارف على المعارف.

(٢) * مضمون مثل باللغة الفارسية يجعل الشمام في مقابل الخبز، والمراد بالخبز الهدف المحوري الذي يصعب الحصول عليه، وبالشمام ما يسهل الحصول عليه.

والميل إلى الشهوة والطبيعة غير الرغبة في الآخرة، وهما ضرتان متباينتان ولا تجتمعان.

نعم، **وأن يكون معظماً للعلم والعلماء،** لا يحقر عباد الله، أول عيب في السالك أن يحقر علماء الظاهر ويستصغرهم.

وأن يكون حزيناً دائم الحزن، بشره في وجهه، وحزنه في قلبه. إذا كان قلبه فرحاً وضاحكاً فلن يكون له من المعارف نصيب.

وأن يكون كتوماً للأسرار إن حصلت له.

الحاصل: إن هناك آلاف الأمور تجب، غير الحسن والجمال.

الورقة لا تتسع، إذا رأيت هذه الشروط التي هي قطرة من بحار وقبضة من تل، في أحدٍ فرافقه، وإلا فبلسان فصيح وبيان مليح: **قل يا أيها السالكون لا أسلك ما تسلكون ولا أنتم سالكون ما أسلك ولا أنا سالك ما سلكتم لكم سلككم ولي سلكي.**

نعم، لم أكن في وارد الوعظ لأكون قد وعظت موعظة وافيةً شافية، ولا كنت بصدد كتابة عريضة لأنمق عباراتها، خطر ببالي فجأة كلمات فكتبتها دون ترابط.

إذا كان لا يعجبك ذلك فغيّر القضاء[١].

محمد البهاري

(١) * بعض مضمون بيت.

- ٤ -

كتب هذا النص إلى أحد علماء آذربيجان.

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها العالم المجاهد الذي اجتهد ليلاً ونهاراً حتى أدخل نفسه في جملة العلماء الراشدين والفقهاء المجتهدين، حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء؛ تيقظ من رقدتك وسِنتك ونومك كي ترى إن كانت قد أشكلت عليك أمور من جهة تحصيل شرائط العلم وآدابها والمواظبة عليها.

لم تستطع السماء أن تقوم بعبء الأمانة، فجاءت القرعة باسم مثلك أيها المجنون[١]

إعلم أنه قد ورد أن العلماء ورثة الأنبياء، لا شك ولا ريب أن المراد من هذا الإرث ليس هو الدراهم والدنانير، بل المراد هو «حيثية» النبوة وتبليغ الأحكام وإرجاع العامة من الطرق المعوجة إلى الجادة المستقيمة وصونهم فيها مهما أمكن، فعلى هذا لا بد للعالم من مراعاة أمور كي تتحقق هذه الوراثة، وأنى لك مراعاتها.

منها أن لا يقعد في بيته مع ما يرى من مواظبة الناس على المنكرات الواضحة إن كان قادراً «على» دفعها باجتماع شرائطه «بتوفر الشرائط» وترتيب ذلك أنه يجب عليه:

(١) ❊ مضمون بيت لحافظ تصرف المؤلف بكلمة من هم مثلك وهي في الأصل مثلي.

ـ أولاً أن يبدأ بإصلاح نفسه بالمواظبة على فعل الطاعات.

ـ ثم بتعليم أهله وأقاربه وجيرانه

ـ ثم بتعليم أهل سوقه بحيث لا ينال أحد منه أذى

ـ ثم أهل محلته وبلدته، ثم السواد المكتنف له

ـ ثم أهل القرى والبوادي. وهكذا إلى أقصى العالم بمقدار ما يسعه ذلك ما لم يكن به الكفاية قائماً

ـ وليس شيء مما فرض عليه عيناً أو كفاية أهم من ذلك، أين أنت أيها المداهن والمتسامح من مراعاة هذا الشرط؟!

أنت لا تعرف إلا شيئاً واحداً، أن تحصل من مال الله فتأكل بعضه كأكل **الإبل نبتة الربيع**، وتطعم أولادك بعضاً والسلام، قال «القائل» أنا أجيد من الطبخ أكل الآش[١]

نعم، **ومنها أن يكون صابراً محتسباً كما كانوا صابرين «أي الأنبياء» في جفاء المخلوق**. إذاً المحتسب، يجب أن تكون صفته أنه مهما آذوه وآلموه فإنه يتحمل ويقبل ذلك قبولاً حسناً ويقول: **إهد قومي فإنهم لا يعلمون**. لا أن يكون الناس في حذر منه، خوف أن يصلهم أذاه «**كم هو الفرق بين الأمرين**»[٢].

ومنها أن يكون ملجأً وملاذاً للمسلمين حقيقة في موارد حاجاتهم وابتلاءاتهم، من أصبح غوث الناس فهو ملجأ الأنام وملاذ الإسلام، لا ذلك الذي يواصل النقاش حتى باب الحمام.

---

(١) * من الأطعمة الإيرانية الشعبية.

(٢) * ورد هنا قول المؤلف بالعربية: «كم فرق».

وكذلك **حجة الإسلام** من كانت أقواله وافعاله حجة للمسلمين، وإلا فلا وجه لهذه الحجة.

ومنها أن لا يكون له هم وغرض في جميع حركاته وسكناته إلا اهتداء الناس وتشرعهم بأي سبب حصل وبأية وسيلة تحقق، وبِيَدِ كل من جرى هذا الأمر، صغيراً كان أو كبيراً، وضيعاً كان أو شريفاً، وإن كان في الباطن هو السبب، لكن الأمر يتم بإسم غيره في الظاهر فليكن، ولا إشكال في ذلك، المهم أن الهدف قد تحقق.

أنظر، لو أن أعرابياً كان السبب الظاهري في إلتزام جميع الناس بالشرع، وتحقق باسمه، وفي الباطن «والواقع» كان السبب هو رسول الله ﷺ فهل كان «المصطفى ﷺ» ينزعج من ذلك؟

بذلك يكون الهدف قد تحقق، أنا وأنت عاجزان عن فهم هذا المطلب، **فضلاً عن إعماله في محله، هيهات هيهات.**

ومنها أن يكون متواضعاً لله جل جلاله في ذاته من دون أن يكون لأجل غرض من الأغراض للطمع المركوز أو غيره. ولا يسلم الشرف التام إلا بالتواضع في ذات الله جل جلاله، وأما ما شاع في زماننا هذا من شدة الخضوع والتذلل بالنسبة إلى الأعيان والأغنياء وغيرهم من أهل الدنيا، وتسمية تواضعاً «فهو» غلط وتدليس ومكر وتلبيس وتملق وتذلل مذموم، وإنما شاع ذلك بسبب التفريط في فضيلة التواضع، اللهم احفظنا منه[١].

(١) * بتصرف يسير في صياغة العبائر الأخيرة.

بلى، إن للتواضع مراتب ومقياساً **بالنسبة إلى «المتواضع» والمتخشع لهم،** لتواضع كل شخص بالنسبة إلى غيره نحوٌ، **والعدل الحقيقي فيه هو إعطاء كل ذي حق حقه.**

تواضع العالم للعالم نحوٌ، **وللسوقي نحو آخر،** إذا أفرط فسيكون ذلك تذللاً مذموماً.

بيان التفصيل أكثر **موكول إلى محله.**

ومنها أن لا يكون غافلاً عن مولاه في آنٍ من الآنات، يجب أن يعرض عليه فعله دائماً، ليُعلم قبوله أو ردّه. لا أدري بماذا فسرت **المفتي لا يستفتي إلا من الله.** القلب يجب أن يكون معه دائماً، ألا ترى أن حكام العرف «الذين تعارف الناس عليهم بالحكام» حيثما كانوا فإن قلب أحدهم دائماً في العاصمة.

ومنها أنه لابد من أن يكون العالم منصوراً بالرعب بعد قطع طمعه عن حكام الدنيا وتمكين الخوف الإلهي ـ جلت عظمته ـ في مكنون سريرته، وإلا فلن يستفيد شيئاً من زيد وعمْرو، إذا كان قد حصل على هذه المرتبة، **فافهم**[١].

حرره محمد البهاري

(١) * يبدو أن مراده رضوان الله تعالى عليه أن العالم الذي وصل إلى معرفة الله تعالى حق معرفته، وأصبح منصوراً بالرعب، لن يستفيد من الحكام شيئاً، فلا هو يرغب بصحبتهم، ولا هم، وإذا اقتضت المصلحة صحبتهم كما فعل ذلك بعض أجلاء العلماء، فإن صحبتهم لا تعود على العالم بأي نفع، لأن ما يريده من نفع هو رضا الله تعالى وليس ذلك في أيديهم، وتحتمل في شرح العبارة وجوه أخرى، والله تعالى العالم.

ـ ٥ ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي:

في الليل **رأيتك كسِلاً**، إلا أني لم أعرف حكمة ذلك، ولأي سبب عرض لك ذلك، **ماذا التواني، وماذا التكاسل، والحزن؟!**

إذا كان بسبب التخلف في العلم، فلم يبع أحد العلم سَلَماً[(١)].

وإذا كان بسبب قلة الجاه، فلم يبع أحد السيادة «والوجاهة» سَلَماً.

وإذا كان بسبب قلة الدَّخل فلم يخِطْ أحدٌ كيس الذهب على أكثر من قوت اليوم والليلة، قال «القائل» : بعنا الدنيا والآخرة بنظرة، رغم أن حضرة السيد عبد المجيد طاب ثراه كان يقول: هذه المعاملة باطلة من وجوه، إلا أن يقال في الجواب: مذهب العاشق يختلف عن كل المذاهب.

وإذا كان السبب شؤون الآخرة، فالتكاسل غير موجه أبداً لأنه بأقل مبرر يمكن أن يجد الإنسان نفسه قد توجه إلى ذلك الطرف، **فإن الراحل إليه قريب المسافة**، لا يحتاج الأمر إلى رأسمال أبداً **بعد قوله عز من قائل: لو علم المدبرون كيف اشتياقي لهم لماتوا شوقاً**[(٢)]

(١) * بيع السلم هو بيع ثمن مؤجل بثمن معجل، والمراد هنا أنك لم تشترِ العلم والجاه من أحد ببيع السلم وقد صدمتَ لعدم تسليم المثمن.

(٢) * حديث قدسي. أنظر ملحق الهامش رقم٢ في الرسالة الثانية.

وما دام الأمر كذلك فلم التواني والكسل؟

دع التكاسل واغنم فإنما مثل أن زاد السالكين السرعة والمهارة[١]

الأعرج والقوي المُجِدّ ومن هو كالنائم، وغير الدؤوب، كلهم يسيرون إليه ويبحثون عنه[٢]، هل كلفك تكليفاً شاقاً؟ هل طلب من جنابك عبادة لا تتحمل؟ هل عاقبك على رؤوس الأشهاد؟ هل كان ثمة تقصير في إنعامه وإحسانه حتى تتدلل؟

العَجَل، فإن دورة الفلك لا تتوقف، أسرع، فإذا رأيت أنك لا تستطيع التقدم بواسطة العبادة فاطلب منه شيئاً بالإستجداء والتضرع.

هيا، لا تقل ليس لي إذن «للوقوف» بذلك الباب فإن إنجاز الأعمال مع الكرماء ليس صعباً [٣]

المبرِّر، طلب العطاء المجاني والهبة بلا مقابل دأبه وديدنه، جاهز لهذا العمل، ليست القابلية شرطاً لعطائه، التوجه الصِّرف كافٍ، أزل من رأسك خيال أن كسر التوبة لعدة مرات يمنع من ترميم العلاقة «إن كنت قد كسرت توبتك مائة مرة فأيضاً إليّ».

---

(١) * مضمون بيت. لحافظ ورد صدره بالعربية هكذا: دع التكاسل تغنم «ف» قد جرى مثل. وفي موسوعة الشعر العربي، للشاعر البستي:
دع التكاسل في الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان.
وأول القصيدة: زيادة المرء في دنياه نقصان.. وعنوانها: الحِكم.

(٢) * مضمون بيت. تقدم.

(٣) * مضمون بيت لمولوي.

فإنه جلّت عظمته تواب غفور وأولياؤه الكرام أيضاً مأمورون «بذلك».

وإذا كان الضيق والكسل بسبب فراق الرفقاء والأحبة نظراً إلى **أن مودة سنة رحم ماسة وهي لحمة كلحمة النسب وفرقتها نار موقدة،** ولذا قيل:

وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب(١)

وقال الآخر:

يقولون إن الموت صعب على الفتى مفارقة الأحباب والله أصعب(٢)

وهنا جهات للكلام، **منوطة بتشقيقات في المقام**.

تارة «يكون سبب حزنك فراق» رفيق الأنس والملذات الدنيوية، وحرمانك منه، هذا بالإضافة إلى أنه ليس مبرراً للضيق، فإنه يجب أن يكون مبعث سرورك لأنك لم تخسر البركة وإنما حفنة من لغو، **وفقنا الله وإياك لنيل هذه المرتبة الجليلة**.

وإذا كان الرفيق لله وفي الله الذي يورث فراقه الدهشة والذهول، فليس علاج ذلك سوء الخلق والكسل، بل يجب أن تكون بصدد التلطف والعطف بالمقدار الميسور، فتحسن إلى كلٍ بحسب حاله، **فإن الأخوَّة عقد يجب الوفاء به**(٣).

(١) * البيت لقيس لبنى من قصيدة أيا كبداً.

(٢) * لم أعثر على قائله، ووجدت ما يقرب منه: وكل شيء سوى مفارقة الأحباب مستصغر وإن فجعا. للعباس بن الأخنف. ولعلي الحصري القيرواني:
لكن أشد النائبات على الفتى مفارقة الأحباب بعد التألف.

(٣) * لعل المراد هو حيث أن مصب الأخوة الإعانة على أمور الآخرة كما سيأتي، فإن من الوفاء بعقد=

ليس الهدف بيان أقسام حقوق الإخوان، بل المقصود أن على الإنسان أن يهيء أسباب إثارة حميمية الإخوان لتثبت الأخوة، وينعم بها، ويبدو أن ثمرة الأخوة الدينية هي هذه: أن **يعان الأخ على الخلاص مما وقع فيه من الابتلاءات الأخروية** لأن الحوادث الأخروية ليست أقل من الحوادث الدنيوية. أنظر هل تستطيع الخلاص منها بلا معين؟ ثم اعرف عندها أهمية الأخ، ذلك الأخ!

أللهم وفقنا للقيام بحقوق الإخوان بمحمد وآله الطيبين الطاهرين.

=الأخوة اجتناب سوء الخلق وشبهه حتى لا تثقل على أخيك بعملك السيء، أو تخفف عنه بعملك الصالح لأنه سينفعه كما ينفعك، والمحور أن من عمل صالحاً فله ولمن آخاه، وكذلك من عمل سوءً، غاية الأمر أنه بالنسبة إليه بالمباشرة وبالنسبة لأخيه بالواسطة.

ـ ٦ ـ

كتب هذا النص إلى أولاد ملك التجار بتبريز، طاب ثراه.

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني، ظاهراً، الآش[١] نفس الآش، والإناء نفس الإناء[٢]، لا عمل، لا تفكير، لا تقوى، لا درس.

لا أعلم **ما هذا التواني في أمر الآخرة والتكاسل في طاعة العقول الطاهرة، أنسيتم الموت الذي لا بد منه والورود عليه، وهو يهدم في آنٍ واحد أركان لذايذكم ويخرب بنيان غرائزكم، أليس ذكره مرغباً عن الدنيا وجالباً إلى الآخرة، أما قال أصدق الصادقين إن من تذكره في اليوم والليلة عشرين مرة يحشر مع شهداء أحد، أما وجدتم ذكره في غاية النفع والتأثير.**

ولعل مانعكم منه هو اشتغال القلب «بـ» ما سواه وعدم التهيؤ للسفر إلى دار الآخرة، وإلا «فـ» لاريب في أن المسافر لا هم له إلا تهيئة الاسباب والإستعداد له.

فمن تفكر في حال الفراغة لا بد أن يقل سروره بالدنيا وشهواتها «ويهون أمله» وينكسر قلبه عن لذاتها.

---

(١) ❊ تقدم أنه من الأطعمة الإيرانية الشعبية.

(٢) ❊ المراد أن وضعكم مايزال كما كان.

فالعاقل من جرَّد نفسه «وأعدَّها» للمنية وهيأها للتنعم والتحية، وإن شئت حصول ذلك فتفكر في حال نظرائك الميتين الذين كانوا منهمكين في الشهوات بطول آمالهم وسوء أحوالهم كيف انتقلوا من أنس العشرة إلى وحشة الهجرة، ومن فسح القصور إلى ضيق القبور، ومن النظافة وحسن الصورة إلى قبح المنظر والسيرة، واسأل قبره ذلك بلسان فصيح وقل:

يا قبر هل زالت محاسنه وهل تغير ذلك المنظر النضر؟

حتى يجيبك بأتم الأجوبة وأكمل البيان:

تفرقت العظام عن بعضها عقدة عقدة، وأفنى فعل الدود اللحم والشحم[1]

رغم أنه كان غافلاً عن هذه الأحوال وحريصاً في تدبير المنازل وجمع الأموال، وقِس حسرات نفسك عليه، وكيف كان، فاغتنم الفرصة يا حبيبي.

إن حالة الناس في ذكر الموت وحالاته على أقسام، فإنهم بين منهمك في الدنيا وشهواتها، وخائض في غمرات لذاتها، وبين سالك مبتدئ وعارفٍ منتهٍ.

والأول لا يذكر الموت إلا ذماً، لصده إياه عن محبوبه، ولكونه حاجباً له عن مطلوبه، بل يفر منه ويعاديه، وإن كان ولابد من أن يلاقيه، فلا يستفيد من ذكره إلا بُعداً.

---

(١) * مضمون بيت.

والثاني يستعد بذكره لاقتناء الخيرات والمسارعة إلى تحصيل فضائل الملكات ويكرهه خوفاً من أن يلقاه قبل الوصول إلى هذه الكمالات، وهو في هذه الحال معذور ولا يعد من طلاب دار الغرور، بل لا يحسب من الذين كرهوا لقاء الله عز وجل، فَكَرِهَ لقاءهم، وعلامته الاشتغال بما يعده للممات وتهيئة زاد معاده قبل الفوات. وأما الثالث ـ وإن كان لا فائدة لنا في ذكره ـ فهو إما يذكره ويشتاق إليه حباً له وشوقاً إليه إذ فيه لقاء الحبيب، ولذا قال سلام الله عليه: والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، لما فيه من الخلاص من سجن الطبيعة والوصول إلى الدرجات العالية الرفيعة، وإلى ذلك أشار بقوله سلام الله عليه فزت ورب الكعبة. ولنا قسم آخر أعلى وأرفع مما ذكر، إلا أنه لا مقام لذكره[١].

وكيف كان، آمل أن لا تكونوا تهملون أنفسكم في اليوم والليلة من حيث العمل، خصوصاً الأيام المباركة المشهورة الثلاثة، فتكونون قد عمرتموها، **أللهم أعنهم على ذلك آمين رب العالمين.**

إذا سألتم عن حالٍ فمن المعلوم:

كل من انفصل عمن يفهم لغته يصبح مسكيناً «أخرس» حتى لو كانت له مئة نغمة.

إذا ولى الورد، وماتت الحديقة، فلن تسمع بعدها من البلبل أية قصة[٢]

(١) بل ليس بعد كلماته صلوات الله عليه ومقامه، كلام ومقام. الأصفهاني.
* للشيخ البهاري أن يقول: ماقص دته مأخوذ من كلامه صلوات الله عليه، وإذا كان ما وراء عبادان قرية فإن أول عبادان غير آخرها، والله العالم.

(٢) * مضمون بيتين لمولوي.

حقيقة قلبي محترق، رميت بعيداً عن النجف الأشرف **وإن كان فيه ما فيه.**

ألتمس الدعاء حقيقة، من جميع العالم، لا منكم فقط.

حرره محمد البهاري في أطراف الكاظمين

عليهما السلام وعليه السلام

والسلام

ـ ٧ ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

روي عن مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه:

من ابتلي بالفقر فقد ابتلي بأربع خصال: الضعف في يقينه، والنقصان في عقله والرقة في دينه، وقلة الحياء في وجهه[١].

نعم، إن العبد الذي أقبل عليه الفقر بوجهه يجب أن يراعي أموراً:

الأول: أن لا يكره الفقر، فيقول بكمال الإمتنان: **مرحباً بشعار الصالحين**، لا يجزع أبداً **حيث إن العالم بالأصلح جل شأنه قدَّره له، ولازم ذلك أنه إذا شكى فلا ينبغي أن يشكو إلا إليه تعالى شأنه في ظلم الليالي**.

إذاً، إذا أظهر الفقر لغيره، يكشف ذلك عن عدم رضاه به، وأنه يرى مصلحته في غير ذلك، خصوصاً إذا أظهر الفقر أمام من يعلم أنه لا ينفعه، إن إظهار الفقر إما أن يكون كفراً أو فسقاً أو مباحاً، يتفاوت ذلك بحسب **الشاكي والمشتكى إليه**، وعليك الإجتهاد في تطبيق ذلك.

---

(١) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٤٧ وتتمته: فنعوذ بالله من الفقر.

الثاني: أن يكون قانعاً بالكفاف بل يقتصر على مقدار حاجته الفعلية، ويشكر هذه النعمة العظمى أنه لم يعط زيادة، **فإن الزيادة فتنة وامتحان أعطاها الله تعالى عبده لينظر ما يفعل بها، فإن عصى الله بها عذبه، وإلا حاسبه، نستجير بالله من ذلك**(١).

والثالث: أنه **لا بد أن يكون متوكلاً على مولاه، آيساً مما في أيدي الناس**، لا يتملق لأحد من الأغنياء، ويسمي ذلك تواضعاً، **فإن تواضع الفقير هو التكبر عليهم من حيث أنهم أغنياء**(٢).

الرابع:

أن لا يداهنهم في الخوض في الباطل طمعاً بما في أيديهم من حطام الدنيا يدخل في كل عمل يدخلون فيه، يتحدث بكل ما يتحدثون به، ويطعن بمن يطعنون به، ويقرهم على كل عمل يعملون.

الخامس:

أن لا يكون الفقر سبباً في كسله في العبادات، بل يعتبر حال الفقر غنيمة، فيواظب على العبادات أكثر، **إذ الوصول إلى السعادة الأبدية بالفقر أيسر وأسهل**.

السادس:

أن ينفق دائماً شيئاً من قوته، **فإنه أفضل عند الله تعالى من بذل الأغنياء من وجوه، ولا مجال لتفصيلها، والله العالم**.

---

(١) * بتصرف يسير.
(٢) * لا ينافي ذلك أن يتواضع لهم لحيثية أخرى كالإيمان إن كانت.

والسابع:

أن ما يعطيه غيره من المال إن علم أنه حرام، وجب عليه الامتناع، وإن علم أنه مشتبه، أو حلال فيه مِنَّة، راجح له رده، وإن علم أنه هدية محللة بغير منة، استُحب له القبول تأسياً بالنبي والأئمة عليهم السلام، وإن كان من الصدقات وهو مستحق، فإن علم أنه يعطى رياءً وسمعة، يمكن أن يقال بعدم جواز الأخذ، إذا صدق أنه أعانه على الإثم.

وينبغي له التعفف عن السؤال ما استطاع، فإنه فقر معجل وحساب طويل لعدم خلوّه من الآفات غالباً، إذ هو متضمن الشكوى وذهاب ماء الوجه والذل عند غير الله تعالى، وإيذاء المسؤول وحمله على الإعطاء استحياءً أو رياءً أو إلجاءً، أو يورث شتم السائل وإيذاءه، إلى غير ذلك من الآفات. ولذا روي أن مسألة الناس من الفواحش.

نعم لو كان مضطراً، فله ذلك بل قد يجب، إلا أن تشخيص درجات المقامات في غاية الإشكال والصعوبة.

ـ ٨ ـ

كتب هذا النص الشريف إلى مصحح[(١)] هذه الأوراق جزاه الله عني خيراً

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جناب المشهدي فلان.

إن شاء الله تعالى كنت موفقاً، وستكون، سمعت أنك قلت لبعض مريدي الحقير ليكتب فلان لي ورقة تشتمل على المواعظ والنصائح.

أولاً: أي تاثير رأيته من نفس فلان حتى ترى أثراً من حبره النحس؟

ثانياً: الحقير لست من أهل العمل لأكتب لك برنامج عمل، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾، لكل شيء أهل.

خلق الله للحروب رجالاً ورجالاً لقصعة وثريد

برنامج عمل أمثالنا أكل الدجاج والفسنجان[(٢)] إذا صادفت أحياناً «شيئاً يدل على عملٍ» **أنت عالم غير معلم**.

أضف إلى ذلك أنني لعدة أيام أحاول أن أصدعك «أكتب لك»

---

(١) ❊ المقصود هو جامع الكتاب الشيخ اسماعيل التبريزي «تائب» جزاه الله تعالى خير الجزاء.

(٢) ❊ إسم طعام أعياني يصنع من الدجاج والجوز.

كلمتين **قربة إلى الله**، فيمنعني هوى نفسي، ورغم أن المانع مايزال موجوداً، لكن كي أكون قد أجبت، أكتب كلمتين، **على الله**، «إن ذلك الذنب الذي يصل منه نفع إلى الغير، هو أيضاً ليس ممدوحاً»(١).

والكلمتان هما:

إذا كنت مع مجاهدة نفسك وصلت إلى مقام العمل **فهنيئاً لك**.

أما إذا كنت لا سمح الله قد أخذت بخناقك نكبة التكاسل في العمل ولم تستطع أن تتقدم عبر العمل، فلا تخسر ـ على الأقل ـ الإستجداء. إجهد في التضرع والشكوى، واصل ذلك في الخلوات كذباً يصبح صدقاً، لأن الاستجداء طلب المجاني، فإذا كان «المستجدي» جاداً، حصل على ما يريد.

إذا قالوا لك في الجواب لا حاجة لنا بعبد مفلس مثلك، فقل متذللاً: المستجدي الذي يجلس في طريق السلاطين لا يصبح من عبيدهم.

وإذا قالوا لك أنت تعصي، فقل متلطفاً: لكلٍّ شأنه(٢).

إذا قالوا لك: فأين ستظهر قهّاريّتي، فقل بحلاوة الكلام: حيث التعارض مع سلطنتك المقدسة(٣).

---

(١) * يشير إلى بيت هو في الأصل بمعنى: لا ضرر في الذنب الذي يصل منه نفع إلى الغير.

(٢) * مني ما يليق بلؤمي، ومنك ما يليق بكرمك.

(٣) * المراد أن يكون لسان الحال أني يا إلهي «ما عصيتك إذ عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد...» فأنا لا أعارض سلطنتك لتظهر فيَّ القهارية.

إذا قالوا: أخرجوه، فقل ملتمساً:

لا أذهب من دياركم إلى دولة أخرى، أخرجوني من هذا الباب، أدخل من باب آخر[١]

إذا قال لك: ليس لك قابلية الاستفاضة مني.

فأجب: تكرم عليَّ بأن يأخذ أولياؤك بيدي.

الحاصل، إذا رأيت عبوساً فتبسم ملتمساً، إذا أعرض عنك فتذلل، واركض خلفه، إذا يئست منه فالجأ إلى أمناء دولته وقل **بأعلى الصوت**:

بـ والله وبـ بالله وبـ تالله بحق آية نصرٌ من الله

لا أرفع يدي عن ثوبك قيد شعرة وإذا قتلت فالحكم لله[٢]

إذا قالوا لك: من أين لك جرأة هذه الكلمات؟

فقل: حلمك يشير إلى ذلك.

إذا قالوا: من أين تعلمت؟ فقل:

يتعلم البلبل اللحن من فيض الوردة، وإلا فإن منقاره لا يتسع لكل هذا التغريد[٣]

الحاصل لقد قيل: لا تترك الاستجداء، تستغنِ أبداً، فالاستجداء يحل كثيراً من المشاكل، الهدف من المجاهدة الاعتقاد بالعجز والانصراف إلى الاستجداء، **والله العالم**.

---

(١) ❋ مضمون بيت.

(٢) ❋ مضمون بيتين لبابا طاهر.

(٣) ❋ مضمون بيت.

أبلغ سلامي إلى **من وجب الإبلاغ إليهم،** ستبلغه إن شاء الله إلى السادة والسيدات وغيرهم، لا مزيد إلا التماس الدعاء.

محمد البهاري

- ٩ -

الرسالة الأولى إلى مراده[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا دواء نخوتي، وذخري، يا من أنت أفلاطوني وجالينوسي[٢]

تشرفت برؤية توقيعك[٣]، فغمرني السرور والفرح، شممته وقبلته ووضعته على ناظري، ومن شدة الشوق والتهاب العشق، إلتفتُّ بعد فترة أن في ثنايا ما كتبتَ إشارة إلى أمور **منها**:

أنك أمرتني بالصبر، أن أجلس وأصبر، **نعم، كل صبر جميل، إلا أن الصبر فيك قبيح، وكل جزع قبيح، إلا أن الجزع عليك جميل، وكل مرارة سهلة، إلا أن مرارة البعد عنك في نهاية الصعوبة، ولذا فلمثلك فليبك الباكون وليندب النادبون ويعج العاجون، عزيز عليّ أن أرى غيرك ولا تُرى، ولا ينالك مني ضجيج ولا شكوى**[٤]

(١) * إضافة ليست موجودة في الأصل، وقد تقدم أن المراسلات مناصفة بين المريدين والمراد.

(٢) * مضمون بيت.

(٣) * في هامش نسخة (أ) ورد التالي:
يقول مصحح هذه الأوراق: أنا رأيت ذلك التوقيع المبارك، وهو في غاية الفصاحة والبلاغة، وفيه كلمات عذبة جداً، ومطالب سامية، لله درّه «مع إمضاء، يبدو أنه للشيخ التائب التبريزي».
ولا يخفى أن استعمال لفظ التوقيع بمعنى الرسالة مصطلح خاص.

(٤) * من عبارات دعاء الندبة في خطاب الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف. بتصرف يسير.

ولعمرك إنه قسم جليل وعظيم جداً، **إن فراقك** صعب **في غاية** الصعوبة، **والتصبر معه أمر لا يطاق، وإلاّ**:

الكل يعلمون أن علاج العاشق الصبر، ولكن ماذا يفعل من لا يقدر «أن يصبر»[١]

ومنها أنك أمرت بعدم ترك المعاشرة بالمرة، ومداراة الخلق وتحمل جفائهم **بأحسن وجه**، «**بلحاظ**» : **عاشرهم بالمعروف**[٢].

نفسي فداك وسمعاً وطاعة، إلا أنه لا يخفى على حضرتك أن حال المجالس إما من قبيل قِران النحسَيْن، أو مدافعة الأخبَثَيْن، أو تمالق المُفْلِسَيْن[٣].

ومنها أنك أمرت: واظب على الطاعات بشكل أفضل قليلاً.

رغم أن نفس هذا الكلام سبب في التهييج، لأنه بدون عنايتك لا يمكن تحقق أي عمل، وبدون سهيل وجهك المبارك لا تكتسي أيةُ وردة أيةَ حلة، لكني أحببت أن تكون كررت هذا القول ليورث ازدياد العمل.

ومنها أنك أمرت ألا تتجرع غصة الرزق، **إن الله واسع كريم، والرزاق ذو القوة،** حسناً قلت، وهو كما تفضلت، إلا أن مع الحقير شخصاً كلما قلت له: الله الرزاق، **يشير إلي بأن لا**، يقول: إذا قلت:

---

(١) * مضمون بيت.

(٢) * إشارة إلى الآية: وعاشروهن بالمعروف. النساء ١٩.

(٣) قران النحسين في اصطلاح القدماء تجاور كوكبين نحسين كزحل والمريخ في برج واحد. ومدافعة الأخبثين البول والغائط. وتمالق المفلسين، يشكو كل منهما فقره إلى الآخر * والمراد بيان حالة المكابدة التي يعيشها غالباً من يريد الحفاظ على دينه، لدى اشتراكه في المجالس.

الله رزاق، يلزم استعمال اللفظ الواحد في المعاني المتعددة وهذا غلط، رزاق الخبز، أو اللباس، أو الخدم.

والآن إذ تقول: إنه رزاق في كل شيء، لا يلزم من كل ذلك استعمال اللفظ حتى في معنيين، الحقير «أنا» قبلت تعبداً، وهو سكت.

بارك الله بالنظر الطاهر الذي يستر العيب.

ومنها الإشارة إلى السير إلى طرف دياركم.

الحقير أيضاً:

كانت رغبتي أن لا أفتش عن الخِل أبداً.

رجلي عرجاء والمقصد بعيد جداً، يدي قصيرة والتمر فوق النخيل[١]

آمل أن أستطيع ببركة توجه حضرتك أن أصل إليك بأسرع وقت فأنعمَ بالفيض، وأسعَد **إن شاء الله تعالى**.

محمد البهاري

(١) * مضمون بيت، لحافظ.

- ١٠ -

الرسالة الثانية إلى مراده

بسم الله الرحمن الرحيم

من يأخذ مني كلاماً إلى العارف بالكلام فيكون كالآخذ قطرة إلى بحر عمان؟

أين ريح الصبا ليأتي بعطر وردة وينقل نوحي إلى الهزار؟

يقول لأحبتي مهما نحتم في الوصال، فإن النواح حق لمن يعيش هم الهجران[١]

فداكم نفسي، ماذا بكم، حتى ان كلماتكم التي تضرم النيران يتطاير منها دائماً شرر النواح والبكاء والحسرة؟

ألستم ممن يؤيد به الدين، وتشيد به أركان الشرع المبين، ألستم ممن انغمر في الطاعات والتقوى ووفق للقربات والزلفى؟

الحاصل:

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح[٢]

(١) ❊ مضمون ثلاثة أبيات.

(٢) ❊ البيت لجرير.

أنت لماذا تنوح؟ دعني أنا أبكي كالسحاب في الربيع، لأني **أنا المتخلف عن أقراني، أنا الضعيف في عقلي وأركاني وقد فسدت طاعتي وحسَرَت «انحسرت» بضاعتي وخسرت تجارتي. ذهبت أيامي وبقيت آثامي، ما تزودت في حياتي، وقرُب حين مماتي،** لا أعرف ما هو التدبير، وما هو العلاج.

السماء محيطة بالأرض بقوة «لا يمكن الفرار» لا رفيق، لاشفيق، لا صاحب، لا معين، لا أنيس، لا مؤنس، إلى أية جهة تقلبت، جهل في جهل، وإلى أية ديار ذهبت، ظلمة في ظلمة! كل من جالست غفلة في غفلة، التعرف على الغير وجدته عين الضرر، كل من قلت له صديق، وجدته عدو الروح. شغلي الدائم **ألا سبيل، ألا سبيل؟** وقولي الدائم **ألا طريق ألا طريق؟** أدرس وأنا حيران، أباحث وأنا نادم.

فيا بريد الحي أخبرني بما

قاله في حقنا أهل الحمى

هل رضوا عنا ومالوا للوفا

أم على الهجر استمروا والجفا

أنت أيضاً لابد أنك قائل:

لا خبر جاء ولا وحي نزل، أما عليه نعم، وأما منه لا (كذا)، العجب كل العجب!

إذا كنت تنوح هكذا، فنحن ماذا ينبغي أن نفعل؟ قال الشاعر:

البلبل فوق الوردة، وينوح، فكيف لا أنوح أنا البعيد عمّن هم الورود[١]

الحقير «أنا» لا أستطيع أبداً أن أقايس حال حضرتك بحالي ـ **لوجوه من الفارق** ـ فأقول إنك قد فاتتك القافلة ولا تصل يدك ـ نستجير بالله ـ إلى أمير القافلة **لأجل ميلكم إلى الدنيا والاشتغال بلهوها ولعبها ولطول أملك واتباعك للهوى وغير ذلك.**

الأول[٢]: أنك مائة ألف وأنا شخص واحد، وبمقتضى عبدي **أطعني حتى أجعلك مثلي** فإن جميع قوى ونقاط الأرض عون لك دوني أنا، ما أجمل ما قال:

إذا كان فيض روح القدس هو المدد فإن الآخرين أيضاً يفعلون ما فعله المسيح[٣]

الثاني: أن تغيير عادة التربية المدللة هي بالنسبة للحقير من أشكل الأمور، وهي على جنابك أسهل الأمور[٤].

الثالث: «أنا» الحقير، كل نظري إلى الاعتبارات وهي كل همي، أما أنت فلم تكن معتقداً بالتالي الباطل ولن تكون. تعلمت جيداً «معنى» **لا تأخذك في الله لومة لائم.**

الرابع: إن الحقير قد أقعده الابتلاء بالمعاش، ولأجل مال أسود

---

(١) * مضمون بيت لبابا طاهر

(٢) * هذا هو الوجه الأول من الوجوه التي أرادها عند قوله «لوجوه من الفارق»، والنص في الأصل بالعربية.

(٣) * مضمون بيت لحافظ.

(٤) * لعدم وجودها.

يجب أن أعمل ألف حيلة وتزوير **وجنابك فارغ منه** لأن **طعامك عشب القفار**(١)**، وشرابك من مياه الأنهار، تبيت وليس لك هم، وتصبح** ولست مبتلى بشيئ.

الخامس: الابتلاء بالزوجة والولد، ولست مبتلى بشيء من ذلك.

السادس: من أول الطفولة وإلى الآن، فتك ريح حب الجاه برأس الحقير، فخرب الدماغ نهائياً، ولا معالج ولا طبيب يمكن الوصول إليه بعكس ذلك الوجود المكرم المغتنم.

نعم، ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

كتاب آلام قلبي يصدع الجبل إن وقعت عليه منه ورقة (٢)

أللهم إني أشكو إليك غربتي وبعد داري وقلة زادي و«قلة» معرفتي وهواني على الناس وأنت أرحم الراحمين.

ارحمني أنا المسكين واغثني حتى لا تتمرغ استغاثتي على أعتاب باب غيرك.

حاشا أن أصرخ وأستغيث من جورك يوماً فأنا حر منذ أصبحت عبداً لك(٣).

حرره محمد البهاري

(١) ❊ في هامش نسخة (أ) ورد هنا ما يلي: كان غالب قوت كليم الله نبت الأرض وأوراق الشجر فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء «إمضاء».

(٢) ❊ مضمون بيت.

(٣) ❊ مضمون بيتين لحافظ.

ـ ١١ ـ

الرسالة الثالثة إلى مراده.

بسم الله الرحمن الرحيم

بشروني أنك ستمر بي، لا تغير نية الخير هذه فإنها فأل مبارك[(١)]

منذ مدة مديدة، وعهد للغاية بعيد، وشعلةُ نار اشتياق القلب إلى لقاء ذلك الوجود المكرم تتصاعد من كياني، ولم يستطع أحد إطفاء هذه النائرة.

بقيت أحترق وأتصبر، شغلت نفسي وسليتها بعشقك، كنت أخدع نفسي بأن هذه المرة سيأتي، كنت أفرح بكل نغمة قدم[(٢)]

لكني لم أكن رأيت في طالعي أنني أستطيع بهذه السهولة أن أمسك بذيل جلالك ولكن باعتبار **ما كذب الفؤاد ما رأى، مضى الزمان وقلبي يقول إنك آتٍ.**

بقيت على قيد الحياة بنصف الإحتمال هذا، وفي هذه الفترة تصرم دهرٌ فماذا أقول؟

---

(١) ❊ مضمون بيت لحافظ.
(٢) ❊ مضمون بيت.

العقل المدرك لفراق الأحبة، إذا رمى سهماً كسر القوس[١]

أنت تعلم أن كل ما حل بي هو من ذلك المولى، كل هذه الأنغام، من «ذلك» الشاه، **حيث أن المعشوق يجذب العاشق من حيث لا يعلم به ولا يرجوه ولا يخطر بباله أبداً، ولا يُظهر منه تلك الجذبة في العاشق إلا الخوفُ الممزوج باليأس مع دوام الطلب،** ولهذا قيل:

ميل المعشوقين خفي ومستتر، وميل العاشق بمائة طبل ونفير[٢]

إجمالاً، في أسعد ساعة من الساعات وأفضل وقت من الأوقات حيث لا نائماً كنت ولا متيقظاً، لا سكران ولا صاحياً، زُفَّت بشارة انطلاقة الموكب الملكي، فقلت بلا اختيار مني:

يا رب، أكلام هذا، أم السحر الحلال؟ أهاتف جاء بهذا الخبر أم جبرئيل؟[٣]

بلغت شدة تغير حالي أني لشدة الشوق لم أعرف رجلي من رأسي، ولا رأسي من رجلي، شددت عمامتي على رجلي، ووضعت حذائي على رأسي، ونهضت مترنماً:

غنِّ لي يا منيتي لحن العراق. أُبركي يا ناقتي تمّ الفراق

إبلعي يا أرض دمعي قد كفى. إشربي يا نفس ورداً قد صفا

---

(١) * مضمون بيت لمولوي.

(٢) * مضمون بيت لمولوي.

(٣) * مضمون بيت.

عدتَ يا عبدي إلينا مرحباً. نعمَ ما روَّحتَ يا ريح الصبا

الحاصل، عيلَ صبري وخانني تجلدي، وانتهى الأمر بي إلى الفضيحة، أدرك أهل المدينة والديار «ما حل بي»، أهل التقوى والدين، طال توبيخهم، تصوروا أن ما أفعله أمر اختياري!

فاتَهُمْ **أولاً**:

أن مذهب العاشق غير كل المذاهب.

وثانياً:

عندما يدخل العشق من باب القلب إلى الداخل، يلقي العقل رحله خارجاً [١]

نعم، كلما أردت أن أتحرك حركة نحو ذلك الصوب بالرأس أو بالقدم، لم أجد في نفسي الأهلية لذلك بأي وجه من الوجوه، لا أنا قادر على السير إليك، ولا قادر على الصبر على فراقك، لا قدمي تقوى على المجيئ، ولا صبري على فراقك.

قد تحيرت فيك خذ بيدي يا دليلاً لمن تحير فيكا

فإن قلتَ: مثل مشهور إن كان قلبك معي فأنت معي **وإن كنتَ في اليمن**[٢] **فعلى هذا لا معنى للإضطراب والإستعجال.**

قلتُ: رغم أن القلب دائماً معك، لكن ليس للعين من حسن

(١) * مضمون بيت.

(٢) * مضمون بيت معروف، أبو سعيد أبو الخير، وفي هامش نسخة (ت) نسبته إلى الخواجه عبدالله الأنصاري.

وجهك نصيب، ولا للأذن من لطائف كلامك حظ، أوليس هذان لا بدل لهما؟

كلامك ذاك الجميل الذي يجذب القلب.

وابتساماتك تلك التي تحيي الروح.

تفقدك الدائم لي هو نفسه نغمة البشارة: كنتُ لك(١)

الحاصل، بهذا الحال باقٍ أنا، منتظراً القدوم الميمون لملازمتك يا روح العالم.

في الليالي الحالكة أملي صبح وجهك. **وقد تُفَتَشُ عين الحياة في الظلمات!!** أوليست الخمسة أيامٍ العمرَ، هذه، عشقَنا لوجهك؟

وجدتَ رائحة الودّ إن شممتَ رفاتي(٢)

والسلام

محمد البهاري

---

(١) * مضمون بيتين.

(٢) * مضمون بيتين، الثاني لسعدي، وقد ورد الإستشهاد بهذا العجز بالعربية وكذلك عجز البيت السابق، وللسيد صفي الدين الحلي، قريبا من معنى العجز السابق: أخبرتنا عذوبة اللفظ منها أن عين الحياة في الظلمات، ولابن عواد البغدادي: عين الحياة ولكن تلك في الظلمات البهم لاحت وذا أنواره كملت. الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي بالإمارات «م.م».

ـ ١٢ ـ

الرسالة الرابعة إلى مراده.

بسم الله الرحمن الرحيم

فداك، من فرقك إلى القدم.

قلتَ: أعطيك مرادك، وآخذ روحك، أخاف أن تعطيني مرادي ولا تأخذ روحي[١]

عند الصباح كراراً ومراراً قدمت عروض العبودية والرق، وأبداً لم تشملني ألطافك غير المتناهية، مع أن سعة الرحمة ليس لها في الخارج أي شرط، إنما لا أدري، أية حادثة وقعت، فأدى الأمر إلى الإحتجاب والإستتار.

تجاوز التَّنَعُّمُ الحدَّ بالورد. فتكرمْ بنظرة! والسَّرْوُ يفخر ولا يشعر بالسعادة! بالله إلا ما تهاديت[٢].

(١) * مضمون بيت.
(٢) * هذا ما استظهرته من معنى البيت، وهو لحافظ الشيرازي، أورده المؤلف هكذا:
كَل زحد برده تنعم زكرم رخ بنما سرو مينازد وخوش نيست خدارا بخرام
وقد ورد في ديوان الشيرازي كما يلي: =

نعم، حيث أني أنا المسكين لا أعبر عن اضطرابي، حصل تخيُّلُ انقطاع حبل الإلفة والمودة، رغم أن هذا النزاع والجدل المثير قائمان دائماً بين المحب والحبيب وبين العاشق والمعشوق، لكن علائم الصدق موجودة، ولقد قيل: **أثر المودة ساطع البرهان.**

إذا كان في إخلاصي شك فجرب، لا يعرف عيار الذهب الخالص أحد كالمحك[(١)]

ماذا أعرض لمقامك، ليس لي حق إظهار الشكاية إلى حضرتك، أسأل الله المنتقم القهار **جلت هيبته وقدرته،** أن يبتلي الفراق بفراقك، حتى يقطر الدم من «مدامع» عيني الفراق[(٢)]

كَل زحد برد تنعم نفسى رخ بنما سرو ميـنـازد وخـوش نيـست.
والبيت المتقدم عليه هو:
ماجراى من ومعشوق مرا بايان نيست هرجه آغاز ندارد نبذيرد انجام.
❊ «إنتشارات إقبال ط أولى عام ١٣٦٤ هـ.ش والطبعة الثانية عشر من مجموعة طبعات».
ونقل لي أنه ورد في بعض الطبعات هكذا:
كَل زحد برده تنعم نفسي رخ بنما، سرو إلخ.
ويبدو أن المعنى العام للبيت هو المقارنة بين الورد الذي شملته العناية وحظي بالنظرة الخاصة، فأصبح ورداً رغم قصره وقصر المدة، والشوكِ الذي يكتنفه، وبين السرو الذي يتمتع بحسن المنظر وطول «القامة» والمدة.
في الشطر الأول ذِكر الورد، وبعده: تكرمْ بنظرة، أو أطلَّ بمقدار نفَس، أرني وجهك بمقدار نفَس.
وفي الشطر الثاني ذِكر السرو، وبعده: أقسم عليك بالله إلا ما تهاديت، أي دعني أنظر إليك.
والبيت بعدُ، يحمل معاناة السائل إلى الله تعالى الذي طال به الأمد وتقدم العمر وهو يفخر بالحمد لله الذي هداه لهذا، إلا أنه لا يعيش السعادة، ويستبد به القلق من سوء الحال والمنقلب، فيتلهف إلى أن تشمله العناية فتتفتح براعمه وروداً أو يتضوع بالقبول والرضا شذا عبيره، والله تعالى العالم.

(١) ❊ مضمون بيت لحافظ.

(٢) ❊ مضمون بيت.

لا أدري!

من جاء بالفراق والهجران إلى الدنيا؟

يا سوّدَ الله وجه الهجران وأيام الفراق[١]

وهكذا، يتضح أنه إذا وقعت مسامحة وتساهل، فذلك من القصور لا التقصير، لأنه لم يبقَ مني شيء.

سلب مني الاستقرار تانك الوردتان السوداوتان.

ودمرتني تانك النرجستان المكحولتان[٢].

فداك نفسي، لا ينبغي أن تتوقع ممن لا عقل له الصبر والفطنة، ومن لا عين له ولا أذن ولا يد ولا رجل ولا جناح ولا ريش، لا يمكنه أن يصل بالحيلة والتدبير إلى حل، لم يبق له مرشد ولا ناصر، متعب، ميت، عن كل الأعمال عاجز، لم يوصله الدرب إلى مكان، سقط من عينَيْ محبوبه، طال سماعه للتوبيخ، لا مال له، لا ملك، لا عقار، لا قوة، لا ذهب، لا عز، لا اعتبار، نائح، جائح، مسكين، حزين، مهموم، مغموم.

إذا مرَّ ذكر ذلك الحبيب، قطراته، كالجراد المنتشر[٣]

حالته عجيبة، كيفيته غريبة، كل من يراه يقول شيئاً:

هذا يقول، عجباً لذبوله، والآخر يقول: في عداد الموتى![٤]

(١) * مضمون بيت.
(٢) * مضمون بيت.
(٣) * مضمون بيت.
(٤) * مضمون بيت.

حقيقة أعرض لمقامك:

قلبي لا يألف أحداً غيرك.

أي بلبل هذا الذي لا يتسع له قفص[١]

ولكن ماذا أفعل؟

ألمٌ أَلَمُ العشق، كلما أوغلت في علاجه ازداد واشتد إيلاماً[٢]

لولا الموانع الخارجية، لكنت ألقيت بنفسي على أعتابك في أي ديار كنت، ولكن ماذا أصنع، ثمة موانع كبيرة كبيرة، مثل الجبل سدت علي السبل:

ألأول: أنني يجب أن أتخلى عن الانشغال بالدرس والتحصيل **وله مفاسد كثيرة من وجوه كثيرة:**

الأول[٣]: أن خبزي «مورد رزقي» ينقطع!

الثاني: أنه لا أحد من عوام الناس يعتني بي عندها!

الثالث: أن زملائي يتقدمون عليّ!

الرابع: إني لن أستطيع بعد ذلك أن أتحكم بالأعيان فتتعطل الأمور الشرعية!

الخامس: أن الزعامة تصبح صعبة بالنسبة لي، **فتأمل!**

---

(١) * مضمون بيت.

(٢) * مضمون بيت لسعدي.

(٣) * الأول هنا وما بعده من الوجوه الكثيرة للمفاسد الكثيرة المترتبة على ترك الدرس والتحصيل، وسيأتي الثاني من الموانع وما بعده فلاحظ.

الثاني: من الموانع: أن لي ولدين، ثلاثة، منطقهم عذب، علاقتي بهم تشكل مانعاً.

الثالث: أن تغيير العادات اليومية أمر مشكل!

الرابع: أن جماعة من أهل الهند اعتنقوا الإسلام مؤخراً، ويحتاجون أحياناً لبعض الفروع الفقهية، أخشى أن يراجعوا هذه المدينة، فإذا لم أكن قد لا يستطيع سائر العلماء القيام بهذه المهمة أو أن لا يكونوا موجودين في البلد، أو أنه قد عرض لهم عارض، أو لا يفكروا في جوانب المسائل بدقة، وهذا يشكل هزيمة للإسلام، وأنا لا أرضى بذلك.

نعم، الموانع الأخرى، خجلت من إظهارها **فقس على هذا فَعْلَلَ وتَفَعْلَلَ!**[١]

حرره محمد البهاري

(١) ❊ بديهي أن هذه الوجوه جميعها مسوقة على سبيل التوبيخ للنفس الأمارة، وتعرية «حججها» الواهية.

ـ ١٣ ـ

الرسالة الخامسة إلى مراده.

بسم الله الرحمن الرحيم

يا حبي[١]:

أصبح قلب العاشق الوجِع، من محبتك، دماً.

لا بشفرة هجرك تقتله ولا تجود عليه بالوصال[٢]

سنوات مضت حيث مر علي أنا المسكين صبح ومساء[٣]، لم يصلني من ديار من سلب القلبَ رسول، ولا سلام، ولا رسالة، ولا خبر.

لا أدري، هل أُعطيَ هذا القالب الذي هو بلا روح صبر أيوب؟ أم وُعد بعمر نوح؟ أتجرع الإنتظار في اليقظة فلا أسمع خبراً، أنام، فلا أجد أثراً، وحيثما عدوت لا أصل إلى نتيجة، وأيَّ شخص سألت، لا أهتدي إلى علامة!

من جهة أخرى، نار الهجران النمرودية، **آناً فآناً في ازدياد!!**

(١) * في الأصل: ما يعادل يا مدَلَلي.

(٢) * مضمون بيت.

(٣) * يبدو أنه كان قد رأى مخاطَبَه مرتين ذات صباح وذات مساء.

نعم ما قال:

إنــمــا هــجــرك ريــح صــرصــر أرسلت في يـوم نـحس مـستـمـر
فــإذا مــا غــبــتَ عــنــي ســاعــة كــانــت الــســاعــة أدهــى وأمــر

نعم:

هـــل ســـبـــيـــل لـــلـــتـــلاقـــي «فـــلـــقـــد» طـــال اشـــتـــيـــاقـــي
وســـقـــانـــي الـــبـــيـــن كـــأســـاً طـــعـــمـــه مـــرّ الـــمـــذاق
ودمـــوعـــي فـــوق خـــدي فـــي انـــســـكـــاب وانـــدفـــاق

عجباً من قولك: القلب يهدي إلى القلب، «فها نحن»، واحد محترق من الغم، والآخر نضر ضاحك[1]

فإن قلتَ: العجب كل العجب، مع كل قلة التحمل هذه، وقلة الصبر وسوء الخلق وسوء الأدب وغلظة القول والحمق في الحركات والسكنات، ما أنت والعشق فإن العاشق يجب أن يكون قلبه بحراً، ويجب أن يتحلى بكمال الأدب. **طُرَفُ العشق كلها آداب**، يجب أن يتصف العاشق بحسن الخلق **ولين الكلام**، يجب أن يكون صبوراً، ألم يقل «الشاعر»:

شكوى الحبيب والعتاب له ذنب، العشاق الذين يفعلون ذلك يستحقون الهجران[2]

أنت تفكر براحتك، تطلب الدعة، تدور حيث يدور هواك، انصرف!

(١) * مضمون بيت.
(٢) * مضمون بيت لحافظ.

النشأة المترفة، ليست الطريق المؤدي إلى الحبيب، العاشق صاحب الهمة «الرجل» من يتحمل البلاء[١].

يجب أن تبحث عن بضع حبات جوزي أو عصفوري أو كعابي[٢] وتلهو مع الصبيان، لأنك حتى الآن لم تفهم **أن أول ما يبذل العاشق والطالب الصادق هو أنسه وراحته ثم ما يملكه وما يتعلق به حتى كرامته واختياره ثم يبذل روحه ويصل إلى خدمة حبيبه مع خطر عظيم وهول جسيم، فأنى لك تحصيل هذه المراتب العالية المهولة الصعبة هيهات هيهات.**

قلتُ نعم الأمر كما «ذُكر» إن كان لك ميل إلى إلزامي وإفحامي.

نعم: الكل يعلمون أن المصاب المتيم قلبه، لا علاج له إلا الصبر ولكن ماذا يفعل؟ إنه لا يقدر «على الصبر»[٣]. «أنا» الحقير ملتمس دائماً:

إذا سقطتُ من عين جميع الخلق فذلك سهل.

أنت لا تسقطني من عينك، فمن خذلته فليس له ناصر[٤]

وإلا فإذا أردت جواباً واقعياً: فليست **أول قارورة كسرت في الإسلام.**

---

(١) * مضمون بيت لحافظ.

(٢) * قطع مدورة كالجوز أو مربعة وشبه ذلك للعب النرد وشبهه.

(٣) * مضمون بيت لسعدي.

(٤) * مضمون بيت لسعدي.

لست وحدي أنا الذي أشكو المحبوب، فكل من يقع بصري عليه أراه يكابد هذا الألم![1]

إذا لم تصدق فعرّج ـ متورد الوجه ممشوق القد ـ على الحديقة عند السحر لتسمع بالحس نواح العشاق وتفجعهم، لا تنظر فقط إلى الفراشة التي استبد بها وله الشوق الكامن فأسرعت عجلى لتفدي المحبوب بنفسها فاحترقت في النار المضطرمة، فإن ذلك **ـ على التحقيق ـ** «بالتأكيد» ناشيء من ضعفها ومحدوديتها، ولذلك لم تستطع أن تنسجم مع نار الهجران فتجمع **بين القشر واللب** ولم تعلم:

أن نواح العاشقين ونحيبهم يفرح المحبوب[2] **فإنه ألذ عند المحبوب من جميع الملذات.**

إذاً، العشق أين، والصبر أين، **هيهات هيهات،** لقد قالوا:

من العشق إلى الصبر ألف فرسخ[3]

فإن قلتَ: أوليس كتمان الحب مستحسناً في الشرع المنور، وفيه ثواب شهيد، أوليس أصبرَ الصابرين سيدُ حلقة العشاق، ألم تسمع: **إن المحبة سر من أسرار الله وجعل محله «ا» قلب الإنسان كي لا يلتفت إليه أحد غيره إلى غير ذلك من المنهجيات.**

قلتُ: تقرأ «لي» الروايات؟، أولم تسمع: مذهب العاشق غير كل المذاهب، ملة العشاق ومذهبهم، الله![4] «هذا» أولاً.

(١) ❊ مضمون بيت.
(٢) ❊ مضمون مصرع.
(٣) ❊ مضمون مصرع.
(٤) ❊ مضمون بيت، قريب منه، ملك الشعرا بهار.

وثانيا: «من تُرْكَم. أوني بوني بولمرم!!». أي أنا تركي ولا أفهم شيئا آخر «لا أفهم خبراً ولا مَبَراً».

بلغني الله إياك من كل الدنيا حتى إذا كان ثمن ذلك أن يحرمني الجنة، كيف لا أفديك بديني وقلبي وقد فدى «صنعان» بدينه فتاة نصرانية [١].

وتوضيح الكلام بعبارتنا: ليكن الحبيب لي، ونعمة الفردوس لك.

صح عند الناس أني واله   غير أنْ لم يعلموا حبي لمن؟ [٢]

حرره فلان

---

(١) ❊ لعل المراد أن ما أتوهمه ديناً فهو فداك.

(٢) ❊ ورد هذا البيت في النسخة (أ) بعد التوقيع، ولا يخفى لطفه.

ـ ١٤ ـ

الرسالة السادسة إلى مراده

بسم الله الرحمن الرحيم

فداك نفسي.

هل بلغك أني بدون وجهك لا يقر لي قرار؟

لا طاقة لي بحمل الفراق كل أيامي هذه[١]

العجب كل العجب مما يقال: أن عمر الدنيا ثمانية آلاف سنة، ولكنه قد مرت علي أنا المسكين في هذه المدة المتمادية إلى الآن ثمانون ألف سنة وأكثر، ومازلت في أيام فراقي الأولى، بدليل أن نوحاً عليه السلام واجه في ألف سنة طوفاناً «واحداً» وأنا واجهت عدة آلاف، وإبراهيم عليه السلام طيلة عمره كله واجه ناراً نمرودية واحدة، أما أنا فقد عانيت مائة[٢] ألف نار نمرودية.

موسى عليه السلام لم يلمس إلا صعقة واحدة، **ولي كل يوم صعقة فوق[٣] أخرى، مع هذا كله** فإن شغلي النوح! لا من الخلة حصلت على خبز، ولا للمودة رأيت من أثر، ملامة الناس من جهة والفقر والفاقة من جهة أخرى، وإعراضك من جهة ثالثة.

---

(١) مضمون بيت لسعدي.
(٢) إضافة من النسخة (أ).
(٣) إضافة من النسخة (أ).

إلا أن الأول والثاني هينان لأني:

لم أتبهرج كي أحصل اللوم، فلأكن عبداً إذا كنت لن أحصل على عزة إكرامي[١].

لكن الذي يحرق القلب ويقطع ما في الأحشاء هو الأخير[٢].

ليس ثمة أمرَّ من فراقك، من دون ظلِّك ليس إلا الضياع[٣]

إذا كنت لن تفسح المجال فخذ روح عبدك.

الروح التي تحيا بدونك ميتة، فخذها[٤]

نعم، إن التفصيل أكثر من اللازم، إذا أردت أن أذكر من التفاصيل المعتبر، فسيطول إلى القيامة ذلك المختصر[٥]

رغم أني أحياناً أقول:

يمضي هذا الدهر الأمرّ من السم، ويأتي مرة أخرى دهرٌ مثل السكر[٦]

لكل شدة راحة، ولكل نزول صعود، لابد أن في هذا الأمر سراً، قال الكاتب:

يمحو اللوحَ أولاً دون توقف، عندها يكتب عليه الحروف.

---

(١) ❊ مضمون بيت، ورد الشطر الأول منه عجزاً في ديوان سعدي.
(٢) ❊ الإعراض
(٣) ❊ مضمون بيت لمولوي.
(٤) ❊ مضمون بيت لمولوي.
(٥) ❊ مضمون بيت.
(٦) ❊ مضمون بيت.

يبكي القلب دماً من دموع التذلل، عندها يكتب عليه الأسرار الخفية. عندما يريد تجديد أساس البيت، يرمي جانباً أول حجر في أساسه القديم.

يبكي الأطفال عند الحجامة وينتحبون، لأنهم لا يعرفون أسرار الأمور[١]

لكن الطفل المفطوم لا تنسيه الرضاعةَ ألفُ أسطورة.

فإن قلتَ:

هل المنزل بعيد؟ ألا تعرف المأوى والمقصد؟

هل وضعوا على الباب حاجباً وبواباً فأبعد أحداً عن ساحة القرب؟

ألم يناد المنادون أن من كانت له حاجة فليأت؟

ألم يخبر المقربون أنه لا تبرُّم من الإحسان؟

ألم يخبر السفراء أن من خالف يواجه في المقابل بالكرم؟

ألم يعلن الأطباء أن لكل مريض عندنا علاجاً ولكل جرح مرهماً؟

ألم يصرخ الحكام بأننا غوث كل مظلوم وعون كل عاجز؟

ألم يقل العلماء أنا نرد كل مجنون عاقلاً، وكل ناقص كاملاً؟

مع كل هذا الذي نقل إليك، تخاف من ظلك؟!

(١) * مضمون أربعة أبيات لمولوي.

على من تعتب؟!

قلتُ: نعم، الأمر كما تقول وفوق ما يقول القائلون، إلا أن «ثمة»[١] أمراً آخر وهو هذا:

ما لم يكن من جانب المعشوقة جذب، فإن جهد العاشق المسكين هباء[٢]

يتوقف حصول هذه المطالب[٣] على التفاتات خاصة وإنعامات مخصوصة.

فإن قلتَ: نعم، الأمر كذلك ولكن الإلتفاتات الخاصة تحتاج إلى خدمات مخصوصة وآداب مخصوصة.

ذلك السهر الدائم في الليالي، وذلك الصوم المتواصل في النهار، وتلك الصرخات التي تحرق القلب واختطاف اللون الملازم، وخفقان القلب المقيم، **واعتقال** اللسان واضطراب المفاصل والأعضاء، وكثرة التحمل من الخلق، وتلك المراعاة لجميع الآداب مع المعشوق، وألوان بذل المال والروح والاختيار، **إلى غير ذلك من الشرائط.**

أيَّ مراحل من ذلك طويت، لتتوقع أن تصبح مَحْرم الأسرار و«تتوقع» قابلية الإنعامات الخاصة؟

إنصرف، واطلب توقعاتك هذه من لذيذ رقاد السحر، وطعام

(١) * في النسخ الثلاث ورد التعبير هكذا «إلا أنْ نجِدَ به» وقد استبدل لتستقيم العبارة.

(٢) * مضمون بيت.

(٣) * التي وردت في الأسئلة السابقة المتتالية.

العشاء الدسم، ولا مبالاة النهار، وعِشرة من لا تنبغي معاشرتهم، والميل إلى الهوى والهوس.

ما لم توْدع الرأس، لن يوْدعوك السر.

ما لم تترك الإختيار، لن يجعلوك المختار المطلق.

ما لم تقطع حبل تعلقك بالكائنات، لن يبرموا حبل محبتك.

من هنا قيل:

سفر العشق حرام على المترفين حرام.

ففي كل قدم من هذا الطريق خطر ليس مثله خطر!

* كل من تسبب بالعزة، يذهب بها.

كل من أحضر قنداً يأكل اللوزينج[١]

قلتُ:

وقد هيجت أحزاني، وزدت في دائي.

والسلام

(١) * مضمون بيتين، الثاني لمولوي باختلاف عما ورد لا يؤثر عموماً في المعنى. القند: هو مكعبات السكر أو قطع كبيرة منه، واللوزينج نوع من الحلوى، يستعمل السكر لصنعه.

ـ ١٥ ـ

الرسالة السابعة إلى مراده

بسم الله الرحمن الرحيم

أغثني، فليس لدائي دواء، أغثني، فليس لهجري نهاية[١]

مهما كنتُ، مهما فعلت، مهما قلت، **وقع ما وقع، كان الذي كان،** مضى ما مضى، الآن: لقد ألقيت السلاح لفرط العجز، فأغثني، ياروح الروح، أغثني[٢]

يا مغيث الجميع، أنت تعلم أني في هذه المدينة غريب، وفي هذا البلد فقير.

يا غريب الحسن رفقاً «بالغريب».

ليس الهدف الجدال والمراء. **قد ملكت القلب ملكاً دائماً**.

إذا أردت فاعدل، وإذا أردت فاظلم، المنطلَق هو الإستجداء والإلتماس.

لعلك ترشد منقطعاً، فإن هذا المسكين متخلف عن كل شيء

(١) * مضمون بيت لحافظ.

(٢) * مضمون بيت، والضمائر في جميع هذه العبارات هي في الأصل ضمير الجمع، فليلاحظ.

لا إلى بلاط الجلالة له سبب «و» لا يد تَوَسُّلِه تصل إلى أذيال أحد.

«و» لا حالة التضرع والنحيب سلمتْ له، فيرثى لحاله.

منقبض، حائر، تائه، وحيد، فريد، مشرد، منكسر، عاجز، نائح، تارة يجثو على ركبتيه «و» تارة يطلق من قلبه آهاً باردة، «و» طوراً يتذكر الأيام الماضيات، خصوصاً تلك الأيام التي كان يمرغ فيها الرأس على الأعتاب فيحظى بألوان الألطاف!

استماعاتك تلك، وإصغاؤك، وتبسمك ذاك الذي يحيي الروح!

واستراقي السمع بين الحين والآخر، وعشواء روحي المسكونة بالتوجس.

وكثرة قلبي للحقائق التي تعلمُها، كل ذلك قبلتَه مني كأنه عين الصواب[١]

الحاصل، عندما أتذكر تلك الصفات الحميدة، والكمالات التي لا تتناهى، تنبعث الآه من كياني، ولكن ما العمل: يدنا قصيرة والتمر فوق النخيل[٢]

مضافاً إلى تجدد موانع كبيرة كبيرة **فإليك المشتكى من نفسي وأقربائي وأصدقائي وجيراني وأهل بلدتي وأهل ملتي فإنهم كلهم متفق**

(١) ❊ مضمون ثلاثة أبيات لمولوي.
(٢) ❊ مضمون مصرع، تقدم الإستشهاد به.

«و» الكلمة صاروا عليّ، وليس «لي» أحد استعين به في أمري غيرك، فإن كنت مترحماً «متحنناً» فالآن وقته وأوانه، فخذ بيدي يا منقذ الغرقى ومنجي الهلكى.

فإن قلتَ: أيها السيء الحظ الكذاب، ياذا اللحية البيضاء والقلب الأسود، إلى متى تستمر في هذه التلفيقات والأكاذيب والممارسات الملتوية، تَقدَّم ولو خطوة واحدة مستقيمة لتتصرف بجميع الكائنات، لا يستقيم الأمر بالحيلة والتزوير.

قل لي من أي صنف من الأصناف أنت؟

من أهل العلم؟ كاسب؟ متعبد؟ عارف؟ فتى؟ درويش؟ أي شيء أنت؟ أياً يكن الإنسان، فإن عليه أن يراعي شروط ما هو عليه، وأنت لا تتوفر فيك شروط أيٍ من هذه.

إن كنت من أهل العلم، فأين عملك وحلمك؟ أين تواضعك وتخشعك؟ أين زهدك؟

وإن كنت كاسباً، فأين أمانتك؟ أين تفقهك؟ أين تدينك؟

إذا كنت متعبداً، فأين توكلك؟ أين مناجاتك في خلواتك؟ أين استيقاظ الليل؟ أين الصوم في أيام صيفك؟ أين بكاء أطراف ليلك ونهارك؟

وإن كنت عارفاً، فأين معرفتك؟ أين تسليمك والرضا؟ أين ترك «ما سواك»؟

وإذا كنت فتىً فأين رجولتك؟ أين عفوك؟ أين أخذك بأيدي الضعفاء؟ أين شواربك الضخمة، التي تعدل كل شعرة منها الدنيا وما فيها؟

وإن كنت درويشاً، فإنه يقال إن قبعة الدرويش يجب أن تحتوي على أربعة تروك، كل ترك منها يكشف عن الآخر:

الأول: ترك الدنيا، والثاني: ترك العقبى، والثالث: ترك المولى، والرابع: ترك الترك، فأياً من هذه التروك أديت؟[١]

قلتُ: لا قاضٍ أنا، ولا مدرس، ولا محتسب، ولا فقيه.

لست في عداد أيٍّ من هذه العناوين المذكورة، كثيراً ما رفعت إلى مقامكم أني مستجْدٍ وليس للاستجداء شرط، المستجدي يطلب المجّان، ولم يُطلب منه مقابل.

---

(١) هكذا قال الشيخ المعنوي، سالك سلك حقيقة المثنوي:
لا بد أن يكون في قبعة فخره ثلاثة تروك، ترك الدنيا وترك العقبى وترك الترك، والمراد من ترك الترك، ترك إرادته وهو الذي يسمى بمقام الرضا، وإلى هذا المعنى تشير قصة حضرة الإمام الباقر عليه السلام وجابر «بن عبد الله الأنصاري» عندما سأله الإمام عن حاله فأجاب بما حاصله: الفقر أحب إلي من الغنى والمرض أحب إلي من الصحة، فقال عليه السلام ما مضمونه: إنا أهل بيت لا نريد إلا ما أراد ربنا عز وجل.
ولم أفهم من عبارة الكتاب هذه أي مولىً هو المراد تركه، ذلك لأنهم قالوا: طالب الدنيا مؤنث وطالب العقبى مخنث وطالب المولى مذكر.
والمراد من ترك الترك أن يستسلم السالك لمولاه، أي يترك الدنيا أولاً ثم يترك العقبى ثانياً ثم يترك إرادته ويسلم نفسه بشراشر وجوده إلى مولاه ويترك إرادته «إرادة نفسه» أما المقصود من ترك المولى فلم أعرف بوجه من الوجوه ما هو المراد منه، وإلى اليوم لم أر أحداً يقول بأكثر من ثلاثة تروك. الأصفهاني.
* مضمون بيتين.

فإن قلتَ: لا أقل من أن تكون صادقاً في الطلب، فتجدَّ وتبذل الجهد حسب استطاعتك.

قلتُ:

لقد قلت مراراً وأقولها مرة أخرى: مالم يكن من جانب المعشوقة جذب

إلى آخرهما[1].

الجاني محمد البهاري الهمداني[2]

(١) * ذكر مصرعين من بيتين مختلفين، الأول من غزل الشاعر حافظ الشيرازي:

بارها گفته ام وبار دگر ميگويم ... كه من دلشده اين ره نه به خود ميپويم

لقد قلت مراراً وأقولها مرة أخرى ... أني متيم هذا الطريق، لا أملك الإختيار في طيه

والثاني شطر من بيت مشهور:

تا كه از جانب معشوقه نباشد كششي ... كوشش عاشق بيچاره به جايي نرسد

ما لم يكن من جانب المعشوقة جذب ... فجهود العاشق المسكين هباء

ولأنه استشهد بشطرين من بيتين قال: إلى آخرهما.

(٢) * في نسخة (أ) حرره الجاني الخ.

ـ ١٦ ـ

الرسالة الثامنة إلى مراده

بسم الله الرحمن الرحيم

فداك نفسي.

كنتَ قد قلتَ أخبرني كيف أنت جراء هجري؟

أنا بحيث تراني ولا تعرفني، مازلت كذلك[١]

ذلك أنك عريتني من أمنية وصالك بالقلب، والعلم، كليهما، **ولك المنة عليّ**. كالمجنون في الزقاق، والسوق، مضطرباً، أتقلب على وجه كل شيخ وشاب، تارة أعلل القلب بحَجَر الأطفال، وتارة أحتمل تجريح الرقيب والأغيار وتعريضهم، كما قلتَ: أما أنا فقد استنفدتَ صبري، بالنفس الملائكي.

الحاصل، أنا ممتنّ، تارة أجوب الصحاري، تارة أجلس في البحار، تارة أصعد فوق الجبال، تارة أنزل في الحفر، لا للفؤاد سكينة، لا للقلب سكون واطمئنان، **فيا له من عجب، كيف العجب**

إذا قلتُ صواباً فقد أخطأت، لأنك في كل آن في شغاف قلبي، حاضر نصب عيني، أنظر إلى الصحراء، فأراك الصحراء.

(١) * مضمون بيت.

وإن أقل إنك قريب، فماذا عراني أنا عديم القلب فإذا بي أعدو متحيراً في هذه الجهة وتلك، **أناديك من كل مكان لعلك تسمع ندائي**

ليس الهدف من هذه المقالات خلاص نفسي، بل استحكام العلقة هو المقصود.

معلوم تماماً:

ليس الظلم أن تُوقع صيداً في شباكك. الظلم أن تطلق سراحه من قيدك[١]

ولكن، بمقدار ما أستحق الترحم، ارحمني، ليست لي قابلية الحضور، تلطف على هذه الذرة بالرعاية.

مهيض الجناح، والريش، أغثني.

إذا لم يكن الهدف إبعادي جزاءً لأفعالي القبيحة وسوء أدبي، فها هي يدي، وأذيالك **أسألك بحق المودة والقرابة أن لا تحملني ما لا طاقة لي به**.

وإذا كان الهدف امتحاني فاللاشيء ليس أهلاً للإمتحان في أي وقت، وإذا كان الهدف تطهيري وتكميلي ليتضح قدر الوصال، فمن نام في مزبلة البعد خمسين سنة ولم ينتبه إلى أهمية هذه النقطة «الوصال» لن يستفيد بعد ذلك شيئاً.

وإذا كان الهدف سماع تفجعي ونحيبي، ليرتفع صراخي وتظلمي، إذاً:

---

(١) ❊ مضمون بيت.

لست من يصرخ منك بالجور، حاشا.

أريد أن أكون خادماً معتقداً، وعبداً لدولتك[١]

وإذا لم تكن هذه «الأسباب» بل هذه:

عاهدت أن تحرقني بغمك، لا غمَّ أبداً. أنت تحُرق، بهدف أن أتكيّف[٢]

آمل إعطاء جواب العريضة سريعاً، ليتضح التكليف.

فإن قلتَ: يا عديم الإنصاف، تظلم نفسك بنفسك، وإلا ففي أية مرحلة قصرتُ، وغفلت عنك، **أما وجدتك يتيماً فآويتك، ووجدتك ضالاً فهديتك، ووجدتك عائلاً فأغنيتك؟**

رأيتَ كنت مريضاً، كيف مرَّضتك؟ كنت قد أصبحت ذليلاً في يد الأعداء، بأي تدبير أنقذتك؟

في المرحلة الفلانية أرادوا إذلالك علانية، بأي نحو صرفتُهم، وأيَّ أجواء سعادة وفرتها لك إلى الآن؟

ما الذي طلبته مني ولم أعطك؟ هل قصّرتُ في الاهتمام بك آناً في الليل أو النهار؟ خدمك نائمون، وأنا أحرسك.

مرافقك وبوابك غافلان، وأنا أحميك، أولادك وعيالك، لا يعتنون بك، وأنا أهيّئ لك الطعام، مع ذلك تشكو مني؟

(١) * مضمون بيت لحافظ، غزل، ٣٦١.

(٢) * مضمون بيت.

قلتُ: جزاك الله خير الجزاء، وقد نبهتني إلى شيئ كنت غافلاً عنه كلياً.

كان ظني أن هذا النحو من الأمور الجارية يرجع إلى الأسباب، ولم أكن أعلم أنها من مسبب الأسباب، أما والأمر كذلك، فافعل أحد هذين الأمرين:

إما أن يحملك الوفاء على أن تطلبني إليك أنا المتخلف، وإما أن تطلب ـ أنت الطاهر الذيل ـ من الله وفاتي[(١)].

أيهما اخترتَه، تفضل بالإخبار. **أمركم مطاع.**

حرره محمد البهاري[(٢)]

---

(١) * مضمون بيت.

(٢) * في النسخة (أ) وت بعد هذه الرسالة وردت عدة أسطر لجامع الكتاب ومؤلفه الشيخ التائب، لم ترد في الطبعة (ب)، وهي كما يلي:
لا يخفى أن جناب الشيخ محمد البهاري قدس سره توجه من النجف الأشرف لزيارة مشهد المقدس ولدى رجوعه ساء وضعه الصحي، ولذلك بقي في تبريز مدة، وفيما كان متوجهاً إلى النجف، توفي سنة ١٣٢٥ في قرية بهار بهمدان التي هي وطنه الأصلي، أصيب ربيع عمر ذلك الوجود المغتنم بآفة الخريف، رحمة الله عليه وعلى جميع الأولياء.
ثم أورد أبياتاً بالفارسية في تأريخ وفاة الشيخ البهاري عليه الرحمة:
انتقل الشيخ البهاري سميّ حضرة الخاتم من هذه النشأة إلى جوار محمد ﷺ
توجه إلى باب المصطفى وأصبح ذلك الباب مأمن محمد وملاذه ومستجاره.
أراد تائب المفجوع، لتحديد التاريخ أن ينثر دراً على محمد
غاص في بحار الفكر وقال: صار آه الخريف ورد ربيع محمد.
أو صار خريفاً ورد ربيع محمد، واه خزان شد كَل بهار محمد ١٣٢٥ هـ.ش
وحيث أن بهار اسم بلد الفقيد، ونفس اللفظ بالفارسية اسم للربيع، فإن مراده في آن: ورد «بهار» وورد الربيع، ولا يخفى لطفه.

توجيهات آية الله السيد أحمد الموسوي رضوان الله عليه(١)

بسمه تعالى وله الحمد

رغم أن هذا الحديث لن يكون سهلاً على واعظ المدينة، ما دام مرائياً ومحتالاً بل إنه ما دام كذلك لا يصبح مسلماً.

تعلم الذكاء واحظ بالتكريم، فليس ذلك بحاجة إلى كثير فنٍّ ومهارة.

الحيوان لا يشرب الخمر، ولا يصبح إنساناً

الجوهر الطاهر، يجب أن يصبح قابلاً للفيض

وإلا فإنه ليس كل حجر وطين يصبح لؤلؤاً ومرجاناً

المريض المتألم الذي يخفي ألمه على الطبيب

لا يمكن أن يداوى مرضه بشكل تلقائي

---

(١) * جاء في نسخة (أ): تعليمات حضرة حجة الإسلام والمسلمين، آية الله في الأرضين، سيد الفقهاء والمجتهدين، مولى العرفاء والمتكلمين، جامع المعقول والمنقول، حاوي الفروع والأصول، سيدنا ومولانا الحاج السيد أحمد الموسوي الحائري روحي له الفداء، كتبها إلى تلميذه.

كل من تتملكه الرجفة عند الأصنام

لن يصبح بدنه لائقاً للقربان، إلا ببذل الجهد[(١)]

إن شاء الله تعالى تكون مواظباً على أداء الواجبات وترك المحرمات بمنتهى الدقة.

تأمل بالوصية أول الصبح أولاً.

وكمال المراقبة في تمام النهار ثانياً.

والمحاسبة عند إرادة النوم ثالثاً.

والتدارك والسياسة بالمجازاة بالضد عند المخالفة رابعاً.

على التفصيل المعهود في كتب الأخلاق.

وإن شاء الله تعالى تكون مواظباً في كل يوم وليلة على ساعة خلوة عن الأغيار **مع الله جل جلاله بالمناجاة والتضرع والتبتل والخضوع والخشوع إليه، وينبغي أن يجعل «الشخص» ذلك في كل ليله بين صلاة المغرب والعشاء أو بعد العشاء، فيسجد السجدة**

---

(١) * مضمون خمسة أبيات لحافظ، غزل/ ٢٢٧. وخلاصة معناها: ترك الرياء هو المدخل إلى الإسلام الحقيقي، وهو علامة الفهم والذكاء، فتعلم الذكاء، تصبح إنساناً مشمولاً لـ«كرمنا بني آدم»، وليس ذلك بحاجة إلى كثير فن، ومن لم يبلغه، فهو حيوان، وكما أن الحيوان لا يشرب الخمر المعروف، فإن من هو حيوان في صورة إنسان لا يمكنه أن ينتهل من معين الحقيقة، فلابد للجوهر الطاهر أن يصبح قابلاً للفيض، إذ ليس كل حجر وطين يصبح لؤلؤاً ومرجاناً، والطريق إلى الانسانية، ينحصر بالمعاناة والكَبَد، وعرض النفس على الطبيب، فكما أن المريض يعاني فيسعى إلى العلاج، ويستعمل الدواء، ليحصل على السلامة والشفاء، كذلك لابد من الإحساس بخطورة المعصية ولوثتها، والسعي في العلاج، وإلا فإن من يعاني ولا يسعى، لا يمكنه أن يتبلور ليصبح القربان المتقبل.

المعهودة[١] ويذكر الله بعده بما ساعد عليه التوفيق مع كمال الحضور والإقبال على الله تعالى بكليته «بجميع كيانه» والإعراض عما سواه بأسرهم كأنه لا موجود سواه جل جلاله.

وعندما يعجز عن الذكر ويتعب، ييمم وجهه إلى التفكر، يفكر من أنا؟ وأين؟ من أين جئت وأين أذهب، ويغوص في نفسه بعيداً إلى أن يجد نفسه، وكأنه ليس في عالم الوجود أحد ويطلب من حضرة الباري جل وعلا أن: إلهي، عرفني نفسي فلا فضيحة ولا شناعة فوق أن يكون الشخص لا يعرف نفسه.

وتكون مواظباً إن شاء الله تعالى تمام المواظبة على التهجد، قيام السحر والإشتغال بنافلة الليل مع كمال الحضور والاقبال، والاشتغال بالتعقيب[٢] وقراءة القرآن إلى طلوع الشمس.

ولا تترك إن شاء الله:

---

(١) * يبدو أن المراد سجدة الشكر وقد ورد الحث عليها كثيراً. من ذلك ما أورده في المستدرك عن فقه الرضا عليه السلام:
لا تدع التعفير ولا سجدة الشكر في سفر ولا حضر. المستدرك ج ٥ / ١٢٧ ووردت لها أعمال كثيرة خصوصاً بعد صلاة المغرب. راجع: فلاح السائل/ ٤٢٧ و٣٦٤ و٣٢٤ ومفاتيح الجنان بعد تعقيبات الصبح ص ٢٢ ومفتاح الفلاح/ ١٩٥ ومصباح الكفعمي/ ٢٦.

(٢) * عن الامام الصادق عليه السلام: التعقيب أبلغ في طلب الرزق من الضرب في البلاد. التهذيب للشيخ الطوسي ج ٢ / ١٠٤
وعنه عليه السلام: ما عالج الناس شيئاً أشد من التعقيب. «نفس المصدر».
وعنه عليه السلام: إن فضل الدعاء بعد الفريضة على الدعاء بعد النافلة كفضل الفريضة على النافلة. الكافي ح ٣ / ٣٤١
وعن الامام الباقر عليه السلام: الدعاء بعد الفريضة أفضل من الصلاة تنفلاً. نفس المصدر.

١ ـ الاستغفار صباحاً ومساءاً سبعين أو مائة مرة[١]

٢ ـ التهليل مائة مرة[٢].

٣ ـ والأذكار المعهودة: **سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله**[٣] عشر مرات على الأقل في الصباح وعند الغروب وكذلك: **لا إله إلا الله وحده لا شريك له ـ إلخ**[٤]

---

(١) * أورد المحدث القمي عن الشيخ الصدوق بسند معتبر عن الباقر عليه السلام: من استغفر الله تعالى بعد صلاة الفجر سبعين مرة غفر الله له، لو عمل ذلك اليوم سبعين ذنباً وعلى رواية أخرى سبعمائة ذنب. الباقيات الصالحات/ تعقيب صلاة الصبح.
وأورد الشيخ الطوسي عن الإمام الصادق عليه السلام: من استغفر الله تعالى بعد صلاة العصر سبعين مرة غفر الله له سبعمائة ذنب. مصباح المتهجد/ ٦٥ تعقيبات صلاة العصر.
وأورد السيد ابن طاوس عليه الرحمة عن الإمام الصادق عليه السلام: من استغفر في أثر العصر سبعين مرة غفر الله له ذنوب خمسين عاماً فإن لم يكن غفر لوالديه، فإن لم يكن فلقرابته، فإن لم يكن فلجيرانه. فلاح السائل / الفصل الحادي والعشرون/ ٣٥١.
وقد نص على الاستغفار مائة مرة، الشيخ البهائي في مفتاح الفلاح / ٥٢ في التعقيب.

(٢) * عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ومن قال لا إله إلا الله مائة مرة كان أفضل الناس عملاً ذلك اليوم إلا من زاد. الكافي ج٢ / ٥٠٥ وانظر الوسائل ٢٥/ج٦

(٣) * من لا يحضره الفقيه ج١/ ٣٢٨ بإضافة: وأسأله من فضله، مروياً عن الامام الكاظم عليه السلام دون تحديد العدد. وانظر الوسائل ج٦/ ٣٤ وفيه: سبحان الله ربي العظيم وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، دون ذكر العدد.
وانظر المصباح للكفعمي / ٦٩ مع ذكر العدد «عشراً».

(٤) * له الملك وله الحمد يحيي ويميت، ويميت ويحيي، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. مفتاح الفلاح ـ الشيخ البهائي/ ٥٢ ومصباح المتهجد ط.ق/ ٤٩
وقال المحدث الجليل الشيخ عباس القمي: روى الكليني وابن بابويه والشيخ الطوسي وغيرهم بأسناد معتبرة عن الصادق عليه السلام أنه قال: فريضة على كل مسلم أن يقول قبل طلوع الشمس عشر مرات وقبل غروبها عشر مرات لا إله إلا الله، إلى آخر ما ورد أعلاه دون «ويميت ويحيي» ثم قال المحدث القمي: وفي بعض الروايات: يحيي ويميت ويميت ويحيي، وكلمة وهو حي لا يموت وردت في بعض الروايات وحذفت في عدة منها والكل حسن على الظاهر والعمل بالكل أحسن، وفي بعض الروايات: إن فاتك ذلك فاقضه قضاءً، وفي بعض الروايات ان ذلك كفارة=

٤ ـ ربي أعوذ بك، إلخ[(١)]

٥ ـ أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلها واحداً أحداً فردا صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً[(٢)].

=الذنوب. الباقيات الصالحات/ أدعية الصباح والمساء، وانظر الوسائل ج ٦ /٢٥ وفيه يميت ويحيي.

(١) ❊ لم أجد دعاءً أوله ربي أعوذ ولا رب أعوذ ويبدو أن المراد هو الإستعاذة التي ورد فيها أعوذ بك رب أن يحضرون ويؤكد ذلك أنها تقترن في الروايات عادة بالدعاء الذي تحدث عنه السيد الكربلائي قبل حديثه عما نحن فيه مباشرة، ومن هذه الروايات:
عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الدعاء قبل طلوع الشمس وقبل غروبها سنة واجبة مع طلوع الفجرو المغرب تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، ويميت ويحيي وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير ـ عشر مرات ـ وتقول: أعوذ بالله السميع العليم من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون، إن الله هو السميع العليم ـ عشر مرات ـ قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فإن نسيت قضيت كما تقضي الصلاة إذا نسيتها.
وفي رواية أخرى:
عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قل: أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وأعوذ بالله أن يحضرون، إن الله هو السميع العليم وقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحيي ويميت، وهو على كل شئ قدير قال: فقال له رجل: مفروض هو؟ قال: نعم مفروض محدود تقوله قبل طلوع الشمس وقبل الغروب عشر مرات فإن فاتك شئ فاقضه من الليل والنهار. الكافي ـ الشيخ الكليني ج٢ ص ٥٣٢.

(٢) ❊ مفتاح الفلاح/٥٣ وقد أورد عن الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله، من قال في كل يوم أشهد إلخ «. . .» كنّ له حرزا من الشيطان والسلطان ولم تحط به الكبيرة من الذنوب، وأضاف: لكن ليس فيما ذكره لفظ «فرداً». وقد أورد المحدث القمي عليه الرحمة عن الإمام الصادق عليه السلام: من هلل بعد فراغه من الصلاة قبل أن يزول ركبتيه «يحركهما من مكانهما» بهذا التهليل محا الله عنه اربعين ألف ألف سيئة وكتب له أربعين ألف ألف حسنة وكان مثل من قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة، ثم التفت إليّ «يقول الراوي» فقال: أما أنا فلا أزول ركبتي حتى أقولها مائة مرة، وأما أنتم فقولوها عشر مرات. ثم أورد التهليل المذكور في المتن وليس فيه «فرداً». ثم عقب المحدث القمي: وقد روي لهذا التهليل فضل كثير لا سيما إذا عقب به صلاة الصبح وصلاة العشاء وإذا قرأه عند طلوع الشمس وغروبها. الباقيات الصالحات ـ التعقيبات العامة. وهو مروي في الوسائل ج٦ / ٢٤ ومصباح الكفعمي/ ٦٥ مع ذكر العدد «عشرا».

٦ ـ الإستغفارات المنقولة عن السيد ابن طاووس رضوان الله عليه[١]

٧ ـ **أللهم أنت ربي لا شريك لك أصبحنا وأصبح الملك لله،** أو: **أمسينا وأمسى الملك لله**[٢].

٨ ـ الصلوات الكبيرة: **أللهم صل على محمد المصطفى والمرتضى علي، إلخ،**[٣] وتواظب إن شاء الله في كل ليلة جمعة وعصر جمعة على سورة القدر مائة مرة [٤]

وأهم من جميع الأمور المذكورة أن تكون في جميع الأوقات **ليلاً ونهاراً، نوماً ويقظة،** وفي جميع الأحوال وكافة الحركات والسكنات ملتفتاً إلى أن الحق **جل وعلا** حاضر وناظر بحيث لا تغفل

(١) * يبدو أن المراد بها الإستغفارات بعد صلاة العصر التي تقدم أنها منقولة عن السيد ابن طاوس، ولم أجد غيرها.

(٢) * عن رسول الله ﷺ: يا سلمان، إذا أصبحت فقل اللهم أنت ربي لا شريك لك أصبحنا وأصبح الملك لله. قلها ثلاثا وإذا أمسيت فقل مثل ذلك فإنهن يكفرن ما بينهن من خطيئة. مستدرك الوسائل، ج٥/ ٣٨١

(٣) * لم أجد صلوات كبيرة تبدأ بهذه العبارة، والصلوات الكبيرة المشهورة التي تبدأ آخر فقرة منها بما ذكر في المتن هي ما اورده الشيخ الطوسي عليه الرحمة في مصباح المتهجد بسنده إلى الامام العسكري عليه السلام وأولها اللهم صل على محمد كما حمل، وتبدأ الفقرة التالية منها بقوله: اللهم صل على علي أمير المؤمنين، مصباح المتهجد ط.ق ٣٥٧ وانظر جمال الاسبوع/ ٣٦٣، ومفاتيح الجنان ط.ق/ ٥٥٥ نقلاً عن المتهجد. وقد أورد في البحار عن المتهجد والبلد الأمين وجنة الأمان صلاة على المعصومين يؤتى بها بعد كل صلاة، إلا أنها مختصرة، لا ينطبق عليها عنوان الصلاة الكبيرة. البحار ٨٦/ ٤٢ وانظر مكيال المكارم ج٢/ ٧٠ ـ ٧٣

(٤) * أورد الشيخ الكفعمي في المصباح من قرأها كل ليلة جمعة مائة، لم ينافق أبدا ط.ق/ ٤٦٠ وقد أورد المحدث النوري في المستدرك عن الامام الكاظم عليه السلام: إن لله تعالى يوم الجمعة ألف نفحة من رحمته يعطي كل منها ما شاء، فمن قرأ بعد عصر الجمعة إنا أنزلناه في ليلة القدر مائة مرة وهب الله له تلك الألف ومثلها. المستدرك ج٦/ ٩٥

عن حضوره **جل سلطانه** آناً أو طرفة عين إذا أمكنك ذلك، ولا تنس هذا المسود الوجه في جميع الأحوال، واطلب هذا المضمون:

أتْلِفْنا بكأس الخمرة الوردية، وزدنا منها، فإن العالَم الفاني مصيره الدمار[١]

* وتواظب إن شاء الله تعالى تمام المواظبة على دوام التوجه والتوسل بحضرة الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي هو واسطة فيض الزمان وتهتم بذلك.

ـ وتقرأ بعد كل صلاة **أللهم عرفني نفسك، إلخ**[٢]

ـ وسورة التوحيد ثلاثاً هدية إلى ذلك العظيم [٣].

ـ ولا تترك دعاء الفرج **أللهم عظم البلاء، الخ**[٤] وتواظب ان شاء الله على:

(١) * مضمون بيت لحافظ، غزل/ ٣٩٦، والمعنى: كما أن مدمن الخمرة إذا عاقرها، واستحوذ عليه السكر، وتنبه إلى فناء الدنيا يصبح كل همه المزيد من الخمرة والسكر، فكذلك بل أولى منه بذلك ـ مع الفارق ـ من ذاق سكر الحقيقة واستبد به الوجد لرضى الله تعالى وقربه عز وجل، خاصة وانه موقن بفناء العالم، فهو يريد المزيد قبل فناء العالم ليصبح ممن أتى الله بقلب سليم والبيت بعد في معنى اللهم زدني فيك تحيراً ولا أريد الدخول في تبرير اعتماد هذا الاسلوب في الحقائق الإيمانية، ولا ادانته، فلهذا مجال آخر، وليست المستأجرة كالثكلى، ولا يستوي الأعمى والبصير، ولا الظل والحرور.

(٢) * ثمة دعاءان يبدءان بهذه العبارة، أحدهما قصير، يبدو أنه المراد، بقرينة بعد كل صلاة، وبقرينة ان الرواية التي تضمنته تضمنت الحث على المواظبة عليه، بينما اقتصر الحث في الثاني على عصر الجمعة، تجد الأول في كمال الدين للصدوق/ ٣٤٣ والغيبة للنعماني/ ١٦٦ والثاني في جمال الاسبوع/ ٥٢٣ ومكيال المكارم ج٢ / ٨٠ والكافي ج١ / ٣٣٧

(٣) * لم أقف على مستنده، ويكفي أنه رحمه الله حث على ذلك.

(٤) * تجد الدعاء بتمامه في مفاتيح الجنان ط.ق/ ١١٥ تحت عنوان دعاء الفرج للحجة، وهو يبدأ هكذا: إلهي عظم البلاء، وقد أورده في مكيال المكارم بصيغة اللهم عظم البلاء إلخ. نقلا عن جنة المأوى للمحدث النوري المدرج في ج ٥٣ من البحار، وأورد قصته المعروفة.

١ ـ دوام الطهارة **مهما أمكن**(١).

٢ ـ والنوم على طهارة (٢).

٣ ـ وتسبيح حضرة الزهراء عليها السلام عند النوم وبعد كل صلاة واجبة(٣).

٤ ـ قراءة آية الكرسي(٤).

٥ ـ والمواظبة على سجدة الشكر بعد الاستيقاظ(٥).

٦ ـ وقراءة الآيات المعروفة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ألخ(٦) عند الاستيقاظ لنافلة الليل مع كمال التوجه إلى المعنى والتفكر فيه والنظر في السماء والكواكب والآفاق.

٧ ـ ولا تترك دعاء الصحيفة بعد صلاة الليل(٧).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في شهر صيام سنة ١٣٢٧

---

(١) * انظر المستدرك ج١/٢٩٨ باب «. .» والكون على طهارة.

(٢) * انظر نفس المصدر /٢٩٦

(٣) * عن الامام الصادق عليه السلام انه سئل عن تسبيح الزهراء صلى الله عليها فقال: ألله أكبر حتى أحصاها أربعاً وثلاثين مرة، ثم قال الحمد لله حتى بلغ سبعاً وستين، ثم قال سبحان الله حتى بلغ مائة، يحصيها بيده «. .» الكافي ج٢/٣٤٢ وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام بسند معتبر: من سبح تسبيح فاطمة سلام الله عليها ثم استغفر غفر له وهو مائة على اللسان وألف في الميزان ويطرد الشيطان ويرضي الرب. المحدث القمي ـ الباقيات الصالحات ـ تعقيب الصلاة

(٤) * ورد الحث على قراءتها بعد كل صلاة، وقبل النوم، وفي السفر. والتوجيه أعلاه عام ينبغي الإلتزام به.

(٥) * يأتي في هوامش الرسالة التالية بعض التوضيح.

(٦) * آل عمران ١٩٠ ـ ١٩٤

(٧) * هو الدعاء الذي يبدأ بقول الإمام السجاد عليه السلام: أللهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود والسلطان. . من أدعية الصحيفة السجادية.

ومنه أيضاً دام عزه العالي

بسم الله الرحمن الرحيم

ينبغي لطالب حضرة الحق **جل وعلا** إذا أرد أن ينام أن يحاسب الأعمال والأفعال والحركات والسكنات الصادرة منه من استيقاظه في الليلة السابقة إلى ذلك الزمان بالتمام والكمال، يندم على المعاصي والأعمال غير اللائقة التي وقعت منه ويتوب توبة حقيقية، ويعزم أنه إن شاء الله تعالى لا يعود إلى ذلك مستقبلاً، بل إنه سيتلافاه في ما بعد ويتداركه، وليتذكر أن:

النوم أخ الموت[١].

و﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾.

فيجدد العهد بالإيمان والشهادتين والعقائد الصحيحة ويتمدد باسم الله على طهارة نحو القبلة **كما يجعل الميت في قبره**.

ويقول بمقتضى الآية الشريفة وهو يسلم روحه إلى حضرة الحبيب **جل وعلا**:

هذه الروح التي أوْدعها الحبيب استعارة لحافظ.

لا بد وأن أرى وجهه يوماً فأسلمها له [٢]

ويشتغل بالتوجه إلى حضرة الحق **جل وعلا** وتسليم نفسه إليه

---

(١) * عن الصادق عليه السلام «المستدرك ٥/١٢٣».

(٢) * مضمون بيت لحافظ وقد صرح باسمه، غزل ٣٥١.

حتى يختطفه النوم وليلتفت إلى أنه إذا نام فسيكون بشراشر وجوده من الروح والبدن في قبضة قدرة الحق **جل وعلا**، إلى حد أنه سيكون غافلاً حتى عن نفسه، ويفقد الشعور، وإذا لم يتكرم الله تعالى بإعادة الروح إلى البدن، فإن ذلك سيكون موتاً حقيقياً كما يقول سبحانه في الآية الشريفة: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾.

ما أكثر الذين ناموا ولم يستيقظوا، لم يرفعوا رؤوسهم إلى يوم القيامة، فلا يأمل إذاً العودة إلى الدنيا ثانية، إلا بتفضل جديد من حضرة الحق جل وعلا بإعادة روحه إلى البدن، فليقل بلسان الحال والمقال:

﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ﴾.

لذلك، فعندما يستيقظ من النوم ليذكر أولاً نعمة إعادة الروح التي هي بمنزلة حياة جديدة من حضرة الحق جل وعلا، فيحمد الله سبحانه ويشكره على هذه النعمة كما أمر، فليسجد سجدة الشكر على هذه النعمة كما قال حضرة رسول الله ﷺ[1] وليلتفت إلى أن

(١) * قال العلامة المجلسي: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ كان في سفر يسير على ناقة له إذ نزل فسجد خمس سجدات، فلما ركب قالوا: يا رسول الله إنا رأيناك صنعت شيئا لم تصنعه؟ فقال: نعم استقبلني جبرئيل فبشرني ببشارات من الله عزوجل فسجدت لله شكرا لكل بشرى سجدة، ثم قال:
بيان: يدل على استحباب سجدة الشكر عند تجدد النعم مطلقا ولا خلاف فيه بين الاصحاب.
أضاف: قال الشيخ البهائي(ره) أطبق علماؤنا رضى الله عنهم على ندبية سجود الشكر عند تجدد النعم، ودفع النقم، وكما يستحب لشكر النعمة المتجددة فالظاهر كما قاله شيخنا في الذكرى: أنه يستحب عند تذكر النعم، وإن لم تكن متجدده، وقد أجمع علماؤنا على استحباب السجود=

الآلاف المؤلفة طلبت منه هذا الطلب ولم تسمع في الجواب إلا: ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾. لقد شمله منتهى الرحمة من الحق جل وعلا، حيث لبى طلبه وأرجعه ثانية إلى هذه الدنيا، فليعتبر هذه الحياة الجديدة غنيمة، ويعقد العزم لتكون إن شاء الله تجارة رابحة، حتى إذا ما رجع مرة أخرى إلى هذا السفر تكون «هذه التجارة» مدد حياته الأبدية.

* ولا يخفى على طالب الحق **جل وعلا** أن سائر الأشياء والموجودات غير حضرة الحق جل وعلا في معرض الفناء والزوال.

ولهذا فهي غير لائقة، أن تُطلب. **الممكن بما هو ممكن** ليس شيئاً، لا موجودَ نافعٌ ومفيد غير حضرة الحق **جل وعلا**.

لأن كل ما تفرضه غيره فلأنه ممكن، فهو محتاج من جميع الجهات إلى حضرته **جل وعلا**، وفي قبضة قدرته جل وعلا.

ولهذا فليس أي موجود غيره لا في الأرض ولا في السماء ولا في الدنيا ولا في الآخرة لائقاً بأن يطلبه العاقل والعالم، الذي يُطلب هو حضرته **جل وعلا**(١).

=أيضاً عقيب الصلاة شكراً على التوفيق لادائها، ويستحب أن يكون عقيب التعقيب بحيث يجُعل «أي سجود الشكر» خاتمته، وإطالته «أي التعقيب» أفضل. ويستحب فيه افتراش الذراعين وإلصاق الصدر والبطن بالارض. وهل يشترط السجود على الأعضاء السبعة أم يكتفي بوضع الجبهة؟ كل محتمل، وقطع في الذكرى بالأول، وعلله بأن مسمى السجود يتحقق بذلك وأما وضع الجبهة على ما يصح السجود عليه، فالأصل عدم اشتراطه انتهى. بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ج٣٨ ص ١٩٧.

(١) إلهي، يطلب الزاهد منك الحور، فانظر إلى قصوره، يهرب إلى الجنة عبر بابك، انظر إلى ضحالة إدراكه وشعوره، الأصفهاني. «مضمون بيت».

وإذا فرض أن شخصاً عاقلاً طلب شيئاً غيره فبالضرورة «بالبداهة» واليقين لا يكون ذلك مطلوباً له بالذات، بل سيكون مطلوباً بالغير كمطلوبية الدين والإيمان والآخرة ومحبته ومعرفته جل وعلا وحبيبه كالنبي ﷺ وأئمة الهدى عليهم السلام والعبودية والطاعة بالنسبة إليه وإليهم عليهم السلام، والرضا والتسليم وسائر الأخلاق المحمودة، والملكات المرضية فإنما هي محبوبة ومطلوبة ومفيدة باعتبار إضافتها إلى حضرته هو **جل وعلا،** لا بالذات وفي نفسها.

لهذا ينبغي للعاقل أن يصرف النظر والهمة عن جميع الأشياء غيره[1].

وبمقتضى ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ يحصر همته فيه ويجعله بذاته ونفسه المحور والمدار، قائلاً:

نحن لا أمنية لنا منك إلا أنت.

فأعْطِ الحلوى لمن لم يتذوق المحبة.

الحبيب لنا، وكل نعمة الفردوس لك[2]

إذاً، لا يكن له «غنيمة» في هذه الحياة الجديدة إلا طلبه **جل وعلا،** وليكن ناظراً إليه **جل وعلا،** في جميع الآنات واللحظات

(١) أعقِدُ مصالحة شاملة مع الزاهدين: أن لهم جميع خمر الكوثر، شرط أن لا يأخذوا من يدي هذا القدح. الأصفهاني. «مضمون بيت». * وقريب منه لحافظ: زاهد شراب كوثر وحافظ بياله خواست تا درميانه خواست كردكار جيست. الزاهد يطلب شراب الكوثر وحافظ القدح، والحَكم ما يريده من بيده التقدير.

(٢) * مضمون بيت ومصرع، البيت الأول لسعدي، غزل٦١.

والحركات والسكنات، وليعلم في جميع الأوقات أنه حاضر وناظر، إلى وقت النوم من الليلة القادمة وهكذا.

* ومن هذا البيان علم أن أقبح القبائح لمثل هذا الشخص صرف الهمة إلى **المشتهيات والمستلذات** وأمور المعاش كالبطن والفرج **وغير ذلك**.

ولذا ينبغي أن يغفل نهائياً عن الأمور المذكورة، ولا يلتفت إليها بأي وجه من الوجوه، وإذا حصل الإلتفات إليها من باب ضعف النفس قهراً، فحيث أنه لا هو ولا غيره يستطيع أن يفعل شيئاً، فليسلم أموره ويفوضها إلى حضرته **جل وعلا**.

حيث أن بذل الجهد لا يقدم ولا يؤخر، فسلم أمورك إلى الله المدبر(١)

على العبد العبودية، والرزق وسائر الشؤون في عهدة سيده. وأقبح القبائح ترك «العبد» شؤون العبودية والاهتمام بشؤونه، فمن اللازم والواجب على كل طالب حق، كمال الإهتمام بالإطاعة والعبودية، والذهابُ إلى محضره ومجلسه الملوكي **جل وعلا** بكمال الشوق والتضرع والتذلل والابتهال، التوجه إلى حضرته بالقلب، وحضوره وظهوره ومكان تجليه **جل جلاله** هو القلب، بل ليس بين جميع الموجودات مظهر ومجْلى «مكان تجلٍّ» له **جل وعلا** أتمّ وأكمل من قلب المؤمن، بحيث:

---

(١) * مضمون بيت.

لا يسعني أرضي ولا سمائي بل يسعني قلب عبدي المؤمن

لم تستطع السماء أن تحمل حمْلَ الأمانة، فجاءت القرعة بإسمي أنا المجنون[١].

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

وليكن تمام إهتمام الطالب بعد التوجه إلى حضرة الحق **جل وعلا** الذي يعبر عنه **بالذكر،** بمعرفة القلب والنفس الذي يعبر عنه **بالتفكر** في النفس: **من عرف نفسه فقد عرف ربه**

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

و ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ﴾.

لهذا فلا شأن لطالب الحق بغير القلب والمحبوب.

نعم، من باب المقدمة يلزم أن ينظف قلبه ويطهره من الأرجاس والأنجاس التي هي الأخلاق الرذيلة بل مما سوى الحق **جل وعلا** وهو ما يعبر عنه **بالتخلية** وتزيين القلب وصقله بالطاعات والعبادات والصفات الحسنة والأخلاق الكريمة حتى يصبح أهلاً لظهور حضرة الحق **جل وعلا** وحضوره، وهو ما يعبر عنه **بالتجلية والتحلية**.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

---

(١) ❊ مضمون بيت لحافظ، غزل١٨٤. تقدم.

نفسي فداك، إذا عملتَ فهذا المقدار كافٍ، وإذا لم تعمل فليبق الألم ولتبق الغصة في القلب، فذلك أفضل من أن يُظهر الشخص العبث، ولا يصغي أحد إلى آلام قلبه.

الأمل أن لا تنسى في الخلوات مع الحبيب هذا المسود الوجه أمام الله، وأن تظهر شوق هذا المسود الوجه إلى أعتابه السامية **جل وعلا**.

حرره الجاني أحمد الموسوي(١)

(١) ❊ في نسخة (أ) إضافة هنا بالعربية: متع الله المسلمين بطول حياته وبقائه بمحمد وآله صلوا«ة» الله عليهم أجمعين.

ومنه أيضاً مد ظله العالي

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم الأخ في الإيمان جناب السيد فلان **سلمه الله تعالى**، أنه إذا ترك شخص الطلب «طلب معرفة الله والوصول إليه سبحانه» بعد الدخول في العمل وبعد التنبه والاستبصار، ورجع إلى حالته السابقة أو اتخذ «طلب المعرفة» وسيلة تحصيل دنياه والعياذ بالله فإنه سيكون أسوأ بمراتب ممن لم يدخل في هذا الطريق أبداً[١].

لأن هذا بمنزلة الكفر بعد الإيمان، وهذا الأمر بمقتضى الوعد الإلهي وتجربة أهل الله، سبب للخذلان في الدنيا والخسران في الآخرة كليهما معاً.

المأمول إذاً من ذلك المعظم أن لا يترك ـ بعد الالتفات إلى سوء حاله وعيوب نفسه ـ الاشتغال، والعمل، ولا تقصر همته ولا يضعف عن الالتجاء إلى حضرة الحق **جل وعلا إن شاء الله تعالى**.

وحضرة الحق **جل وعلا** سيمُنّ بالخلاص والنجاة في الدنيا قبل

(١) ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين.
كل من يهرب من خراج الشاه، سيصبح فريسة غول الصحراء «مضمون بيت».
إذا ديست النفس فحذار أن تأمن شرها، فإن سم الدبور يزداد إذا مرغ بالتراب. «مضمون بيت».
الأصفهاني.

الآخرة، وحاشا أن يؤيسه ويقطع رجاءه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾.

كل من طرق باباً ولم ينثن فلابد أن يفتح له ذلك الباب في النهاية.

من دق باباً ولجَّ، ولجَ.

وطالب الحق **جل وعلا،** لا يشكل له الموت أية خسارة، لأنه ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾ بل سيكون ذلك وصولَه إلى المطلوب بشكل أسرع **كما لا يخفى.**

وإذا تركت «طلب المعرفة» والعياذ بالله فأما في الدنيا، فإن الشيطان سيسلَّط عليك بعد الرجوع، إلى حد أن مرضك لا يعود قابلاً للعلاج مرة أخرى ولا تنفعه المراهم، وأما بعد الموت فإن الحسرة والندامة والغصة والأسف تحرق قلبك وروحك إلى حد أن نار جهنم لا تستطيع أن تبلغ درجةَ إحراقها، ولا تشق غبارها:

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ﴾.

إني أقول لك ما يتحقق به البلاغ، ولك أن تتعظ من كلامي أو تتبرم[١].

دونت هذه الكلمات بمقتضى **المأمور معذور** من باب التذكار.

(١) * مضمون بيت لسعدي مواعظ «بند وموعظه».

أرجو من ذلك العظيم أن لا ينسى في **مظانّ** استجابة الدعوات والخلوات مع حضرة قاضي الحاجات هذا المسودَّ الوجه بين يدي الله، ولا يتضايق من الترحم على هذا المسكين المحتاج في الحياة وبعد الممات.

حرره أحمد الموسوي الحائري

في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٢٦

وله أيضاً عليه الرحمة والرضوان[١]

باسمه تعالى

يحيا الحبيب، وليمت كل من عداه

يا هدهد الصبا أرسلك إلى سبأ، فانظر من أين إلى أين؟

من الظلم لطائر مثلك أن يبقى في مجمع أتربة الدهر.

لذا أرسلك من هنا إلى معدن الوفاء.

في طريق العشق لا وجود لمرحلة القرب والبعد.

أراك عياناً، وأرسل إليك الدعاء.

وفي كل صبح ومساء أرسل إليك قافلة من الدعاء بالخير مع ريح الشمال وريح الصَّبا

أيها الغائب عن النظر، الذي صرت جليس القلب.

أدعو لك، وأرسل إليك التحيات[٢]

نفسي فدى الحقيقة التي لا تعرف عنها شيئاً، البرنامج العملي هو أن تترك الأنا والتفرد بالرأي، لقد ضاقت روحي ذرعاً من كثرة القول إن طريق النجاة والخلاص في الاستغراق في الذكر الإلهي والتفكر في معرفة النفس، ذكرك وفكرك دليلاك.

---

(١) * في الأصل: صورة التعليقة المباركة لسيدنا ومولانا الحائري روحي له الفداء.

(٢) * مضمون خمسة أبيات لحافظ، غزل ٩٠.

يا من اسمه دواء وذكره شفاء.

دواؤك فيـك ولا تـبـصـر وداؤك منـك ولا تـشـعـر[(١)]

أنت نفسك حجاب نفسك يا حافظ فقم من البين[(٢)].

جنابك تهتم بكل شيء إلا بهذه الكلمة، فما دام الأمر كذلك:

أنت والمسبحة والمصلى وطريق الزهد والورع.

وأنا والحانة والناقوس وطريق الدير والكنيسة! [(٣)]

نعم، جناب الحاج ميرزا فلان سلمه الله إن شاء الله خرج من عالم الماء والطين وحصل على تخصص معرفة النفس.

والسيد الميرزا فلان أيضاً ما شاء الله مشغول بشكل جيد، وبحسب الظاهر يؤمل له التقدم سريعاً إن شاء الله.

نعم، كنت قد كتبتَ: أكتبْ شيئاً في التضرع والإبتهال حتى لا تبقى الكتابات ناقصة، لا أدري، أضْحك على هذا الكلام أم أبكي، يا ليت أنه كان بالإمكان أن يسطر ذلك على قلبك المبارك ويكتب، وإلا، فعلى الورق كثيراً ما سطروا وكتبوا.

نفسي فداك، هذه المسألة «التضرع» وباقي مسائل الآخرة ليست اكتسابية، بل هي تذوقية، **التضرع والابتهال** ينشآن من ألم القلب وتحرقه، إحصل على الألم، يأتك تلقائياً بالتضرع والإبتهال.

---

(١) في المصدر نسبته إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع ثلاثة أبيات، الثاني منها مشهور مع هذا البيت. أتزعم أنك جرم الخ.

(٢) ❊ مضمون بيت لحافظ.

(٣) ❊ مضمون بيت.

أقِلَّ من طلب الماء، تحصل على العطش.

عندها يصبح ماؤك مدراراً [١]

هل سمع أحد أن امرأة مات إبنها تحتاج إلى من يعلمها كيف تبكي؟ أو أن أحداً يعلم المرأة الحامل كيف تكون الولادة؟

نعم، النائحة المستأجَرة أو التي تريد أن تمثل دور الولادة، هاتان محتاجتان إلى التعليم، ومما تفضلت به جنابك بالإضافة إلى سائر المطالب يعلم أنك لم تنصرف إلى الذكر والفكر حتى تضطرم نار الفراق، وكذلك قصرت في المجاهدة واغتررت، وإلا فإن المجاهدة الصادقة تثمر العلم الوجداني بقبائح الأعمال والأفعال والسكنات والأخلاق والملكات. وهذه «عدم الذكر والفكر، والتقصير في المجاهدة» من دناءة مرتبة ذات النفس التي هي حقيقة جهنم الروحانية، إذا رأى شخص نفسه فعلاً وحقيقة في جهنم، فإنه لن يكون محتاجاً إلى تعلم التضرع والابتهال **فهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون**[٢].

والطريف الذي أثار تعجبي أنك مع كل عدم انتباهك هذا، من أين فهمت جيداً هذا الأمر، وهو «حماريّة» هذا الحقير، التي فهمتَها جيداً فأفرحتَ قلبي برشوةِ «حتى لا تبقى الكتابات ناقصة!».

---

(١) ❊ مضمون بيت لمولوي. المراد كما أوضحه في المتن هو الإقلال من البحث الظاهري، والتوجه إلى البحث في الباطن الذي هو الطلب الحقيقي، وفي ديوان مثنوي بيان حاصله أن الإضطرار شاهد الإستحقاق «أمن يجيب المضطر».

(٢) ❊ من خطبة المتقين للمولى أمير المؤمنين عليه السلام.

رغم كل هذا، تقول أيضاً: لم يتحقق لي كشف وشهود، ولم يحصل لي علم بحقائق الأشياء، إبق في هذا الخيال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[١]

---

(١) * في نسخة (أ) بعد هذه الرسالة ورد التالي: انتهى كلام سيدنا ومولانا وملاذنا وهادينا وحبيبنا وطبيبنا روحي وأرواح أعزتي له الفداء أدام الله بقاه، أللهم ارزقنا زيارته وزيارة أجداده في الدنيا وشفاعتهم في الآخرة، بحقه وبحق أجداده صلواتك عليهم أجمعين آمين يا رب العالمين.

بسم الله تعالى

سؤال[١]:

يقول الشيخ العطار في منطق الطير:

إنه دائماً الملك المطلق المستغرق في كمال عزه.

لم يخرج عن الإستغراق «في كمال عزه» فكيف يدركه العقل[٢]

لا نفهم معنى البيت الثاني، فتفضلوا ببيانه بالتفصيل.

* * *

جواب المرحوم الآخوند الخراساني قدس سره:

بسم الله الرحمن الرحيم

حيث أنه قائم بذاته، فلا حاجة له إلى المكان، إذاً لا يصل عقل الإنسان وخياله إلى حيث هو، كما أن العقل لا يصل إلى ذاته ولا يدركه، ذلك لأنه لا يوجد شيء في ذلك المقام غير الذات الأقدس، **كان الله ولم يكن معه شيء والآن كما كان**[٣].

ولا يتسع المقام لإطالة الكلام أكثر من ذلك.

محمد كاظم الخراساني[٤]

---

(١) * تجد في المقدمة توضيحاً وافياً حول هذا السؤال وتداعياته.

(٢) * مضمون بيتين للشيخ العطار، منطق الطير.

(٣) * قال النبي ﷺ: كان الله ولم يكن معه شيء، وقال بعض عارفي أمته: والآن كما كان. «توحيد عيني/للعلامة الطهراني، عن جامع الأسرار للسيد حيدر الآملي». وأورد رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام ورد فيها: وهو الآن كما كان. نقلاً عن توحيد الشيخ الصدوق/١٧٨

(٤) * في نسخة (أ) إضافة مد ظله.

جواب آخر «للسيد أحمد الموسوي»

بسم الله الرحمن الرحيم

الهدف من هذين البيتين إقامة البرهان على عدم بلوغ العقل ذلك المقام الشامخ **جل وعلا،** بطريق اللِم الذي هو الاستدلال بالعلة على المعلول، حيث قد تقرر في محله أن وجود الأشياء في علم الحق متقدم على وجودها في الخارج، بل هو من مباديء وجودها في الخارج، ومعلوم أن الوجود العلمي للأشياء «إنما هو» بإضافة الإشراقية العلمية للحق **جل وعلا،** ومعلوم أن عدم العلة علة لعدم المعلول.

وحاصل معنى البيتين أنه **جل وعلا** في مقام عزه الشامخ لا يراه غيره ولا يدركه، ولا يخرج عن ذاته، وهذا هو علة عدم الأشياء في ذلك المقام المنيع، إذاً كيف يستطيع العقل **فضلاً عن غيره** أن يصل إلى ذلك المقام المنيع، والحال أن فناءه واضمحلاله سيكونان قبل الوصول إلى ذلك المقام.

قال علي بن الحسين عليهما السلام: واستعلى ملكك علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده، ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتين. ضلت فيك الصفات، وتفسخت دونك النعوت، وحارت في كبريائك لطائف الأوهام[1].

فلا يدركه ولا يراه إلا هو ولا يعلم ما هو إلا هو.

(١) ❊ الدعاء الثاني والثلاثون في الصحيفة السجادية.

لطيفة:

الأمر كما ذكر، ولكن يا إلهي، لبيك وسعديك، إذا كنت أنت من يقبض الروح، فمن تراه لا يُسْلِمها؟ نحن نريد أن نعرفك بك، ونريد أيضاً أن نراك بك. إذاً، لن يكون من يراك «رائيك» غيرك، ولن يكون عارفك غيرك.

بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدرِ ما أنت[1].

الجاني أحمد الموسوي الحائري[2]

(١) * من دعاء السحر للإمام السجاد عليه السلام، المعروف بدعاء أبي حمزة.

(٢) * في نسخة (أ): دامت بركاته، وأطال الله أيام إفاضاته، ومتع الله المسلمين بطول بقائه بمحمد وآله الطاهرين، آمين آمين.

من رسائل آية الله الشيخ حسينقلي الهمداني

«١»

كتبها إلى أحد علماء تبريز(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

لا يخفى على الإخوة في الدين أنه لا طريق إلى القرب من حضرة ملك الملوك جل جلاله غير الالتزام بالشرع الشريف في جميع الحركات والسكنات والتكلمات واللحظات وغيرها.

(١) * في نسخة (ب): رسالة الآخوند الشيخ حسينقلي الهمداني، هو الله تبارك وتعالى شأنه. من رشحات قلم، وما سعد برقم مجمع الفضائل والمعالي صاحب النفس الزكية والأنفاس القدسية، الذي قلبه الملكوتي مشكاة انوار العرفان وصدره القدسي مخزن أسرار السبحان، علم الأعلام، والبحر القمقام، وشمس الظلام، العالم الزاهد، الآخوند ملا حسينقلي الهمداني قدس سره العزيز. كتب هذه التعليقة إلى أحد علماء تبريز. ولم ترد في نسخة (أ) بداية ماتقدم من قوله رسالة إلى قوله شأنه، وورد الباقي من رشحات الخ، مع إضافة بعد مجمع الفضائل والمعالي هي: ومفخر الأفاضل والأعالي وإضافة بعد اسم الشيخ عند كلمة الهمداني هكذا: الهمداني المولد والغروي المسكن والحائري المدفن قدس سره العزيز.

والسيرُ بالخرافات الذوقية ـ وإن كان الذوق في غير هذا المقام جيداً [١] ـ **كما «هو» دأب الجهال والصوفية خذلهم الله جل جلاله، لا يوجب إلا بعداً**[٢] حتى أن الشخص إذا التزم بعدم حف الشارب وعدم أكل اللحم[٣] فإن عليه أن يفهم ـ إذا كان مؤمناً بعصمة الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم ـ أنه سيبتعد عن حضرة الأحدية[٤]. وهكذا في كيفية الذكر **بغير ما ورد عن السادات المعصومين عليهم السلام**.

بناءً على هذا يجب أن يقدم الشرع الشريف ويهتم بكل ما جاء الاهتمام به في الشرع الشريف.

وما استفدته ـ أنا الضعيف ـ من العقل والنقل هو أن أهم الأشياء لطالب القرب الجد والسعي التام في ترك المعصية.

وما لم تؤدِ هذه الخدمة فلا ذكرك ينفع حال قلبك بأي نفع، ولا فكرك [٥] ذلك لأن خدمة السلطان من شخص عاصٍ للسلطان منكرٍ له

---

(١) * كالذوق العرفي، والفقه، والأدب إلخ.

(٢) خاطب الخطب، دع الدعوى فما بالرُّقى ترقى إلى وصل رقى
«الأصفهاني»

* لم أعثر على قائله، والبيت بمعنى: ولا بد دون الشهد من إبر النحل، ولعله: اخطب الخطب إلخ، والرقى جمع رقية، بمعنى ما يقرأ على المصاب لدفع الأذى، ووصل رقى بمعنى الوصل الذي ارتفعت مرتبته ومنزلته، أو تكون رقى بمعنى «رقياً».

(٣) * يستحب حف الشارب، أي حلقه، ويكره ترك أكل اللحم، ولا مانع من الإقلال.

(٤) مطلقاً، ليس ذلك معلوماً. الأصفهاني. * ـ يبدو أن المرحوم الأصفهاني يريد أن يقول إن المخالفة في المستحبات أو المكروهات لا تعني بالضرورة البعد عن الله تعالى، بالنسبة لمن كان مؤمناً بعصمة الأئمة الأطهار عليهم السلام، فكأن سلامة المعتقد، تعوض ذلك في بعض الحالات.

(٥) قال رجل للباقر عليه السلام: يابن رسول الله، أنا رجل مبتلى بالنساء، فهل تأذن لي أن أزني يوماً وأصوم يوماً؟ فأخذ الباقر عليه السلام بعضده وقال: يا أخا العرب، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ «عدة الداعي» الاصفهاني.

* ورد الحديث في عدة الداعي/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥ باختلاف كبير، ولعله أورده عن مكان آخر في العدة.

لا تنفع، ولست أدري أي سلطان أعظم من هذا السلطان عظيم الشأن وأي نقار «نزاع» أقبح من النقار معه.

فافهم مما ذكرت أن طلبك المحبة الإلهية مع كونك مرتكباً للمعصية أمر فاسد جداً، وكيف يخفى عليك كون المعصية سبباً للنفرة، وكون النفرة مانعة الجمع مع المحبة، وإذا تحقق عندك أن ترك المعصية أول الدين وآخره، ظاهره وباطنه، فبادر إلى المجاهدة، واشتغل بتمام الجد بالمراقبة من أول قيامك من نومك، في جميع آناتك إلى نومك، والزم الأدب في مقدس حضرته، واعلم أنك بجميع أجزاء وجودك ـ ذرة ذرة ـ أسير قدرته. وراعِ حرمة شريف حضوره، واعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والتفت دائماً إلى عظمته وحقارتك، ورفعته ودناءتك، وعزته وذلتك، وغناه وحاجتك، ولا تُغفل شناعة غفلتك عنه جل جلاله، مع التفاته إليك دائماً، وقم بين يديه مقام العبد الذليل الضعيف، وتبصبص تحت قدميه بصبصة الكلب النحيف، أولا يكفيك شرفاً وفخراً أنه أذن لك بذكر اسمه العظيم بلسانك «الملوث» الذي نجسته قاذورات المعاصي.

فيا أيها العزيز، لأن هذا الكريم الرحيم جعل لسانك مخزن جبل النور، يعني ذكر الإسم الشريف، فمن قلة الحياء تلويث مخزن السلطان بنجاسة الغيبة والكذب والفحش والأذية وغيرها من المعاصي وقاذوراتها. يجب أن يكون محل مخزن السلطان مليئاً بالعطر وماء الورد، لا المجلس المملوء بالقاذورات. ولا شك أنك إذا لم تكن دقيقاً في المراقبة فإنك لن تعلم أية معاصٍ ترتكبها بجوارحك السبعة «الأذن واللسان والعين واليد والرجل والبطن والفرج» وأية نيران

تضرمها، وأي فساد تلحقه بدينك، وأية جراحات منكرة تثخن بها قلبك بسيف لسانك وسنانك، إذا لم تكن قد قتلته فذلك جيد جداً.

وإذا أردت إيضاح تفاصيل هذه المفاسد فإن الكتاب لا يتسع لذلك، وماذا يمكنني أن أذكر في ورقة، أنت لم تطهر بعدُ جوارحك من المعاصي، فكيف تتوقع أن أكتب لك شيئاً في أحوال القلب. إذاً، **البِدار البِدار إلى التوبة الصادقة، ثم العجل العجل في الجد والمراقبة.**

والخلاصة، بعد السعي في المراقبة:

طبعاً لا يخسر طالب القرب يقظة السحر وقيامه، أقلاً: ساعة، ساعتين، قبل طلوع الفجر إلى مطلع الشمس، وليصلِّ صلاة الليل مع الآداب وحضور القلب.

وإذا زاد وقته فليشتغل بالذكر أو الفكر أو المناجاة، لكن يجب أن ينشغل مقداراً معيناً من الليل بالذكر بحضور قلب.

ولا يخلو في جميع حالاته من الحزن، إذا لم يكن لديه فليحصله بأسبابه[١].

وبعد الفراغ، ليشتغل بتسبيح سيدة النساء عليها السلام.

وليقرأ سورة التوحيد اثنتي عشرة مرة.

وعشر مرات **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك «وله الحمد، يحيي ويميت، ويميت ويحيي، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير».**

(١) ❊ الحزن الممدوح هو الناشيء من التفاعل مع الأمور بواقعية تقتضي حمل هم الآخرة، أكثر من هم الدنيا، فإذا رأى الإنسان أن نظرته وسلوكه يفتقران إلى الواقعية، أحزنه ذلك، والحزن المذموم، التلهف على زائل، وهو نتيجة انعدام الوزن والرؤية.

ومائة مرة **لا إله إلا الله**.

والإستغفار سبعين مرة.

وليتلُ قدراً من القرآن الشريف.

وليقرأ طبعاً دعاء الصباح المعروف، **أعني: يا من دلع لسان الصباح إلخ**.

وأن يكون دائماً على وضوء.

وإذا صلى بعد كل وضوء ركعتين فذلك جيد جداً.

وليلتفت كثيراً أن لا يصل أذاه إلى غيره بأي وجه من الوجوه.

وليسعَ سعياً بليغاً في قضاء حوائج المسلمين، **لا سيما** العلماء، **ولاسيما اتقياءهم**.

وليجتنب طبعاً، طبعاً، طبعاً، كل مجلس هو مظنة الوقوع في المعصية.

بل إن مجالسة أهل الغفلة ـ دونما شغل ضرورة ـ مضرة، حتى إذا كانت خالية من المعصية.

كثرة الاشتغال بالمباحات، والإكثار من المزاح، وقول اللغو[(١)] والاستماع إلى الأراجيف[(٢)] تميت القلب.

---

(١) * اللغو في اللغة ما لا يعتد به من كلام وغيره، والظاهر أنه في الشرع كل عمل لا فائدة منه، ولا هدف حقيقي له، ومن هنا يمكن القول إن تفسيره في الروايات بالكذب والغناء وغيرهما تفسير بالمصداق، يدل عليه ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: والذين هم عن اللغو معرضون قال: أن يتقول الرجل عليك بالباطل، ويأتيك بما ليس فيك، فتعرض عنه لله. «تفسير نور الثقلين ج ٤ / ١٣٣ وج ٣ /٥٢٩».

(٢) * الأراجيف: مفردها الإرجاف وهو الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب. «المعجم الوجيز».

وإذا انشغل الإنسان بالذكر والفكر بدون مراقبة فسيكون ذلك بلا فائدة.

لا يصح الإنخداع بخديعة التوجه «الخشوع» الناشيء من الذكر غير المقترن بالمراقبة(١).

لا طاقة لي على المزيد.

ألتمسكم الدعاء جميعاً، لا تنسوا هذا الحقير كثير التقصير.

وليقرأ طالب القرب سورة القدر ليلة الجمعة مائة مرة.

وعصر الجمعة مائة مرة.

ومن جملة الأبواب العظيمة الحب في الله جل جلاله والبغض في الله جل جلاله. **وقد عقد له في الوسائل وغيرها من كتب الأخبار باباً مستقلاً فارجع إليها لعلك تعرف عظمته وتأخذ لنفسك نصيباً منه.** لا شك أن المحبوب الأول هو الذات الأقدس الكبريائية **جل جلاله بل وكل محبة لا ترجع إلى محبته فليست بشيء**، ثم بعده يجب أن يحبَ كل شخص يحبُ هذا السلطان العظيم الشأن أكثر. فأول محبوب بعد واجب الوجود هو الوجود المقدس، خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وآله، **ثم بعده**(٢) **أمير المؤمنين** عليه السلام **ثم الأئمة**

(١) ❊ إذا لم يكن المسلم دائم المراقبة، وأدى بعض المستحبات فخشع قلبه فيها ـ أو في الواجبات ـ فإن هذا الخشوع والتوجه إلى الله تعالى يمكن أن يشكل مدخلاً للشيطان إلى قلبه وحيلة له تنطلي عليه، فيرضى عن نفسه، والحال أنه غارق في بحر التقصير.

(٢) الحقير «أنا» لا أرضى بهذا التعبير، وهو أن يفصل بين حضرة الخاتم وحضرة الولي بكلمة ثم بل لو عبر بهذا النحو: خاتم الأنبياء وأمير المؤمنين لكان أفضل، لأنه يمكن من هذه العبارة فهم الإتحاد أولاً، وثانياً قد ذكر فيها حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله أولاً وبعده حضرة أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا التقدم الذِّكري يشعر بالتقدم. =

المعصومون عليهم السلام ثم الأنبياء والملائكة، ثم الأوصياء، ثم العلماء والأولياء.

= والسبب في تعبيري بأني لست راضياً بهذا التعبير أني فهمت عدم الرضا هذا من كلماته التي تفضل بها، ولا يخفى هذا على من تأمل في كلماتهم بنظر التحقيق والتدقيق.
نسبة كلٍ من النبي والولي إلى الآخر، إثنان، وواحد كاللسان والقلم، لأن أوصاف محمد في علي، فإذا قلت يا محمد فكأنك قلت يا علي. «مضمون بيتين». وإذا قال قائل: لقد ورد التعبير بـ«ثم» في الأخبار في بعض الموارد: «ثم بعده» قلنا: إن المراد من ذلك هو الزمان اللاحق، لا تنزُّلُ المرتبة كما ورد: ثم بعده الحسن ثم الحسين، في حين أنه لاخلاف في المساواة بين حضرة المجتبى عليه السلام وسيد الشهداء عليه السلام، بلى، إن في هذين الموجودين المباركين رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام اتحاداً لا وجود له في العالم في مكان آخر، أي إن أول اثنين هما واحد، هذان الوجودان المباركان، «كذا» ولنعم ما قال:
من أنا؟ ليلى، وليلى؟ أنا، نحن روح حللنا بدنين «مضمون بيت». « * وهو أدق من معنى: أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا» تعلم تلك العين التي هي قلب منير، أنه لا فرق بين ليلى وبيني « * مضمون بيت لمولوي وفي ديوانه حسب المصدرالعقل بدل العين». وما ورد في حديث أننا كنا نوراً في صلب آدم، إنتقل حتى وصل إلى عبد المطلب، ثم انقسم قسمين أحدهما في صلب عبد الله والآخر في صلب أبي طالب، شاهد على هذا المعنى « * تجد الحديث في البحار ج ١٥/ ١١ عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ورد في دعاء صلاة الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف: **يا محمد يا علي، يا علي يا محمد. والحمد لله على ما بيناه وحققناه.**
وفي مجمع البحرين: في الحديث القدسي: يا محمد، إني خلقتك وعلياً نوراً «يعني» روحاً بلا بدن، ثم جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة. وفي عدة الداعي عن سلمان الفارسي: يا سلمان ويا جندب، كنت أنا ومحمد نوراً.
وفي عدة الداعي عن سلمان الفارسي: قال سمعت محمداً صلى الله عليه وآله «و» يقول: إن الله عز وجل يقول: يا عبادي، أوليس من له إليكم حوائج كبار لا تجودون بها إلا أن يتحمل عليكم بأحب الخلق إليكم تقضون بها كرامةً لشفيعه «كذا» ألا فاعلموا أن أكرم الخلق عَلَيّ وأفضلهم لديّ محمد وأخوه عليّ ومن بعده الأئمة الذين هم الوسائل إليّ، ألا فليدْعني من أهمته حاجة يريد نفعها، أو دهته داهية يريد كشف ضرها بمحمد وآله الطيبين أقضها له أحسن ما يقضيها من يتشفعون بأعز الخلق إليّ، فقال له قوم من المشركين والمنافقين وهم مستهزؤون به: يا أبا عبد الله، فما لك لا تقترح على الله بهم أن يجعلك أغنى أهل المدينة؟ فقال سلمان: ما دعوت الله وسألته هو أجل وأنفع وأفضل من ملك الدنيا بأسرها، سألته بهم صلى الله عليهم أن يهب لي لساناً ذاكراً لحمده وثنائه، وقلباً شاكراً لآلائه، وبدناً على الدواهي الداهية صابراً، وهو عز وجل قد أجابني إلى ملتمسي ذلك، وهو أفضل من ملك الدنيا بحذافيرها، وما اشتمل عليه من خيراتها مائة ألف ألف مرة. الأصفهاني. =

وليرجح «طالب القرب» حب الأتقياء في زمانه ـ لاسيما إذا كان التقي عالماً ـ على حب الذين بعده في الدرجة، **وهكذا يتنزل،** ولكن ليسعَ أن يكون صادقاً في هذه المحبة، وليست مرتبة سهلة.

إذا فكرت فيها ستفهم أنه إذا ظهرت آثار المحبة في الحركات والسكنات، فإن الشخص المدعي لهذه المحبة صادق، **وإلا فلا،** لكن لا أظن أن تدرك كنهها. «أنا» الحقير، ليس في وسعي أكثر من هذا.

الحاصل، لا طريق إلى القرب إلا بشرع شريف في كل كليّ وجزئيّ[1].

* أقول: تجد الرواية في البحار ج ٢٢ / ٣٦٩ وما أصر على بيانه رضوان الله تعالى عليه، واضح جداً من آية المباهلة. وأنفسنا وأنفسكم والروايات مستفيضة في هذا المجال، ومن هذا الباب تعبيره ﷺ عن الصديقة الكبرى الشهيدة بأنها «روحه» و«بضعة» و«شجنة» منه، صلى الله عليهم وآلهم أجمعين.

(١) * عود على بدء، وتأكيد في الختام على ما استهل به رحمه الله رسالته هذه، من الإلفات إلى أن السير إلى الله تعالى يجب أن يكون وفق أحكام الشرع الشريف، لا كما هو دأب جهال الصوفية. وهذا الفارق بين عرفاء فقهاء أهل البيت عليهم السلام وغيرهم من مدعي المعرفة والزهد، في غاية الأهمية، ويجب الانتباه إليه جيداً.

في الموعظة الحسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا قرين الأطفال، ويا حمال الأثقال، أيها المحبوس في بئر الجاه، المسموم من أفعى المال، يا غريق بحر الدنيا، وأسير هموم الآمال.

ألم تسمع ولم تقرأ: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌۚ﴾.

ألم تسمع ما قاله ذلك الحكيم[١] العالم بالغيب، المنزه عن كل شين وعيب، عندما قال لولده: **بني، إن الدنيا بحر عميق غرق فيها الأكثرون.**

و «أنا» الحقير أقول **عن تحقيق: ونحن منهم.**

وإذا أردت أن تفهم عمق حكمته، فكر في حقيقة لفظ عميق وانظر ما أكثر جواهر الحكمة التي أدرجها في هذا الصندوق الصغير، هدية للمتفكرين، ويكفي أن تعلم:

أن في البحر حيتاناً، وأسماكاً، وحيوانات عجيبة كثيرة، ومهالكه الغريبة لا تحصى..

(١) * هو لقمان الحكيم، كما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام، في البحار ج ١ / ١٣٦ وفيه: إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، وفي بعض الصيغ الأخرى: خلق كثير إلخ.

جزره المهولة أذابت شجاعة الأسود، وجباله المخيفة غيبت كثيراً من الناس «عن صفحة هذا الوجود».

أصل هذا البحر وميدانه ناشئان من ظلمة الجهل، ومستقرهما أودية أراضي قلوب أهل الغفلة.

أمواج آمال «هذا البحر» طالما عصفت بسفن العمر فأفنتها، وجبال همومه وغمومه طالما تصدت للأحلام فجففتها.

أفاعي معاصيه المهلكة طالما بسمها أهلكت.

وحيتان صفاته المذمومة طالما ابتلعت والتهمت.

وماء محبته المرّ والمالح[١] كم أعمى الناس وأطفأ نور عيونهم.

كل من غرق في هذا البحر أطلع رأسه من بين أطباق نار الجحيم، وسيبقى في العذاب الأليم.

ناس هذا البحر هم النسناس[٢] وسباحتهم في هذا البحر إلى ساحة الوسواس.

وقراصنته هم جنود إبليس، وسلاح حربهم الخدعة والتلبيس.

إذا سألتَ عن عمق هذا البحر فسأقول لك: لا يتناهى، وإذا كنت لا تصدق فانظر إلى غوّاصي هذا البحر، يعني أهل الدنيا من

---

(١) * إشارة إلى حب الدنيا، الحرام، والحلال.

(٢) * النسناس: نوع من القردة صغير الجسم طويل الذنب. «المعجم الوجيز».

الأولين والآخرين، فسترى أنهم جميعاً غرقوا فيه ولم يصل أحد «منهم» إلى قعره.

وإذا أردت أن تفهم ذلك أفضل، فانظر في حالك الخَرِب «التعيس»، وكيف أنك مهما كنت تملك، تظل أيضاً تطلب المزيد، ولا يقف حرصك عند حد.

يا سيدي، كيف أذلّت هذه الدنيا الناسَ، وجعلت قلوبهم التي خلقت للمحبة والمعرفة، اسطبلاً للخيل والبغال، جوارحهم متعفنة من القاذورات، وقلوبهم لا تعرف الخضوع والخشوع آناً «من الآنات»، ولم يذوقوا ذرة من حلاوة الطاعة، لا في كيانهم من التوبة أثر، ولا في أوهام تفكيرهم النحس عن الله جل جلاله خبر.

ليل نهار، يمزقون بسيف لسانهم وسنانه عرضَ[1] المسلمين ومالهم وعصمتهم إرباً إرباً.

قلوبهم خالية من الذكر والفكر، مملوءة بالحيلة والمكر.

أوثقوا يد العقل، وأطلقوا يد الهوى.

أية جراحات أثخنت بها تلك الأيدي كبد الدين!

وأية مصائب ألحقتها بالشرع الشريف!

خلعوا لباس الإلهيين، وارتدوا ثياب الإفرنجيين.

استبدلوا أطعمة الإسلام وأشربته بسَمِّ النصارى والدهريين وزقّومهم.

---

(١) ❊ العرض: الكرامة، ومن مصاديقه المعنى الشائع للعرض.

تركوا آداب الشرع، والتزموا بآداب الكفر.

سوق الكفر والشرك في بلادهم معمورة، وسوق إسلامهم خربة مهجورة.

وافضيحتاه، عسكر الكفر في بلاد وجودنا منصور ومسرور، وجيش الإسلام مقتول ومأسور.

لا نحن في عاقبة أمرنا فكرنا، ولا بجميل صنع الله بالأمم الماضية اعتبرنا.

قضية أبابيل الهائلة، وقصة فرعون وقابيل ظننّاها مزاحاً.

الأرض التي ابتلعت قارون مع كنوزه العظيمة موجودة معنا، نحن العوجُ المصابون بالدوار.

يا روحي:

الرياح التي أدب بها قوم هود، هي الآن أيضاً مطيعة لذلك القادر الحليم.

إذا كنت أنت قد تجرأت على التمرد على إطاعة أمر ذلك السلطان العظيم الشأن، فإن التراب والماء والرياح والطين والحجر أذلاء منقادون له.

بلى، لقد انطلت عليهم حيلة صبره وحلمه، وغفلوا عن سلطته العظيمة، فنزعوا لباس الخجل والحياء، وتابعوا خطى الجرأة، فارتكبوا المعصية في حضور عزه وجلاله، ألست ترى أن حكمه المحكم جارٍ في السماوات والأرض؟ ألم تقرأ أن السماء تنشر في يوم النشور؟

بلى، ماذا أقول عن شر ذلك اليوم المملوء بالآه والحرقة الذي أذاب خوفه قلوب الخائفين.

و كيف لا تذوب قلوبهم من يومٍ أرضه نارٌ محرقة، وصراطه أحدُّ من السيف القاطع،

العقول طائرة، والدموع منهمرة، والنجوم فيه متناثرة.

والناس كالجراد المنتشر، هوله عظيم، والأنبياء في اضطراب، الأخيار مدهوشون، والأبرار أغمي عليهم «لا يعون».

الشدائد كثيرة، والمحن لا تحصى.

الشمس من فوق «رؤوس العباد»، والأرض كتنّور الحداد.

الأبدان غارقة في العَرق، واللحوم والعظام تحترق.

أحاطت جهنم بهم، وسدت في وجوههم سبل الفرار.

الظالم خجل، والعادل بدمعه خضل.

الصحف تتطاير عن اليمين واليسار، الناس في دهشة وانتظار، والملائكة الغلاظ الشداد في جيئة وذهاب، يتشددون في تنفيذ العقوبة الإلهية على المَرَدَة والعصاة.

أحد أسماء ذلك اليوم، يوم الحساب، والآخر يوم التناد، من جهة ينادي المنادي ضاحكاً مستبشراً: **يا أهل الجنة اركبوا، ومن جهة أخرى ينادي: يا أهل النار اخسؤوا.**

واحدٌ يُكسى خِلعةً، وآخرُ يُسحب «على وجهه».

طائفة أسكرها الشراب الطهور، وقوم ترك الزقوم والضريع أكبادهم إرْباً إرْباً.

في حيرة من أمري أنا، لست أدري أعن قهره أتحدث، أم عن عطفه وحنانه؟

أهْلُ قهره الترابيون، وأهل عطفه الأفلاكيون، أي من أوصلوا أنفسهم إلى الأفلاك النورية، جسمهم روح، وروحهم في عرش الرحمن.

يا فداءً لقلوبٍ أشرق فيها النور الإلهي «جل جلاله»، فجلالة مرتبتهم لا تتناهى.

فصلوا أنفسهم عن العالم واتصلوا بعالم الأنوار فاستناروا بنور المعرفة، مُنحوا خلعة المحبة، ورَكَلَ زهدُهم الدنيا، ونبت توكلهم في أرض التوحيد.

نفروا من خلق هذا العالم، واطمأنوا إلى مقام القرب.

فكرهم نور، وذكرهم نور، وباطنهم وظاهرهم، وجسمهم وروحهم، وخيالهم وعقلهم وجنانهم كله نور، وغارق في بحر النور.

كفى.

إين أنا ـ اللا طاهر ـ من مدح الطاهرين ووصفهم.

أمثالنا نحن يجب أن نهتم بالوصول إلى ترك المعصية، إذا كنا قد أحكمنا أصل الإيمان.

لقد خدعتنا الدنيا، وأصمّتنا وأعمتنا بحيث أن مثل هذه المواعظ لا تؤثر أبداً في قلوبنا القاسية.

كل ما أعرفه أن واجب المريض الرجوع إلى الطبيب وإطاعته، وواجب الطبيب المعالجة.

والآن، لا المريض مطيع، ولا الطبيب حاذق، ولكن إذا كان المريض مطيعاً فإن الله الرحيم سيوصله ـ دون شك ـ إلى طبيب حاذق.

وإن لم يكن مطيعاً، فالسكوت أَوْلى.

والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم[(١)]

إلهي قد أصبتُ من الذنوب ما قد عرفتَ، وأسرفتُ على نفسي بما قد علمتَ، فاجعلني عبداً إمّا طائعاً فأكرمته، وإمّا عاصياً فرحمتَه، إلهي كأني بنفسي قد أُضجِعَت في حفرتها، وانصرف عنها المشيِّعون من جيرتها، وبكى الغريبُ عليها لغربتها، وجاد بالدموع عليها المشفقون من عشيرتها، وناداها من شفير القبر ذوو مودتها ورَحِمها المساوي لها في الحياة عند صرعتها، ولم يخْفَ على الناظرين إليها عند ذلك ضرُّ فاقتها، ولا على من رآها قد توسدتِ الثرى عجْزُ حيلتها، فقلتَ: ملائكتي، فريدٌ نأى عنه الأقربون، ووحيدٌ جفاه الأهلون، نزل بي قريباً، وأصبح في اللحد غريباً، وقد كان لي في دار الدنيا داعياً، ولِنَظري إليه في هذا اليوم راجياً فتحسُن عند ذلك ضيافتي، وتكون أرحم لي من أهلي وقرابتي، إلهي لا تغضب عليَّ فلست أقوى بغضبك، ولا تسخط عليَّ فلست أقوم بسخطك، إلهي أللنار ربّتني أمي فليتها لم تربني، أم للشقاء ولدتني فليتها لم تلدني.

---

(١) ❊ من مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام، كان إذا أعطى ما في بيت المال، أمر فكُنس، ثم يدعو فيقول في دعائه:
اللهم إني أعوذ بك من ذنب يحبط العمل إلى قوله إلهي قد أصبت من الذنوب إلخ. البحار ج٩٤/ ٩٣.
ولم يتضح لي وجه إيراد هذه المقطوعة من المناجاة هنا، وقد وردت في النسخ الثلاث.

ومن كلامه أعلى الله مقامه

يا عبد الوهاب، كيف غفلت عما وهبك ربنا الأعظم جل جلاله من النعم العظام والآلاء الجسام، ما أدري أيها [١] بقلمي العاجز أكتب، والحال أنه لو كانت الأشجار والنباتات كلها أقلاماً، والملائكة والثقلان كتّاباً، والبحار مداداً، إلى أن يفنى[٢] الكتاب وأقلامهم ومدادهم، لما كتبوا قطرة من عجايب نعمته، وذرة من غرائب آلائه.

سبحانك لو بذلنا في طاعتك كل عمرنا، وما غفلنا عنك طرفة عين، لَكُنّا مقصرين في أداء بعض حقوقك.

كيف وقد جلَّت مصيبتنا، وعظمت رزيّتنا، وقد أفنينا أعمارنا في الغفلة عنك مع أنه كان ينبغي أن لا نغفل عن عظمة حضورك، وجلالة سلطانك طرفة عين.

ما أدري بأي عقل أعرضنا عن ملازمة عظمتك المنيفة، وحضرتك الشريفة، وقد ملأت عظمتك السماوات والأرضين، وأطارت عقول الأنبياء والمرسلين، وزعزعت قلوب العارفين، فيا حسرتاه على ما فاتنا من فوائد مراقبتك[٣]، وفرائد هباتك والعطايا[٤].

(١) * في الأصل أياً ما أكتبها.
(٢) * في الأصل فنت.
(٣) * المراد: مراقبتنا لحضورك.
(٤) * في الأصل مراحمك ومكارمك.

وا مصيبتاه! لقد تجاوزنا الحد في[١] غفلتنا، وتجرأنا في حضرتك العظيمة بارتكاب[٢] المعاصي المهلكة، والجرائم الموبقة، وقد سودنا وجوهنا وصفحة صحيفة أعمالنا، وآذينا بآثامنا ونتن أعمالنا عمالكَ الكاتبين لأعمالنا القبيحة، وكم من سهام خطيئة منا شق كبد الدين، وكم من سنانٍ لألسنتنا[٣] الحادة[٤] بالغيبة والكذب والفحش واللعن والاستهزاء والمخاصمة والمجادلة والافتراء والإيذاء، قد جرح[٥] قلب الشرع الشريف، يعني قلوب الأنبياء والمرسلين، وقد أخرجنا قلوبنا عن قابلية إدراك شرف مراقبتك ولطف إطاعتك، ومذ أشغلنا ألسنتنا بذكرك أعرضنا عنك بقلوبنا الجافية الجائفة، ووجهناها إلى آمالنا المزخرفة، وشهواتنا المكدرة من الجاه والاعتبار والدرهم والدينار والأثاث والعقار، ولو ظهرت قبائح ما ذكرناه في قلوبنا حال الصلاة، وأُخرجت صحيفة مشتملة على بعض ما مرّ على أفئدتنا فيها، لرأينا أمراً فظيعاً، وخطباً شنيعاً، وشيئاً منكراً قبيحاً، ولما وجدت من الصلاة حرفاً، ومن الحضور طرْفاً، فإذا كان هذا حال صلاتنا، وهي أعظم ما نرجو منه التقرب إليك، فواسوأتاه من ساير قبائح ما أجرمنا، وشنايع ما ارتكبنا[٦]، فبأي وجه نلقاك، وبأي بدن نقف بين يديك، وبأي لسان نجيبك[٧] يوم ترتعد فيه فرائص النبيين وتزعزع فيه أركان

(١) * في الأصل: إنا زدنا على إلخ.
(٢) * في الأصل: إرتكاب إلخ.
(٣) * في الأصل: سنانِ ألسنتنا.
(٤) * في الأصل: المحدودة.
(٥) * في الأصل: جرحت.
(٦) * في الأصل: ارتكبناه.
(٧) * في الأصل: نجاوبك.

السماوات والأرضين، وتدهش فيه قلوب العارفين، وتضطرب فيه عقول المقربين، وتخرس فيه ألسنة الفصحاء، ويتشوش فيه ذهن البلغاء، وتتزلزل الأرض، وتنشق السماء، وتعظم حرارة الهواء، ويكثر البلاء يوم تعم البلوى الأخيارَ والأشرار، ويطول فيه الانتظار، ويتشوش نظام الموجودات، وتتصل الصيحة بالصيحة، والرنة بالرنة، فواحد ينادي واويلتاه! وآخر ينادي واعطشاه! وآخر وامصيبتاه! وآخر واغوثاه! وآخر واذلاه! يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين، وقد أحاط بالناس ملائكة غلاظ شداد(١) مقطّبين(٢) وجوههم على هيئة منكرة موحشة، وأجسام كبيرة كبيرة، وبأيديهم ضرائب من النار، والناس بين ايديهم في أسر الذلة والمهانة تقودهم إلى الحساب، فما أدري كيف حالنا بين يديك، وأنّى لنا الطاقة لنحمل هذه المشاقّ التي تعجز عن بعضها الجبال الراسيات، بل الأرضون والسماوات، وأي مناسبة بين اللحم والعظم، وبين تلك(٣) النار، ومن الذي يطيق السلاسل والأغلال والعقارب والحيّات التي كالجبال، وأي جسم يقوم لشرب الزقوم والضريع، ومن الذي يغيثنا في هذه البلايا والمحن، ومن ينجينا من هذه الشدائد والفتن، وأنت غياث المستغيثين وأرحم الراحمين، فهل توفقنا لتوبة صادقة مقبولة، لعلنا بعونك ندرك بعض ما فاتنا باستكانة وخضوع وخشوع وركوع وسجود. ويل لنا إن تركتنا على هذه الحالة الشنيعة(٤)، والأوصاف المهلكة، والأفعال

---

(١) ✻ في الأصل: خدمه وحشمه أي ملائكة إلخ.
(٢) ✻ في الأصل: عابسين.
(٣) ✻ في الأصل: ذلك.
(٤) ✻ في الأصل: الكثيفة.

المشؤومة[1]، والقلوب القاسية، والأمراض الصعبة المردية، فالغوث الغوث الغوث، يا كريم.

فيا إخواني انتبهوا من نومكم، وتفكروا في عاقبتكم، واعلموا أنه لا مفر من المجاهدة، ولا يغرنكم شبابكم وداركم ومتاعكم فإنها وبال، وعاقبتها نكال، فبادروا بالتوبة قبل الحوبة، والبكاء والنياح قبل انقضاء المدة، وليكن هادم اللذات، يعني الموت، بين أيديكم، وأكثروا التفكر فيه في الليالي المظلمة، ولا تظلموا أنفسكم، واقرأوا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

والسلام

(١) * في الأصل: الميشومة.

ومن كلامه رضوان الله عليه

بسم الله تعالى

يا سلمان، يا من هو عن المعارف بعيد، وللغرباء جليس، أيها المأنوس بلحن الغرور، المستوحش من دار السرور، إفتح أذنك لأحملك على التوثب والتوهج، واشرب هذه الأدوية الإلهية لتهبك العقل والفطنة.

إعلم أن سليمان النبي **صلى الله جل جلاله على نبينا وآله وعليه،** لم يوطد دعائم سلطته على الإنس والجن إلا بعد أن مزّق العسكر المشؤوم للنفس، وإبليسَ، في وجوده الشريف، ولم تزيَّن يده بالخاتم الإلهي إلا بعد أن سلط جند العقل والملائكة على حصن قلبه الحصين.

لست تدري، أية مفاسد أقامتها في قلبك عساكر الشيطان الملعونة.

حب الدنيا الذي هو عمدة قبائحهم وأساسها، أنظر كيف أحلُّوه في قلبك، تأمل جيداً وانظر كم هي مصائب الناس في دينهم، وكم هي معاناتهم بسبب هذا القانون المشؤوم.

تارة يأمرونك أن: أطلب الجاه ليلقوا بك في البئر، وتارة: إجمع المال، ليبتلوك بـ «هذه» الأفعى، لقد زينوا لك ان الجاه أمر

مرغوب، والمال شيء مطلوب، وأنت لا تعلم أية مرارات يقع فيها طالب الجاه في الدنيا والآخرة، وبأية ألوان نفاق وتزوير سيبتلى.

نستجير بالله من البيوت التي ستهدم بحكمه النحس، ويا للهول من الأموال التي تُنهب بأمره النجس، وكم ستنكسر منه قلوب المظلومين، وكم سيلدغ بظلمه مصائر الناس ويدمر بيوتهم ويشتتهم.

إنه مشغول دائماً بالفحش والغيبة والاستهزاء والكذب ومدح نفسه والوعد والوعيد وإيذاء المسلمين وظلم الناس[١].

(١) لم يعثر على بقية هذا النص.

ومن كلامه قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

وبعد: لا ينبغي أن يبقى خافياً على طالبي النجاة والسعادة الأبدية أن أهل النجاة قسمان:

أحدهما: أصحاب اليمين، والآخر: المقربون.

وإذا عمل طالب السعادة بوظيفة أصحاب اليمين التي هي عبارة عن ترك المعصية، فسيصبح منهم، وللمقربين بالإضافة إلى ذلك وظيفة أخرى ليس الهدف بيانها.

أولاً يجب فهم أن الإنسان إذا فهم حقارته وضِعته، وفهم بعد ذلك عظمة **ملك الملوك** وقدرته، فسيفهم طبعاً أن الجرأة والإقدام على المعصية في محضر مثل هذا السلطان العظيم الشأن، في غاية القبح والشناعة وسوء الحظ «والتعاسة».

لماذا أنت غافل عن قدرة القادر الذي إذا أراد فناء جميع الموجودات، فبمجرد إرادته تفنى جميعها وتلحق بالمعدومات!

إن السبب في ما تراه من كون المعصية سهلة في نظرك هو عدة أمور أذكر بعضها:

أولاً: أن فكرك منصبّ كلياً على الدنيا الدنية، ولذا فقد غفلت نهائياً عن الضرر الأخروي. لا تعلم كم هي كثيرة كثيرةٌ المنافع والسعادة الأبدية التي فاتتك، كم هي كبيرة جداً الأضرار التي ألحقتها بنفسك.

ثانياً: أنك غير ملتفت لعجزك وحاجتك وفقرك، بحيث أن كل ذرة من بدنك قائمة بحفظ عماله الذين هم الملائكة.

ثالثاً: لا تعلم أن في كل آن من الآنات، في كل جزء من أجزاء بدنك، نِعَماً لا تتناهى، منَّ بها عليك ويمنّ، ولا يمكن حصرها بالبيان والبنان. إذاً رغم هذا كله، كيف تنفق نعمه في معصيته؟

رابعاً: لماذا أنت غافل عن عقوباته الشديدة ؟ ألا تعلم أن بين الموت والقيامة ألف غصة، وأسهلها مرارة اقتلاع الروح؟ لماذا أنت غافل عن شدائد يوم القيامة؟!

الأمان الأمان من يوم يسيطر فيه من الدهشة والوحشة، الخوفُ والاضطراب على المقربين.

ولم لا؟

نعم، سيضطرب المحسنون ويخافون في يوم أرضُه وسماؤه نار، وجهنم محيطة بأطراف الخلائق، والملائكة الغلاظ الشداد منصرفون إلى القاء القبض وشد الوثاق.

المحسنون في وحشة واضطراب، والمسيئون في شقاء وعذاب، الشمس فوق الرأس، والأرض أشد حرارة من التنور، خطر الحساب من جهة، ودهشة الصراط من جهة أخرى.

هذا، ولم يصل الأمر بعدُ إلى جهنم، أعن نارها وسلاسلها والأغلال أتحدث؟ أم عن أفاعيها والعقارب ؟

الخلاصة، هذه كلها مختصرات، والفقرات المتقدمة لا تشكل واحداً من ألف، كل توصيات هذا المسكين لك أن تهتم بترك المعصية، إذا أديت هذه الخدمة، فسيوصلونك في نهاية الأمر إلى مقام رفيع. حتماً، حتماً، لا تقصّر في اجتناب المعصية.

إن عصيت لا سمح الله، فتب بسرعة وصلِّ ركعتين واستغفر بعد الصلاة سبعين مرة ثم اسجد، واطلب في سجودك العفو من الله، آمل أن يتفضل بالعفو.

المعاصي الكبيرة مدونة في بعض الرسائل العملية(١) تعلمها، واتركها، وحذارِ أن تحوم حول الغيبة والكذب.

استيقظ قبل الصبح «الفجر» بساعة على الأقل(٢)

وأدِّ السجدة(٣) وما هو مذكور في منهاج النجاة للمرحوم الشيخ

---

(١) * بالإضافة إلى الرسائل العملية، يمكن الرجوع إلى كتاب الذنوب الكبيرة للشهيد دستغيب رضوان الله تعالى عليه.

(٢) * الخطاب موجه لشخص بعينه، وإلى كل من ساعدته ظروفه على ذلك، على قاعدة السعي للوصول إليه وعدم التفريط، غير أنه بالتأمل يتضح أن الحرص على النوم المبكر يتيح للإنسان أن يستيقظ مبكراً، والأمر بعدُ رهنُ الطلب الحقيقي والتوفيق.

(٣) * قال الشيخ البهائي قدس سره: فإذا انتبهت من نومك فأول ما ينبغي لك فعله أن تسجد لله تعالى، فقد روي أن النبي ﷺ كان إذا انتبه من نومه يسجد، ثم قل في سجودك: الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور، الحمد لله الذي رد علي روحي لأحمده وأعبده. «مفتاح الفلاح/ ٢٢٧».

محسن الفيض **رضوان الله جل جلاله عليه،** كاف وشاف[(١)] التزم به في عمل الليلة واليوم.

واسع أن لا يكون عملك وذكرك باللسان فقط، وأن يكون بحضور قلب، فإن العمل بلا حضور لا يصلح القلب رغم أن له ثواباً قليلاً.

حتماً، حتماً، فرَّ من الطعام الحرام، لا تأكل إلا حلالاً، كل قليلاً، أي لا تأكل ما يزيد على حاجة بنيتك. لا تأكل كثيراً بحيث يثقلك «الأكل» ويعيقك عن العمل، ولا تقلل أكلك بحيث يؤدي بك إلى الضعف ويمنعك من العبادة، ومهما استطعت فصم، بشرط أن لا تملأ بطنك في الليل بدل النهار.

الحاصل، أن الطعام بقدر الحاجة ممدوح، والزيادة والقلة كلاهما مذمومتان.

وابدأ بالصلاة بقلب خالٍ من الحقد والحسد، والغل وغش المسلمين. يجب أن يكون لباسك والفرش ومكان صلاتك مباحاً، ورغم أن نجاسة غير مكان الجبهة بنجاسة غير متعدية لا يبطل الصلاة، إلا أن عدم ذلك أفضل.

---

(١) * جاء في منهاج النجاة للفيض الكاشاني: إذا استيقظت من النوم صباحاً، فينبغي أن تجتهد لأن تستيقظ قبل طلوع الصبح، وأن يكون أول ما يجري على قلبك ولسانك ذكر الله، فتقول عند ذلك: الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه البعث والنشور، و«الحمد لله الذي رد علي روحي لأحمده وأعبده»، وإذا سجدت فقد تأسيت بالنبي ﷺ، فإذا تمكنت من الجلوس فتقول: حسبي الرب من العباد، حسبي الذي هو حسبي منذ كنت، حسبي الله ونعم الوكيل. فإذا قمت قلت: اللهم أعني على هول المطلع ووسع علي المضجع وارزقني خير ما قبل الموت، وارزقني خير ما بعد الموت، فإذا لبست ثيابك إلخ. «منهاج النجاة/ ٦٧ آداب الاستيقاظ من النوم».

وقف في الصلاة وقفة العبد في حضور المولى الجليل، برقبة منحنية وقلب خاضع وخاشع.

واستغفر بعد فريضة الصبح سبعين مرة.

وكرر كلمة التوحيد الطيبة مائة مرة.

واقرأ دعاء الصباح المشهور.

ولا تترك تسبيح سيدة النساء «عليها صلوات الرحمن» بعد الفريضة.

واقرأ كل يوم ما استطعت من القرآن، على الأقل جزءً منه، على وضوء وباحترام وخضوع وخشوع، ولا تتكلم أثناء القراءة إلا عند الضرورة.

واقرأ عند النوم الشهادة(١) وآية الكرسي، والفاتحة مرة، والتوحيد أربعاً، والقدر خمس عشرة مرة، واقرأ آية ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٢) والاستغفار أيضاً مناسب.

---

(١) * المراد شهادة الموت: الله ربي، ومحمد ﷺ نبيي، والاسلام ديني، والقرآن كتابي، والكعبة قبلتي، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب إمامي، والحسن بن علي المجتبي إمامى، والحسين بن علي الشهيد بكربلاء إمامي، وعلي زين العابدين امامى، ومحمد الباقر إمامي، وجعفر الصادق إمامي، وموسى الكاظم إمامى، وعلي الرضا إمامي، ومحمد الجواد إمامي، وعلي الهادي إمامي، والحسن العسكري إمامي، والحجة المنتظر إمامى، هؤلاء صلوات الله عليهم أجمعين أئمتي وسادتي وقادتي وشفعائي، بهم أتولى، ومن أعدائهم أتبرأ في الدنيا والآخرة. أنظر: السيد اليزدي ـ العروة الوثقى «ط.ق» ج ١ص ٤٤١.

(٢) آل عمران / ١٨

وإذا استطعت في بعض الأوقات أن تقرأ سورة التوحيد مائة مرة فذلك جيد جداً، ولا تغفل عن ذكر الموت، ونم ويدك على خدك الأيمن، وأنت على يمينك.

ولا تغفل عن الوصية.

وأكثر من الذكر المبارك **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** بأي مقدار وفي أي وقت، قل ذلك كثيراً.

وفي الليل، وليلة الجمعة اقرأ في كل من ذلك سورة القدر المباركة مائة مرة.

ولا تترك دعاء كميل كل ليلة جمعة.

واقرأ من المناجاة الخمسة عشر ما ناسب حالك منها، لاسيما **مناجاة المساكين والتائبين والمفتقرين والمريدين والمتوسلين والمعتصمين** إقرأها كثيراً.

وأدعية الصحيفة في المقام المناسب جيدة جداً[١].

واستغفر عند العصر سبعين مرة، وقل مرة **سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده**.

وأقرأ أيضاً الاستغفارات الخاصة.

ولا تنس السجدة الطويلة.

---

(١) * المقصود هو أن يلاحظ الحال التي هو فيها فيختار من أدعية الصحيفة ما يناسب حاله، إما في طلب الرزق، أو للأمن من الظالم، أو في التوبة، وهكذا، وهي توصية شديدة الأهمية تؤكد على أن موقع العلاقة بالصحيفة المباركة ينبغي أن يكون دائماً في صلب برنامج تزكية النفس.

وإطالة القنوت جيدة جداً.

وكل هذه جيدة مع ترك المعاصي.

والسلام على من اتبع الهدى[١]

(١) * هذه العبارة ليست موجودة في نسخة (أ)، وفيها بدلاً منها: ألتمس الدعاء.

التوجيه[١] الذي تفضل به إلى جناب الحاج السيد علي آقا الإيرواني أعلى الله مقامه

جناب السيد «آقا» :

الحذر الحذر من «الـ» قواطع الأربعة: كثرة الكلام، وكثرة الطعام، وكثرة المنام، وكثرة المجالسة مع الأنام، وعليك بتقليبها وتبديلها[٢] بذكر الملك العلام، في الليالي والأيام.

والسلام[٣]

---

(١) * سقط هذا التوجيه من النسختين (ب) و(ت).

(٢) الضمير عائد إلى القواطع الأربعة والمراد استبدال هذه القواطع بذكر الله تعالى، كما لا يخفى.

(٣) * ورد بعد هذا في النسخة (أ) ما ترجمته: كانت وفاة جناب الآخوند «أي الشيخ حسين قلي» رضوان الله عليه في شهر رجب ١٣١١ رحمة الله عليه وعلى جميع العلماء الراشدين. «تمت». وورد بعده ما ترجمته: حيث افتتح هذا الكتاب بأعمال الحج، أردنا أن يكون ختامه أيضاً بذلك، ثم أورد قصيدة بالفارسية حول الحج للحكيم ناصر خسرو علوي، جاء بعدها ما ترجمته: **تم كتاب تذكرة المتقين بتاريخ الخامس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٢٩**.

رسالة[١] الشيخ البيد آبادي[٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أخي وحبيبي، إن كنت عبد الله فارفع همتك وكِلْ إليه أمر ما يهمك، لأن المرء يطير بهمته كما يطير الطير بجناحيه [٣].

أنا عبد لهمة من تحرر من كل ما له طابع التعلق، مما هو تحت القبة الزرقاء[٤]

كل ما أرَوْك إياه في هذا الطريق، إن لم تتعلق به، فسيعطونك أفضل منه[٥]

يعني بواسطة التأمل السليم وكثرة ذكر الموت، فرِّغ بيت القلب من التفكير بالغير.

لك قلب واحد، فحبيب واحد يكفي.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[٦].

(١) ❊ لم ترد هذه الرسالة وما بعدها في النسخة (أ) وقد أدرجت في النسختي (ب) و(ت) ولا أعرف السبب في ذلك.

(٢) ❊ كتبها جواباً على رسالة السيد حسين القزويني، جاء ذلك في النسختين.

(٣) ❊ المرء يطير بهمته مثلٌ مشهور لم أعثر على أصله، وقد ورد في البحار ج ١٨ / ٣٨٠

(٤) ❊ مضمون بيت لحافظ، غزل، ١٣٧.

(٥) ❊ مضمون بيت، نظامي، مخزن الأسرار، وفي المصدر بدلاً من الطريق ما معناه الستار.

(٦) الزمر / ٣٦

و﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾(١).

لو أنك عرفته، لما وجدت في العالَمين أفضل منه، لتطلبه منه(٢).

إلهي، يطلب الزاهد منك الحور والقصور، أنظر إلى قصوره، يهرب إلى الجنة من بابك، انظر إلى «ضحالة» إدراكه وشعوره(٣).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما عبدتك طمعاً في جنتك، ولا خوفاً من نارك، بل وجدتك أهلاً لذلك فعبدتك(٤).

أخرجنا العالَمَيْن دفعة واحدة من القلب الضيق، ليكون مكاناً لك(٥).

ولا يمكن تحصيل هذا بالهوس «والتمني»، بل ما لم تتخطَ الهوس لا سبيل إليه.

أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها، والأسباب لابد من اتصالها بمسبباتها. إن الأمور العظام لا تنال بالمنى، ولا تدرك بالهوى.

---

(١) الأحزاب / ٤

(٢) * مضمون بيت. مر الإستشهاد به، والمراد أن طلب الجنة والشهادة، وشبههما، دليل على عدم معرفة الله تعالى، وإلا لكان الطلب معرفته ورضوانه «ورضوان من الله أكبر»، فكيف إذاً بمن يطلب الحور والقصور، كما سيأتي في البيت التالي، وبديهي أن هذا لا يعني أن طلب ما ذكر غير جائز، فكلٌ يعمل على شاكلته.

(٣) * مضمون بيت.

(٤) غرر الحكم، وقد ورد بما يقرب من هذه الصفة في البحار ج ٧٢/ ٢٧٨، ولكن وجدتك والغالب تقدم خوفاً من نارك.

(٥) * مضمون بيت.

استعينوا في كل صنعة بأربابها وأتوا البيوت من أبوابها، فإن التمني بضاعة الهلكى[١].

كن مثل المرآة نقياً وتمنَّ وصال الغيد، اكنس بيتك ثم اطلب مجيء الضيف[٢].

ما لم تصبح مستعداً للنظر، فلا تطلب الوصال.

فلا يمكن للأعمى التمتع بالنظر في جام جم[٣].

يجب أولاً طلب الهداية من مرشد الكل وهادي السبل.

التمسك ـ بيد الولاية ـ بأذيال متابعة أئمة الهدى عليهم السلام أن تركل بقدمك علائق الدنيا، وتحصل عشق المولى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[٤].

عشق المولى أولى من عشقك يا ليلى.

والمحو بذاك العشق هو الأولى[٥]

(١) * ورد في عدة روايات عن الامام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب، إلخ. انظر البحار ج٢/ ٩٠و١٦٨. والفقرة الأخيرة بمعنى ما ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: إياكم والإيكال بالمنى فإنها من بضائع العجزة. البحار ج ٧١/ ١٨٨.

(٢) * مضمون بيت.

(٣) * مضمون بيت، وجام جم: هو بحسب القصص الإيرانية، الزجاجة التي كانت لجمشيد الملك العادل، وفيها خارطة العالم، أو أنه كان يرى العالم فيها. «فرهنك عميد»

(٤) الانعام / ٩١

(٥) * مضمون بيت، ويمكن ترجمته بالإضافة إلى ما ذكر، كما يلي:
أ ـ من ذا قال بأن العشق لليلى أعظم من عشق المولى، من ذا قال بأن المحو بعشق المولى، ليس الأولى
ب ـ أوَعشق المولى دون العشق لليلى، أوليس المحو فيه بأولى =

لم أحصل من العشق إلا على أني أسير غمه.

لا يهفو القلب إلى أحد، ولا يميل إلى مكان(١)

إذاً، يجعل همومه هماً واحداً، ويضع ـ بقدم الجد والجهد ـ جميع خطاه في جادة الشريعة، ويحصِّل ملكة التقوى، أي أنه لا يحوم قولاً وفعلاً وحالاً وخيالاً واعتقاداً حول الحرام والمشتبه والمباح بقدر المقدور، لتحصل الطهارة الصّورية والمعنوية التي هي شرط العبادة، ويترتب على العبادة أثر، ولا تكون محض صورة.

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

ولن تقبل منكم نفقاتكم، إنكم كنتم قوماً فاسقين.

وما منعه عن قبول صدقاتهم إلا كونهم فاسقين(٣).

لن يقبل عمل رجل عليه جلباب من حرام(٤).

من أكل حراماً لن يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً(٥).

= ج ـ ومتى كان الحب لليلى أعظم من حب المولى، أوليس المحو بحب المولى، هو أولى والمراد بالمحو ما يقابل الصحو، او فقل: المحو هو حالة الإستغراق في الحب حتى الذهول عن الذات، والفناء، والصحو هو الخروج من تلك الحالة.

(١) ❊ مضمون بيت.

(٢) المائدة/ ٢٧.

(٣) مستوحى من الآيتين ٥٣ و٥٤ ـ التوبة.

(٤) لم أجد رواية بهذا النص.

(٥) ❊ عن النبي ﷺ: من أكل الحلال أربعين يوماً، نور الله قلبه وقال: إن لله ملكاً ينادي على بيت المقدس كل ليلة: من أكل حراماً ما، لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. والصرف الفريضة والعدل النافلة. «البحار ج ١٠٣/ ١٦».

ترك لقمة حرام، أحبّ إلى الله من ألفي ركعة تطوعاً[١].

ردُّ دانقٍ من حرام يعدل سبعين حجة مبرورة[٢].

وتتسع القدرة على الفهم تدريجياً، ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾[٣]

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾[٤]

وفي الوقت ذاته لا يغفل دقيقة عن وظائف الطاعات المقررة الواجبة والمندوبة لتقوى الروح القدسية بمرور «الوقت».

نحن نؤيد روح القدس بالعمل الصالح، والإيمان بعضه من بعض[٥].

---

(١) * عن الإمام الصادق عليه السلام، البحار ج ٩٣/ ٣٧٣

(٢) * نفس المصدر، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله. وفيه: يعدل سبعين ألف حجة مبرورة «البحار ج ١٠٤/ ٢٩٦».

(٣) الأنفال/ ٢٩.

(٤) البقرة/ ٢٨٢

(٥) * عن أبي الحسن «الكاظم» عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أيَّد المؤمن بروح منه، تحضره في كل وقت يُحسن فيه ويتقي، وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي، فهي معه تهتز سروراً عند إحسانه، وتسيخ في الثرى عند إساءته، فتعاهدوا عبادَ الله نعمَه «. . .» نفيساً ثميناً، رحم الله امرءاً همّ بخير فعمله، أو هم بشرّ فارتدع عنه، ثم قال: نحن نؤيد الروح بالطاعة لله والعمل به. «الكافي٢/ ٢٦٨».

قال تعالى: قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدىً وبشرى للمؤمنين، وفي روايات أهل البيت عليهم السلام أن الروح القدس ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة، البحار ج ١٨/ ٢٥٤

ويدل على وجوده مع الأنبياء قبل المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله قوله تعالى: وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس. وأيدتك بروح القدس، ولا يعني ذلك أن ما يكون مع المصطفى وعترته صلى الله عليه وعليهم، من نفس المرتبة. =

ويتحقق شرح الصدر، ويُقوي نور العبادات البدنية ونور الملكات النفسية بعضه بعضاً على الدوام، فيصبح:

نورٌ على نور.

الطاعة تجر الطاعة.

وتصل الأحوال السابقة في أقصر مدة إلى مرتبة المقام، وتحصل الملكات الحسنة والأخلاق الجميلة، وترسخ العقائد الحق رسوخاً كاملاً، وتجري ينابيع الحكمة من عين القلب على اللسان، ويعرض كلياً عن غير الحق.

في هذه الفترة، كلما كان من زمرة السابقين، استقبلته جذبة العناية، لتأخذ منه إنيّتَه، وتعوضه **ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**[١]، ويشاهد بعينه حقيقة: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[٢] ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾[٣] ويشاهد: **إذا أراد الله بعبد خيراً**

= ومما يدل على أنه يكون مع غير الأنبياء، ما اشتهر عن المصطفى الحبيب ﷺ من قوله لحسان بن ثابت: لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا، وقول الإمام الرضا عليه السلام لدعبل: يا خزاعي، نطق روح القدس على لسانك. البحار ج٥١/ ١٥٤، وقوله: الإيمان بعضه من بعض ورد في «...» رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: لا يقبل الله عز وجل عملاً إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، إن الإيمان بعضه من بعض البحار ج ١/ ٢٠٦، وقد فسر المجلسي رحمه الله هذه الفقرة بأن أجزاء الإيمان من العقائد، والأعمال بعضها مشروط ببعض «...» أو أن بعضها ينشأ من بعض. «انظر البحار ج٥/ ٣٠».

(١) * عن المصطفى الحبيب ﷺ: إن الله يقول: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر «البحار ج٨/ ٩٢».

(٢) القصص/ ٥٦.

(٣) آل عمران/ ٧٣.

فتح عين قلبه[١] ويصبح سالكاً مجذوباً[٢].

إلهي، ترددي في الآثار يوجب بعد المزار، فاجذبني بجذبة توصلني إلى قربك، وأسلكني في مسالك أهل الجذب، وخذ لنفسك من نفسي ما يصلحها[٣].

جذبة من جذبات الرب توازي عمل الثقلين[٤].

نتيجة وفرة عطاء الكرماء، لا يعاني أحد من النقص.

إذا أسعد الطالع، سيتشبث كفي بذيل ثوبه.

فإذا جذبته أنعم به من طرب، وإذا جذبني فأنعم به من شرف!

لا يمكننا بلوغ ذلك المنزل السامي.

إلا إذا منّ لطفك بالتقدم خطوات.

ما دمت في الدنيا تفكر بالحصان وبالسرج.

فسيكون مركبك بعد ذاك خشبياً[٥].

ليحمله[٦] هبوب نسائم الرحمة إلى أي من جزائر بحري الجمال

---

(١) عن الإمام السجاد عليه السلام: . . فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما الغيب وأمر آخرته «البحار ج٦١/ ٢٥٠».

(٢) السالك على قسمين: سالك مطلوب، وسالك مجذوب، وهو الذي يقطع الطريق بهمة تستتبع الجذب.

(٣) من دعاء عرفة لسيد الشهداء عليه السلام.

(٤) مصباح الأنس

(٥) * مضامين أبيات.

(٦) تتمة قوله: استقبلته جذبة العناية الإلهية، ليحمله هبوب نسائم الرحمة إلخ. . .

والجلال الخالدات المناسبة لقابليته، واللائقة بحسن سعيه. **إن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها**(١).

إنها المجاهدة في سبيل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾(٢).

بعد هذا، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٣). حيث المعبر سيكون هو السير في الله وذكره ليس ضرورياً، بل هو مضرّ(٤).

كنت أقرع باب الدير فجاء النداء من الداخل، أن، ماذا فعلت أنت في الخارج، لتأتيَ إلى الداخل.

ذهبت إلى نادي القمار فوجدت الجميع لاعبين متفانين، وعندما ذهبت إلى الصومعة وجدت الجميع زهاداً مرائين.

لأن الإيمان منازل ومراتب، لو حملت على صاحب الإثنين ثلاثة(٥) يتقطع كما تتقطع البيضة على الصفا(٦) رحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعدَ طوره.

---

(١) عن رسول الله ﷺ بهذه الصيغة، «البحار ج٧٧/ ١٦٦» وبصيغة أخرى إن لربكم «٧١/ ٢٢١» و«٨٣/ ٣٥٢»

(٢) الانشقاق/ ٦

(٣) العنكبوت/ ٦٩

(٤) يبدو أن المراد أن المرتبة الأولى هي السير إلى الله تعالى، أما الثانية فهي السير في الله تعالى، وهذه المرتبة ليس ذكرها ضرورياً، بل هو مضر، لأن الإيمان منازل ومراتب كما سيأتي، وما يناسب حال المخاطب وحالنا هو قمة السير إلى الله تعالى.

(٥) إشارة إلى ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الواحد لصاحب الاثنين لست على شيء، «البحار ج ٢٢/ ٣٥٠»

(٦) الصفا: الصخرة.

أنت ماذا تعرف من منطق الطير، إنك لم ترَ سليمان لليلة.

﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(١).

و﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(٢)

مع من أتكلم في هذا الطريق، أين الحي «المتصف بالحياة»

أين الطالب لماء الحياة؟

ما قلته هو بمقدار فهمك، أهلكتني حسرة الفهم السليم(٣).

رحم الله امرءاً سمع قولي وعمل فاهتدى.

كن على يقين أن كل من يبدأ السلوك بالنحو المذكور، ففي أية مرحلة يدركه الأجل سيحشر في زمرة ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾(٤).

إن كنت من رجال الطريق، فقد أريتك الطريق.

﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾(٥).

ما كان حاضراً جرى به القلم، ليتحقق في مقام العمل.

كل من له معرفة بالمدينة، يعلم مصدر متاعنا.

---

(١) الأعراف/ ١٤٤

(٢) ابراهيم/ ٧

(٣) * مضمون بيتين.

(٤) النساء/ ١٠٠

(٥) الاحزاب/ ٤

جامي، ليس طريق الهدى غير عشق الله، قلنا: **والسلام على تابع الهدى**

لا تسلني أنا السكران عن صفة خمرة العشق.

أقسم بالله لن تفهم مذاق هذه الخمرة، ما لم تتذوقها.

والسلام على من اتبع الهدى

الخاتمة

في السير بين المبدأ والمعاد[١]

كل من شملته العناية، وأرشده التوفيق، يصل إلى نهاية السعادة، ومن هنا قالوا: العناية الأزلية، كفاية أبدية.

ومطلق العناية عبارة عن إحاطة علم الحق **جل وعلا** بكل الوجود، بالوجه الذي هو عليه، الذي يجب أن يكون، ويسمونه القضاء السابق.

وتفصيل ذلك على الترتيب الذي تؤدي به سلسلة العلل والمعلولات، القدر. والعناية الخاصة المقصودة هنا، هي تعلق علمه وإرادته تعالى بوجود شخص معين على الكمال المناسب له، على الوجه الذي يجب.

وكل ما كان في العلم الأول معلوماً على هذا الوجه، فإن أسباب القدر الموافقة لإرادة ذلك الشخص وسعيه يمكنها أن توصله إلى ذلك الكمال، ويسمون ذلك: التوفيق.

---

(١) * كتب هذه الخاتمة المرحوم البيد آبادي قدس سره كختام لرسالته في المبدأ والمعاد، وأورد بعدها وصية. ولم ترد هذه الخاتمة في نسخة (أ).

والكمال الذي يحصل في الكليات، السعادة.

أنت هبني القلب، وانظر الإقدام.

أدعني إليك، وانظر الفروسية.

ومن هنا قالوا:

كل هداية تحصل عليها أيها الدرويش، اعتبرها هدية الحق، لا استجداءك.

وأهل الهداية قسمان:

* المحبوبون: وهم فرقة توصلهم قابليتهم من غاية الصفاء إلى المكاشفات ودونما سعي وتقلب في الأطوار، وتحمُّل المشقة وأنواع المجاهدات، وتنقلهم «قابليتهم» من ذاتيات الذات إلى أنوار المشاهدات، وتسقيهم من أكؤس زلال الوصال وملذات الأنس، ليلفهم الفناء كلياً عن غير المعشوق الأول، عندها يردون عليهم على سبيل الهبة وجودهم الحقاني بعد فناء البشرية «منهم»، ويردّونهم مع مقام المعاملات وهياكل الطاعات والعبادات ليتمتعوا بأنواع التنعمات في صور الخدمات، ويحصلون على روح خدمة الحضرة مع كمال الأنس ولذة المشاهدات.

* والمحبون: وهذه الفرقة هم أهل السير والسلوك، أول حالهم في بداية الإرادة التي هي أثر العناية ولمعان بارقة نور العشق الحقيقي الذي يعبر عنه **يحبهم** حتى يختاروا المعشوق الأول ـ بحكم **يحبونه** ـ على الجميع، ويروا الإعراض عما عداه لازماً، ويتوجهوا إلى جنابه

بشوق تام متزايد، وعزيمة قوية متصاعدة، ينبري للسير سرهم[١]، ولفرط الصدق يقطع «بهم» الطريق كله بإخلاص.

وعلى كل سالك إزالة الموانع وتحصيل الشرائط اللازمة، وتحصل إزالة الموانع بالزهد الحقيقي، وتُحَصّل الشرائط بالعبادة.

وأصل مقامات السير والسلوك ومنازلهما هذان المقامان «الزهد والعبادة» والكل يرجع إليهما، ذلك أن حاصل السير والسلوك فناء الأنا والبقاء ببقاء الحق والإتصاف بصفاته، والزهد من قبيل التروك، مؤدٍ إلى الفناء، والعبادة من قبيل الأعمال، مفضية إلى البقاء.

وأول خطوة من الزهد الورع الذي هو اجتناب المناهي والمكاره «المكروهات»، بعدها اجتناب الفضول[٢] الذي يتولد منه الصبر.

بعد ذلك الحذر من نسبة الأفعال إلى نفسه برؤية جميع الأفعال من الحق تعالى، ومن هنا يحصل التسليم والرضا.

بعد ذلك فناء الذات بطلوع **سُبُحات** أنوار الوجه الباقي، وذلك ظهور سلطان التوحيد، وكل ما يأخذه الحق عز وعلا من عبده ويتصرف به يعطيه من عنده بدلاً منه **إن في الله خلفاً عن كل ما فات**.

ومن هنا كانت ضرورة مقارنة العبادة التي تورث البقاء، بالزهد، ليتم تعويض كل ما يفنى بذاك، بهذا العوض الباقي والمدخر.

---

(١) * المراد أن البعض يسير ظاهرهم، والباطن لا علاقة له بالسير، والبعض يسير ظاهرهم وباطنهم، وسرهم لا علاقة له بالسير، أما هؤلاء فإن سرهم هو الذي يسير إلى الله، وتبعاً له يسير الباطن والظاهر ويشمل سرهم السر وسر السر، «السرائر»، فإن زيادة المبنى تكشف عن زيادة في المعنى.

(٢) كالتدخين، الشاي، القهوة وكل ما هو بلا مبرر منطقي.

ويلزم من ترك الأفعال والخروج من التلبس بها الاستغناء بالحق واكتساب المحبة ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[١] ويصبح بفعل الحق فاعلاً. **بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش.**

ويحصل من الإنسلاخ من ملابس الصفات، مقام البدلية، والتخلق بالأخلاق الإلهية والاتصاف بالصفات الرحمانية، وتُقبِل مطالعة جمال الحق وجلاله وتستحكم محبوبيته تعالى **لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي به يتكلم**[٢]. **وتكون كرامته من فسادها**[٣] **بقاءَه ببقاء قيوم الكل والتحقق بإنيته وذلك هو الفوز الأكبر.**

❋ ❋ ❋

(١) الطلاق/٣.
(٢) حديث قدسي «بحار الأنوار ج٧٥/ ١٥٥».
(٣) يبدو أن الضمير راجع إلى ملابس الصفات فيكون المعنى: ويحصل من الانسلاخ من ملابس الصفات مقام البدلية إلخ، ومن فسادها بقاؤه ببقاء قيوم الكل إلخ.

* وقد وقع الفراغ من إعادة النظر في هذه الترجمة، وإعدادها النهائي للطبع، عشية يوم السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان المبارك لسنة ١٤٢٣للهجرة، على مهاجرها وآله أفضل التحية والسلام.

* وتأخر تقديم الكتاب للطبع لدواع رجحت ذلك، إلى تاريخ: ٥شعبان المعظم ١٤٢٥ هجرية.

والحمد لله رب العالمين

حسين كوراني

بيروت ـ لبنان

kourani@hotmail.com

الفهرس

الإهـداء ٥
مقدمة المترجم ٧
أولاً: الإنفتاح الثقافي ١٠
ثانياً: العلم للعمل ١١
ثالثاً: التواضـع ١٢
هذا الكتاب ١٢
مقدمة الطبعة الفارسية ١٧
١ ـ المولى الشيخ البيدآبادي «؟ ـ ١١٩٨هـج» ١٨
٢ ـ العارف الكامل، آية الله العظمى الشيخ الهمداني ٢٠
٣ ـ الحكيم العارف آية الله الشيخ محمد البهاري الهمداني ٢٤
٤ ـ آية الله العظمى العارف الكبير السيد أحمد الكربلائي ٢٦
٥ ـ الشيخ اسماعيل التبريزي «١٢٢٦٨ ـ ١٣٤٧هـج» ٢٨
٦ ـ الزاهد العارف الشيخ حسن علي نخودكي أصفهاني ٣٠

هذا الكتاب ٣٢
آداب التوبة ٣٥
آداب المراقبة ٤٧
آداب الرفقة ٥٣
آداب تربية الأولاد ٦٥
آداب الزيارة ٧١
آداب الحج ٧٧
في صفات العلماء الحقيقين ٩٧
في أصناف المغرورين ١٠٣
توجيهات، إلى الشيخ أحمد التبريزي ١١٥
المراسلات ١٢٥
ـ ١ ـ إلى الحاج السيد آقا ١٢٦
ـ ٢ ـ مجهول ١٢٩
ـ ٣ ـ إلى سفير بغداد ١٣٣
ـ ٤ ـ إلى أحد علماء آذربيجان ١٣٦
ـ ٥ ـ مجهول ١٤٠
ـ ٦ ـ إلى أولاد ملك التجار بتبريز ١٤٤
ـ ٧ ـ مجهول ١٤٨

ـ ٨ ـ إلى الشيخ إسماعيل التبريزي ١٥١
ـ ٩ ـ الرسالة الأولى إلى مراده ١٥٥
ـ ١٠ ـ الرسالة الثانية إلى مراده ١٥٨
ـ ١١ ـ الرسالة الثالثة إلى مراده ١٦٢
ـ ١٢ ـ الرسالة الرابعة إلى مراده ١٦٦
ـ ١٣ ـ الرسالة الخامسة إلى مراده ١٧١
ـ ١٤ ـ الرسالة السادسة إلى مراده ١٧٦
ـ ١٥ ـ الرسالة السابعة إلى مراده ١٨١
ـ ١٦ ـ الرسالة الثامنة إلى مراده ١٨٦
توجيهات آية الله السيد أحمد الموسوي رضوان الله عليه ١٩٠
ومنه أيضاً دام عزه العالي ١٩٨
ومنه أيضاً مد ظله العالي ٢٠٥
وله أيضاً عليه الرحمة والرضوان ٢٠٨
جواب آخر «للسيد أحمد الموسوي» ٢١٣
من رسائل آية الله الشيخ حسينقلي الهمداني ٢١٥
في الموعظة الحسنة ٢٢٣
ومن كلامه أعلى الله مقامه ٢٣١
ومن كلامه رضوان الله عليه ٢٣٥

ومن كلامه قدس سره ٢٣٧
التوجيه الذي تفضل به إلى جناب الحاج السيد علي آقا الإيرواني .. ٢٤٤
رسالة الشيخ البيد آبادي ٢٤٥
الخاتمة في السير بين المبدأ والمعاد ٢٥٥
الفهرس ٢٦١